الجامعــة الإســلامية – غـــزة
عمادة الــدراســـات العليـــا
كـــليـــة أصــول الـــديــن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة
دراسة نقدية في ضوء الإسلام

إعداد الطالب
محمد عطا محمد أبو سمعان

إشراف
الأستاذ الدكتــور: صـــالح حسيــن الرقـــب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة.

العام الجامعي
1432هـــ – 2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى أرواح الشهداء الذين رووا بدمائهم الزكية تراب فلسطين ...

إلى والدتي الحبيبة ووالدي الفاضل...

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء...

إلى زوجتي الفاضلة...

إليهم جميعا أهدي عملي هذا

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله حمداً لا نفاد له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى عِتْرَتِه آل بيته الطاهرين، وأصحابه الذين نشروا دعوته واحتذوا حذوه، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه -بعد فضل الله تعالى، ومنِّه عليَّ، وتوفيقه إياي، بإتمام رسالتي- أتقدم بجزيل الشكر والثناء، لكل من ساعدني في إتمام هذا الجهد المتواضع؛ امتثالاً لقول النبي ﷺ:(لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ)[1].

وإن أول من يُشكَر ويُثنَى عليه هو الله سبحانه وتعالى، الذي أنعم وتفضل عليَّ، ووفقني وبارك لي في وقتي، فله الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وفي هذا المقام أتقدم بالشكر الجزيل إلى الجامعة الإسلامية والقائمين عليها، وأخص بالذكر المشرف الأستاذ الدكتور: صالح حسين الرقب، فله مني كل الشكر والتقدير، على ما أحاطني به من عناية وتوجيه، وإبداء للآراء التي ازدان بها البحث؛ فجزاه الله عني خيراً.

كما أتقدم بالشكر والثناء للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة، كل من:

الأستاذ الدكتور: محمود يوسف الشوبكي، والدكتور: محمد حسن بخيت حفظهما الله تعالى.

لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وإبداء الملاحظات والتوجيهات المفيدة، كما أتقدم بالشكر لكل الإخوة الذين وقفوا بجانبي أثناء إعداد هذا البحث.

وفي الختام لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر إلى أهلي الذين تحملوا معي الأعباء، وإلى كل من ساهم وساعد في هذا البحث، وأسدى إليَّ نصيحة أو توجيهاً، حتى اكتمل هذا الجهد المتواضع، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) سنن أبي داود بحاشيته عون المعبود، كتاب الأدب، باب فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ، حديث رقم:4813، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، قال الألباني: صحيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المـقـدمـة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدّه الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فيقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:30]، لقد كرَّم الله تعالى آدم أبا البشر أيما تكريم، ووضعه في الموضع الذي يليق به من التكريم والعبودية والتكليف، وأسجد له ملائكته الكرام البررة، أمَّا إبليس فأبى واستكبر وكان من الكافرين؛ فناصب آدم وذريته العداء إلى يوم القيامة، فلا عجب أن يخرج علينا أتباع إبليس وأولياؤه، بأفكار وآراء وأخيلة من وساوسه؛ ليلبسوا على الناس دينهم، ويصرفوهم عن الأخلاق الفاضلة، ويبعدوا الإنسان عن رسالته الحقيقية في الحياة، ودوره في الخلافة في الأرض، وتعميرها بالإيمان والعمل الصالح، ومن هنا جاءت دراستي التي هي بعنوان (منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة) مساهمة متواضعة في كشف زيف الأفكار المعاصرة الهدامة، وقطع أحلام أصحابها، وتأصيل موقف الإسلام من وجود الإنسان وغايته.

أهمية البحث وبواعث اختياره:

تظهر أهمية هذه الدراسة فيما يلي:-

1- إنها تبحث في أعظم مخلوق كرَّمه خالقه تعالى، وتبين الهدف الحقيقي من خلقه وإيجاده في هذا الكون.

2- إنها تجيب عن تساؤلات كثير من الناس الذين يبحثون عن الإنسان من أين وجد؟ ولماذا وجد ؟ وإلى أين يصير؟ وما مكانة الإنسان في هذا الكون الذي يعيش فيه؟ وما هي المعاني الإنسانية التي من أجلها خلق الإنسان؟ والتي يجب عليه أن يحملها لا أن يتخلى عنها،

ويصبح كما أراده الغزاة والمستعمرون، لا دين له ولا خلق، ولا قيمة يحملها؛ بل يريدونه كالأنعام؛ بل أضل سبيلاً.

3- إنها تفند وتبطل مزاعم وأراء الطاعنين والمفترين، من أصحاب الأفكار الهدامة والمذاهب الفاسدة.

أهداف البحث:

1- بيان آراء الضالين المضلين: حول الإنسان، وطبيعته، وهدف وجوده في الحياة الدنيا.

2- تحصين الأمة الإسلامية، وحماية أبنائها من الانزلاق في مصائد الملحدين والمشركين.

3- مواجهة التحديات، ودحض الآراء والأفكار الغربية المدمرة لكيان الإنسان والأمة.

4- خدمة طلاب العلم، وإثراء المكتبة الإسلامية بدراسة جديدة.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي(1) والنقدي؛ وذلك ببيان آراء دعاة المذاهب الفكرية المعاصرة، ثم تحليلها علمياً، ونقدها وتفنيدها في ضوء الإسلام.

طريقة البحث:

1- ذكر اسم السورة، ورقم الآيات الواردة في متن الرسالة.

2- تخريج الأحاديث النبوية، وبيان حكم العلماء عليها، إلا إذا وردت في الصحيحين أو أحدهما.

3- الاكتفاء بذكر المصدر أو المرجع مع اسم المؤلف، ودار النشر، وتاريخ الطبعة، عند وروده لأول مرة، وإذا تكرر اكتفيت بذكر اسم الكتاب فقط.

4- الترجمة للأعلام المغمورة عند ذكرها لأول مرة.

5- قام الباحث ببيان آراء أصحاب المذاهب المعاصرة، ونقدها من خلال العقيدة الإسلامية، والفكر الإسلامي.

6- عمل فهارس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والموضوعات، ومصادر البحث ومراجعه.

---

(1) المنهج الوصفي التحليلي هو:"وصف منظم للحقائق، ولميزان مجموعة معينة أو ميدان من ميادين المعرفة المهمَّة بطريقة موضوعيَّة وصحيحة". دليل البحث والتقويم التربوي، أحمد الخطيب وآخرون، ص62، 1985م.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في موضوع (الإنسان في المذاهب الفكرية المعاصرة)، تبين أنه لم يأخذ حقه من الدراسة إلا بشكل جزئي، أو من جانب محدد، أو من وجهة نظر الكاتب حسب مذهبه الفكري المعاصر، بحسب ما توصلت إليه والله أعلم.

ومن هذه الدراسات:

أولا : الرسائل الجامعية:

- الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم: رسالة دكتوراه للباحث: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي.
- الإنسان كما يصوره القرآن الكريم بدءاً ونهاية: رسالة دكتوراه للباحث: صلاح عبد العليم إبراهيم.

وهي دراسات متخصصة في قسم التفسير، تُعنى بدراسة الإنسان واستخلافه في الأرض من منظور القرآن الكريم، ولم تتناول مزاعم أصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة.

ثانيا: الكتب: وهي عبارة عن دراسات لأشخاص، تتحدث عن الإنسان في القرآن الكريم، أو تتناول جزءاً يتعلق بالإنسان، أو عن علاقة الإنسان بالعقل أو بالكون؛ وهي دراسات خاصة وليست أبحاثاً علمية محكمة، مثل:-

1- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، عبد الرحمن بدوي.

2- الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب.

3- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب محمد المسيري

4- الإنسان والكون، مرتضى أبو سمرة.

5- الداروينية والإنسان (نظرية التطور من العلم إلى العولمة)، صلاح عثمان.

6-حصاد العقل في اتجاهات المصير الإنساني، محمد سعيد العشماوي.

7- الإنسان الكامل في الإسلام، عبد الرحمن بدوي.

8- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب.

وغيرها من المراجع المتعلقة بحقوق الإنسان وخلافته في الأرض، والمذاهب الفكرية المعاصرة.

ولعل دراستي هذه تكون إضافة جديدة، تتناول جوانب معينة من الإنسان، وتركز على تكامل الإنسان وتكامل وظيفته، وعبوديته لله تعالى، وبيان منزلته، وحقوقه، وتفند مزاعم كثير من الاتجاهات الفكرية المعاصرة حول الإنسان؛ الرامية إلى إبعاد هذا المخلوق المكرَّم عن حقوقه وواجباته، وإقصائه عن عقيدته، مصدر عزته وسعادته، وصرفه عن الغاية التي خُلِق من أجلها، وتُأصِّل هذه الدراسة العقيدة الصحيحة حول الإنسان، وتشخص مطاعن الخصوم، وتكشف زيفها؛ حمايةً للأمة وأبنائها من الضلال والانحراف، والله نسأل السداد، والتوفيق.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو التالي:-

المقدمة:

تتناول الحديثَ عن أهمية البحث، وبواعث اختيار الموضوع، وأهداف البحث ومنهج البحث، وطريق عمل الباحث.

الفصل الأول

مكانة الإنسان في الفكر الإسلامي

ويتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول: الإنسان وجوده واستخلافه في الفكر الإسلامي

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: نشأة الإنسان في الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: استخلاف الإنسان وتسخير ما في الكون له.

المطلب الثالث: منزلة الإنسان في الإسلام.

المبحث الثاني: الإنسانية في الفكر الإسلامي:

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم الإنسانية في الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: خصائص الإنسانية في الفكر الإسلامي ومقوماتها.

المطلب الثالث: معوقات التحلي بالمعاني الإنسانية الفاضلة.

الفصل الثاني

الإنسان وجوده وغايته في الفكر الغربي المعاصر

ويتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول :منزلة الإنسان في المذاهب الفكرية:

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: منزلة الإنسان في النظرية البراغماتية.

المطلب الثاني: منزلة الإنسان في الفكر الشيوعي.

المطلب الثالث: منزلة الإنسان في الرأسمالية.

المبحث الثاني: دعاوى الماديين حول وجود الإنسان وغايته:

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: وجود الإنسان وغايته في النظرية الدارونية.

المطلب الثاني: وجود الإنسان وغايته في الفلسفة الوجودية.

المطلب الثالث: وجود الإنسان وغايته في الفلسفة الواقعية.

المطلب الرابع: وجود الإنسان وغايته في مذهب العبثية.

المبحث الثالث: الإنسان في المذهب الإنساني:

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: نشأة مذهب الإنسانية.

المطلب الثاني: الإنسان وجوده ومنزلته في مذهب الإنسانية.

المطلب الثالث: علاقة مذهب الإنسانية بالديمقراطية والعلمانية.

الفصل الثالث

حقوق الإنسان بين الإسلام والمذاهب الفكرية

ويتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول: حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية.

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم حقوق الإنسان في الإسلام.

المطلب الثاني: سمات حقوق الإنسان في الإسلام.

المطلب الثالث: منزلة حقوق الإنسان في المنظور الإسلامي.

المبحث الثاني: حقوق الإنسان في المذاهب الفكرية المعاصرة.

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: التفسير الغربي لحقوق الإنسان.

المطلب الثاني: حقوق الإنسان في المذهب الديمقراطي.

المطلب الثالث: حقوق الإنسان في الفكر الليبرالي.

المطلب الرابع: قصور المواثيق الدولية في حماية حقوق الإنسان.

الخاتمة: وتشتمل على أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات.

والله أسأل السداد والتوفيق

الفصل الأول

مكانـة الإنـسان فــي الفـكـر الإسلامــي

ويتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول: الإنسان وجوده واستخلافه في الفكر الإسلامي.

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: نشأة الإنسان في الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: استخلاف الإنسان وتسخير ما في الكون له.

المطلب الثالث: منزلة الإنسان في الإسلام.

المبحث الثاني: الإنسانية في الفكر الإسلامي.

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم الإنسانية في الفكر الإسلامي.

المطلب الثاني: خصائص الإنسانية في الفكر الإسلامي ومقوماتها.

المطلب الثالث: معوقات التحلي بالمعاني الإنسانية الفاضلة.

المبحث الأول

الإنسان وجوده واستخلافه في الفكر الإسلامي

المطلب الأول: نشأة الإنسان في الفكر الإسلامي:-

إن للمسلمين عقيدة متميزة -عن غيرها من العقائد- في خلق الإنسان ونشأته، وهذه العقيدة مستمدة من كتاب الله، الذي خلق الإنسان، وهو أعلم بحاجاته وفكره، وما يصلحه، وهي أن الله سبحانه قد خلق آدم عليه السلام (الإنسان الأول)، وأسكنه الجنة وعهد إليه ألا يقرب شجرة عرّفها له، ثم خلق من ضلعه زوجته حواء، وعاشا في الجنة، فوسوس لهما الشيطان، فأكلا من الشجرة فأهبطا إلى الأرض[1]، قال الله تعالى:﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [سورة مريم:35-36]، وتزاوجا وصار لهما ذرية، قال تعالى:﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [سورة مريم:58].

خلق الإنسان من طين ونفخ الروح فيه:

أما عن كيفية الخلق، فيقول ابن حزم:"فلسنا نعلم ولا أحد من الناس كيفية بدء الخلق؛ لقوله تعالى:﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الكهف:51]، أما ما كان بعد ابتداء الخلق فمعروف الكيفيات"[2].

إن كيفية خلق آدم أبي البشر عليه السلام معلومة، ولا يلزم من عدم مشاهدة الخلق الأول، في قوله تعالى:﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الكهف:51]، عدم معرفتنا بكيفية الخلق؛ لأن الله تعالى أعلَمَنا كيفية خلقه آدم عليه السلام في كتابه وفي سنة نبيه، دون مشاهدتنا لخلقه، حيث بيَّن من أي شيء خلقه، فقال تعالى:﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾

---

(1) انظر أصل الإنسان وسر الوجود، باسمة كيال، دار الهلال، 1982م،40/1.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، باب الكلام على من قال أن في البهائم رسلاً، مكتبة الخانجي، 73/1.

[سورة الصافات:11][1]، وقال أيضا:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[2] [سورة الحجر:26]، وقال تعالى:﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[3] [سورة الرحمن:14].

خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام من تراب، ثم نفخ فيه من روحه، ثم خلق ذريته من ماء مهين، من صلب آدم عليه السلام، فقال تعالى:﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة السجدة:6-9].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ؛ مبيناً كيفية خلقه لآدم عليه السلام، حيث يقول ﷺ:(**إن الله خلق آدم من تراب، فجعله طينا، ثم تركه، حتى إذا كان حمأً مسنوناً، خلقه وصوره، ثم تركه، حتى إذا كان صلصالاً كالفخار، كان إبليس يمر به فيقول: لقد خُلِقْتَ لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه، وكان أول ما جرى فيه الروحُ بصرَه وخياشيمَه، فعطس فقال:الحمد لله، فقال الله: يرحمك ربك**)[4].

---

(1) اللازب هو الثابت واللازم، وعن ابن عباس قال: الطين اللازب هو التراب والماء يصير طيناً يلزق. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، 365/6، مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، 245/5، تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية، 1964م، 294/14.

(2) الحمأ المسنون، هو الطين المتغير، أو الطين الأسود المنتن، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، 366/6، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط1، دار صادر، 61/1، تهذيب اللغة، 301/12.

(3) الصلصال هو الطين إذا خلط بالرمل، أو الطين اليابس الذي يصِلُّ من يُبْسه أي يُصوِّت ما لم تصبه نار، فإذا مسته نار فهو حينئذ فخار، والفخار هو ضرب من الخزف يعمل منه الجرار والكيزان وغيرها، انظر لسان العرب، 381/11، مادة: صلل، تهذيب اللغة، 112/12، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 364/6.

(4) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، حديث رقم:6580، قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف، وقال الحافظ المناوي: إسناده صحيح، انظر التيسير بشرح الجامع الصغير، الرياض، 1408هـ، 586/2.

وروى أبو موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال:(**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض**)[1] وروى أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه، فجعل إبليس يطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك**)[2].

فبان بمقتضى الآيات، والأحاديث السابقة، أن الله تعالى قبض قبضة من تراب الأرض، ثم جعلها طيناً، فتركها، حتى صارت حمأً مسنوناً، ثم صوَّره وخلقه بقدرته، ثم تركه، حتى صار صلصالاً كالفخار، وحدد طوله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً**)[3]، ثم نفخ فيه الروح، وكان رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس، فعن أبى بن كعب مرفوعاً:(**إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً، كثير شعر الرأس، كأنه نخلة سحوق**)[4]، وأن الله تعالى أوجد آدم ﷺ، على الهيئة التي خلقه عليها، فهو لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولم يتردد في الأرحام أطواراً كذريته، ولم يشاركه في خلقه أحد، بل خلقه الله تعالى رجلاً كاملاً سوياً، من أول ما نفخ فيه الروح[5]، وهذا ما سأشير إليه –إن شاء الله– عند الحديث عن مذهب الدارونيين.

إن الله تبارك وتعالى خلق آدم خلقاً مباشراً من طين الأرض، ثم طوَّره الله طوراً بعد طور، من نفس الطين إلى صلصال كالفخار، ثم إلى الحمأ المسنون، ثم سواه، ثم عدله، ثم صوره ونفخ فيه من روحه، وبذلك يكون الإنسان قد نشأ نشأة مستقلة بذاته[6]، لم يتطور عن مخلوق سابق له، بل مختلف في خصائصه، وتكوينه، قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [سورة المؤمنون:12-14]، ويقول سبحانه:﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ**﴾ [سورة النجم:32].

---

(1) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب فِي الْقَدَرِ، حديث رقم:4695، قال الألباني: حديث صحيح.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب خُلِقَ الإِنْسَانُ خَلْقًا لاَيَتَمَالَكُ، حديث رقم:6815.

(3) صحيح البخاري، كِتَاب بَدْءِ الْخَلْق، بَاب خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، حديث رقم:3326.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، باب خلق آدم وذريته، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، قال ابن حجر: إسناده حسن، 367/6.

(5) المصدر نفسه، 367/6 .

(6) انظر الإنسان والخلافة في الأرض، محمد أمين جبر، دار الشروق، 1999م، ص60.

ولقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وأجمل هيئة، مديد القامة، يتناول طعامه وشرابه بيده، ليس بخافٍ أنّ تناسُب وضع أعضاء الإنسان يجعل له صورة جميلة، قال تعالى:﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التغابن:3]، ويقول سبحانه:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين:4]، وفي المقابل خلق الله كل ذي روح مكباً على وجهه، غير الإنسان[1].

وتنفي الباحثة الدكتورة عائشة بنت الشاطئ في كتابها (القرآن وقضايا الإنسان) خَلْقَ الله تعالى حواء أم البشر من ضلع آدم الأيسر، في قول النبي ﷺ: **(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)**[2]، وتقول:إن التعبير بكلمة الضلع تعبير مجازي، وليس القصد منه تحديد أصل الخلقة، وإنما هي وصية من نبيِّ الإسلام للترفق بالمرأة،والتحذير من أخذها بالشدة[3].

وما ذهبت إليه الدكتورة عائشة ليس صحيحاً، فإن خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام، ثابت في كتاب الله تعالى، حيث قال الله جل ذكره:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء:1]، وقال أيضا:﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنعام:98]، وقال أيضا:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [سورة الأعراف:189]، وقال أيضا:﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة الزمر:6]، فالنفس الواحدة هي آدم عليه السلام[4]، والله تعالى خلق منها زوجها، وهو على كل شيء قدير، كما خلق آدم من غير أب ومن غير أم، وكما خلق عيسى عليه السلام من غير أب، وأما صرف اللفظ لمعنىً مجازي دون دليل، فهو ممنوع، والحديث فيه عوجين للمرأة، الأول: عوج في مصدر الخَلْق، أي من ضلع أعوج، والثاني: عوج السلوك الناتج عن عوج مصدر الخَلْق،

---

(1) انظر مجلة دعوة الحق، من حديث القرآن عن الإنسان، د.علي العماري، 1989م، عدد87، ص90.

(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، بَاب خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، حديث رقم:3331.

(3) انظر القرآن و قضايا الإنسان، د.عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، ص43.

(4) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م، 514/7، التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الفكر، 128/1، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، 240/1، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مراجعة: محمد إبراهيم الحفناوي، خرَّج أحاديثه: محمود حامد عثمان، دار الحديث، 2002م، 6/5/3.

والحديث يشير إلى الرفق بالمرأة؛ لأن أصل خلقتها أعوج، فيكون العَوج لاحقاً لسلوكها، فيجب الرفق بها.

الحكمة من خلق الإنسان من طين:

يظهر أن الإنسان في القرآن الكريم مرتبط بشدة إلى الأرض، في قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ [سورة نوح:17-18]، مشيراً إلى أن الأرض ستكون مكان العودة بعد الموت؛ فخلق الإنسان من تراب لا ينفي ما نسميه نحن اليوم، العناصر المكونة لجسم الإنسان، والموجودة في الأرض من وجهة النظر الكيميائية، وحتى يدرك الناس في الأزمان الماضية هذا الأمر؛ استخدام القرآن كلمة التراب؛ لتتناسب ودرجة معرفتهم، وهذه المواد المكونة عُبِّر عنها في القرآن الكريم بأسماء مختلفة منها الأرض، التراب، الطين اللازب، صلصال كالفخار، صلصال من حماً مسنون[1].

آيات القرآن الكريم المبينة لنشأة الإنسان جاءت في سياق العظة والاعتبار؛ تمشياً مع طبيعة النص القرآني من حيث هو كتاب هدىً ودين، وبيان القدرة على البعث، قال تعالى:﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [سورة الطارق:5-7]، وقال أيضا:﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [سورة عبس:17]، لذلك كان حرص القرآن على تذكير الإنسان بضعفه؛ ليلفته إلى أصل خلقه من تراب أو من الطين، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة؛ ليكبح جماح غروره؛ وكي لا يطغى ويتجاوز قدره، كيف لا، والإنسان مظنة الطغيان والغرور؟![2]، قال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة يس:77]، وقال جل ذكره:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [سورة لقمان:29].

والحكمة من إشارة القرآن إلى الأصل الطيني للإنسان؛ هي رد الإنسان إلى عناصر هذه الأرض؛ وحتى لا يصير هناك أي لبس بالنسبة لاستقلال الإنسان النوعي، وتميزه الخلقي، الذي هو أساس في تكريم الإنسان؛ فخلقه في أحسن تقويم، هو بعض السر في تميُّزه الإنساني عن

---

(1) انظر أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، د.موريس بوكاي، ترجمة: فوزي شعبان، دار الكتب العلمية، ص185، بتصرف.

(2) انظر القرآن وقضايا الإنسان، ص22-23، بتصرف.

سائر أجناس الحيوانات[1]، والغاية الحكيمة من وجوده هي عبادة الله وحده؛ قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:56].

المطلب الثاني: استخلاف الإنسان وتسخير ما في الكون له:-

إنه لا يمكن للإنسان أن يستقر نفسياً، ويأخذ وجهته الصحيحة نحو القيام بأعباء رسالته على الأرض، إلا إذا عرف غرض وجوده، وأنه بعضٌ صغير من هذا الكون، قال تعالى:﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [سورة آل عمران:109][2].

إن وظيفة الخلافة، هي مباشرة الإنسان للكون بالروح والجسم، اعتباراً به، وتفكراً، وتأملاً بالنظر في هذا الكون، قال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف:185]، وقال تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الرعد:3]، والتفكر في هذا الكون للتوصل إلى عظمة الخالق جل شأنه، ودقيق صنعه وتحقيق عبادته.

ومن وظيفة الخلافة أيضا، استثمار منافع الكون وخيراته، فلا يذكر القرآن الكريم جزءاً من أجزاء الكون، إلا ويشير إلى ما فيه من منافع للإنسان، كقوله تعالى:﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [سورة النحل:5]، ووصف البحر بقوله:﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل:14]، والكون كله مسخر للإنسان، قال تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية:13]، وهذا التسخير، دَفَعَ الإنسان لاستثمار واستغلال الكون والانتفاع به، وذلك من نعم الله تعالى على الإنسان.

---

(1) انظر الإنسان والخلافة في الأرض، ص61.

(2) انظر الإنسان والكون في الإسلام، دار الثقافة، 1985م، ص85، بتصرف.

يرى عبد المجيد النجار أن خلافة الإنسان في هـذه الأرض، لا تتمثـل بقدرتـه علـى استثمارها، والانتفاع بما فيها فحسب؛ بل بقدرته على التأمل والنظـر والتفكيـر فـي حوادثهـا وآياتها، وسننها وأسرارها، وكل ذلك تكميلاً وترقية للنفس في وجهتها إلـى الله، عبـر منهـاج العبادة[1].

ولما كان الاستخلاف هو الغاية من حياة الإنسان؛ فإنه سيمثل المحور الذي تُرجَع له كل منازعة في الفكر والسلوك، والسلك الذي يَنْظِم كل حركة وسكون في حياته، وهو بهذا المعنـى لابد أن يلازم منهجاً شاملاً في التصرف الإنساني، سواء في سياسة نفسه فرداً ومجتمعاً، أو فـي تعامله مع الكون أو في صلته بخالقه؛ وذلك لأن الاستخلاف يمكن الإنسان من عبادة الله[2].

ومعلوم أن الإنسان جهول ضعيف، مجادل ظلوم طاغ، إذا انحرف في سيره عن الوجهة التي يريدها الله له، ويمكنه أن يحقق إنسانيته بالعلم، والقيم الأخلاقية، فتفـتح الحـدود لارتقائـه وتقدمه[3].

والله سبحانه وتعالى جعل العلم هو الوسيلة في استخلاف الإنسان في الأرض، وتحميلـه مسؤولية تعميرها، والأخذ بالأسباب التي تصلحها، على الرغم مما وصفت به الملائكة الإنـسان بأنه ﴿**يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء**﴾ [سورة البقرة:30][4].

بيان معنى خلافة الإنسان في الأرض:

يقول الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:"الخلافة فـي الأرض، تعنـي تعميـر الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها، والعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرتـه، عـن طريـق الانتفاع بما خلق الله، وتسخير ما في الكون؛ سبب للابتلاء في ظروف هذه الحيـاة الدنيـا، وليـس خلافة عن الله، فالله لم يستخلف أحداً عنه في خلقه، وكيف يستخلف وهو بيـده ملكـوت كل شيء"[5].

وقد بسط عبد الرحمن حبنكة الميداني في رسالته القول: إن الله لا يستخلف أحداً عنـه، وإن قول الذين قالوا:(إن الإنسان خليفة الله) جهل وضلال؛ لأن الخليفة لا يكون خليفـة إلا مـع

---

(1) انظر خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، د.عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، 1993م، ص63.

(2) انظر المرجع نفسه، ص66، بتصرف.

(3) انظر الإنسان والكون في الإسلام، ص95.

(4) انظر مجلة دعوة الحق، من حديث القرآن عن الإنسان، 75/87.

(5) رسالة: لا يصح أن يقال الإنسان خليفة الله في أرضه فهي مقولة باطلة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار الثقة، 1991م، ص16-17.

مغيب المستخلِف، أو موته، وإذا رجع المستخلِف انقضت خلافة المستخلَف، وكذلك سائر ولاة الأمور؛ لذلك لا يصلح أن يقال: إن الله يستخلِف أحداً عنه، فإنه حيٌ قيومٌ مدبرٌ لعباده، منزهٌ عن الموت والغفلة والنوم، فكل من وصفه الله بالخلافة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قبلَه[1].

ويقول عبد الرحمن حبنكة الميداني أيضا:"لا يصح أن يكون أحد خليفة عن الله في أرضه؛ لأن الخلافة عن الله فيها معنى التوكيل والإنابة، والوكيل هو الذي يعطي حق التصرف فيما جعل وكيلاً عليه من قبل صاحب الحق، وأن الذي يعطي حق التصرف، لا يكون مسئولاً عن تصرفاته التي يسمح فيها هذا الحق، وإنما يكون مسئولاً عن التقصير والخيانة"[2].

أما تسخير ما في الأرض وما في السماء للإنسان، وتسخير الأموال على اختلاف أصنافها كما قال تعالى:﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [سورة الحديد:7]، فليس تفويضاً له في أن يتصرف فيها كيفما يشاء؛ لأن التفويض هو إعطاء حق التصرف دون محاسبة، ولا جزاء ولا مراجعة أو نقض، والإنسان موضوعٌ موضع الامتحان، فيما يسر الله له من أشياء في ذاته أو في الكون من حوله، وهو مكلَّف ومتابَعٌ بالمحاسبة والجزاء[3].

لقد اختلف المفسرون في المراد بمعنى الخليفة، فقال بعضهم إنها خلافة من الله في الحكم بالعدل بين الناس، يقول ابن جرير في تأويل قوله تعالى:﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:30]، أي خليفة مني، يخلفني في الحكم بين خلقي، وإن ذلك الخليفة هو آدم ﷺ ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه[4]، وقال آخرون: أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، فكلمة خليفة مُفْرَدٌ أُرِيدَ بِهِا الْجَمْعُ؛ أَيْ: خَلَائِفُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنُ كَثِير، كما قال تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام:165]، وقال تعالى:﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾ [سورة النمل:62]، وقال تعالى:﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ

(1) انظر رسالة: لا يصح أن يقال الإنسان خليفة الله في أرضه فهي مقولة باطلة، ص60.

(2) انظر المرجع نفسه، ص20.

(3) انظر المرجع نفسه، ص26.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن،157/1

مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [سورة الزخرف:60]، وقال أيضا:﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾[1]، فخلافة الإنسان في الأرض هي خلافة قرن منهم قرناً، وخلافة قومٍ قوماً آخرين؛ لذا يقول الله تعالى:﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس:14]، ويقول سبحانه:﴿وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف:69].

ولقد عرف الراغب الأصفهاني الخلافة فقال: الخلافة هي النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلَف[2].

ويرى الراغب الأصفهاني أن الخلافة في الأرض تُستَحَق بالسياسة، التي تتضمن نوعين: سياسة الإنسان لنفسه وبدنه وما يختص به، وسياسته لغيره، ومن عجز عن سياسة نفسه كان عن سياسة غيرة أعجز[3].

لذا فإنه لا يصلح لخلافة الله، ولا يكمُل لعبادته وعمارة أرضه، إلا من كان طاهر النفس قد أُزيل رجسها ونجسها، فللنفس نجاسة كما أن للبدن نجاسة، لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر، ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة، وإياها قصد جل ذكره بقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [سورة التوبة:28]، وقوله:﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام:125]، وإنما لم يصلح لخلافة الله إلا من كان طاهر النفس؛ لأن الخلافة هي الاقتداء به تعالى، على الطاقة البشرية في تحري الأفعال الإلهية، ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل[4].

---

(1) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، 1995م، 20/1، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة، ط1، 2000م، 336/1، جامع البيان في تأويل القرآن، 447/1.

(2) انظر المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، ص156، الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، 1998م، ص427.

(3) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، 1980م، ص32-33.

(4) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، د.أبو اليزيد العجمي، ص125، بتصرف.

ومهما قيل عن معنى الخلافة، فهي تبعية ومسؤولية يورثها السلف للخلف، ويتوقف على أدائها تحقيق التكريم، فلفظ الاستخلاف، يتسع ليشمل صورة الإنسان وهو يزرع؛ ليتمكن من العمل المنوط به في عمارة الأرض، كما يشمل جهده العقلي وهو يفجر الذرة، ما دام ذلك طريقاً يبتغي به وجه الله تعالى؛ لتحقيق معنى الخلافة[1].

وهذا الشمول في المفهوم، يتلاءم مع مركز الإنسان في هذا الكون، حيث لا ينبغي أن تعلو قيمتَه قيمةٌ ماديةٌ، أو تهدَّدَ من أجل ذلك كرامتُه، التي أكدها القرآن في مواضع شتى[2].

لقد ذكر الميداني فيما سبق، أن خلافة الله للإنسان فيها معنى التوكيل والإنابة، ولم يذكر معنى التشريف، فالاستخلاف للإنسان في الأرض، كما قال الله ﷻ:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:30]، هو على سبيل التشريف والإكرام؛ لقوله تعالى:﴿يا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة ص:26]، وليس كأن يقال إن الإنسان ينوب عن الله في التصرف في الكون، بإرادة مستقلة عن خالقه، فهذا كفر صريح، بل هو استخلاف للابتلاء والاختبار، في القيام بأمره وتطبيق شرعه.

إن هذه الخلافة من الله تعالى للإنسان في هذه الأرض، فيها تشريف له؛ لتلتقي إرادته مع إرادة الله الشرعية، وذلك بإحلال النظام في عمارة الأرض، وتطبيق شرعه والقيام بأمره، وإن الله تعالى أعلن هذه الخلافة في الملإ الأعلى، قبل ظهورها للحفاوة بالخليفة وتكريمه، وليس من هذا التكريم والحفاوة شيء للملائكة، أو للجن، أو لبشر سبقوه[3].

وقال تعالى:﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور:55]، فالتقوى هي مناط الاستخلاف، وعاقبتها التمكين؛ برفع راية الدين ما تحققت التقوى، ومن لازم ذلك سلب التمكين، ووقوع الخوف، إذا تركت التقوى، قال تعالى:﴿قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا

---

(1) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص125، بتصرف.

(2) انظر خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، 2002م، ص126.

(3) انظر الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، مكتبة وهبة، ط1، 1990م، ص341، بتصرف.

وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف:129]، أي يجعلكم خلفاء في الأرض، فتتضمن الآية نعمتين وهما: إهلاك عدوهم، والاستخلاف في الأرض، وقال تعالى:﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة هود:57]، أي ويجعل خلفاء غيركم، غير القوم الذين عصوه، يَعْبُدُونَهُ وَحْده لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شيئاً.

لقد خَلَقَ الله الإنسان ضعيفاً وجاهلاً؛ ولكنه على جهله وضعفه عبرة لمن يعتبر، وموضعاً لعجب المتعجب، فهو يتصرف في الأقوياء، ومع جهله في نشأته، يعلم جميع الأسماء، ويعطي قوة تتصرف بشعوره وإحساسه تصرفاً يكون له بها السلطان على هذه الكائنات، فيسخرها ويذللها كما يشاء، وذلك بعقله[1].

خلافة الإنسان في الأرض، اقتضاها ما يتحمل النوع الآدمي من أمانة إنسانيته، ومسئولية عمله وكسبه، وتبعة الابتلاء، من الجزاء أو العقاب في الدنيا والآخرة، والتي أعفى منها الملائكة، بالتسخير المطلق[2].

المطلب الثالث: منزلة الإنسان في الإسلام:-

أولا: التكريم الإلهي للإنسان:

إن أبوة آدم للإنسان، هي موضع التكريم؛ لذا يقول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثمَّ قُلْنا لِلْمَلآئِكَةِ اسجُدُواْ لآدَمَ فسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [سورة الأعراف:11]، فتكريم الإنسان الأول يتمثل في الأمر الإلهي، بأن يُسجد الملائكةُ له، ومنزلة الإنسان تكمن في تحرير عقله وإرادته وفكره، وليس في تحرير جسده فحسب[3].

لم يحظ مخلوق بمثل ما حظي به الإنسان، من تكريمه بالعقل؛ ليتفهم أموره ويستمتع بالحياة وفق منهج الله تعالى، ولكن واقع الإنسان يختلف عن هذا التصور، فمن الناس من فهم

(1) انظر القرآن وقضايا الإنسان، ص50.

(2) انظر مقال في الإنسان، ص41، تربية النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، أحمد محمد يحيى المقري، 1978م، ص63.

(3) انظر القرآن وقضايا الإنسان، ص51، وهناك مظاهر أخرى للتكريم سأذكرها فيما بعد إن شاء الله.

نصف الحقيقة، وغاب عنه النصف الآخر، فظن أنه مخلوق ذلِّلت له الصعاب، بدلاً من أن يفهم أنه مسئول عن هذا التكريم، فَهِمَ أن التكريم ينصبُّ على ذاته، فراح يعصى الله في ملكه بالطاقات التي زوَّده الله بها، الأمر الذي استوجب عتاب الله له، مذكراً إياه بخلقه من عدم، وحفظه في بطن أمه، وتعهده بالرعاية في كل زمان ومكان(1).

ولن تزول حيرة الإنسان، ولن يعرف واجبه في الحياة، حتى يدرك حقيقة نفسه، ويعرف مسؤوليته التي تنشر نور الله في الأرض، وإن تكريمه الذي أُعجِبَ به قوم وقفوا عنده، هو في الحقيقة توطئة وإعداد لدور هام، يقوم به الإنسان في مستقبل الحياة(2)، ولقد جاء لفظ التكريم مقروناً بلفظ التفضيل على كثير من خلق الله تبارك وتعالى، فقال ﷻ:﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [سورة الإسراء:70]، أي جعلنا لهم شرفاً وفضلاً ومحاسن(3).

فهو مخلوق مكرم على سائر الخلائق، محفوفٌ بالرعاية وتهيئَةُ الحياة له؛ لذا يقول سيد قطب رحمه الله:"ليست هناك قيمة مادية في الأرض، تعلو على قيمة هذا الإنسان، أو تهدِّدُ من أجلها قيمتُه"(4)، والإسلام ينظر إلى الإنسان كل متكامل، له حقوقه؛ ليؤدي مهماته وواجباتهُ.

الغاية من خلق الإنسان أنه مسئول أولاً، ثم مكرَّمٌ ومميَّزٌ ثانياً(5)؛ لتحقيق العبودية لله تعالى، التي هي معرفة الله وطاعته(6).

الإنسان من بين سائر المخلوقات، نيط به التكليف والمسؤولية، كما أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى:﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [سورة الأحزاب:72](7).

---

(1) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص8، بتصرف.

(2) انظر المرجع نفسه، ص7.

(3) انظر الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، 2003م، 293/10، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث العربي، 117/15.

(4) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص77.

(5) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص10.

(6) انظر المرجع نفسه، ص17.

(7) انظر معالم الثقافة الإسلامية، د.عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، 1982م، ص15.

تجدر الإشارة إلى أنه يفترض في الإنسان المكرَّم بالعقل أن يكون مُسلِماً؛ لأن من معاني الإسلام، الأمانة، والعبادة، والخلافة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد قـرر القـرآن ذلك فقال تعالى:﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [سورة آل عمران:19]، ولكن الانحرافـات التـي أصابت الناس لظروف كثيرة؛ أضلتهم، فبعث الله الرسل لتقويمهم؛ وليأخذوا بيد الإنسان إلى مـا أراد الله تعالى منه، ومن كان من جنس الإنسان، ولم يهتد من كتاب الله، ولم يُعمِل عقله لمعرفـة هدفه في الحياة وغاية خلقه، فقد حكم على نفسه بضرورة إخراجه من جنس الإنـسان الـسوي، وقد خسر الدنيا والآخرة، ومما يستدل به على ذلك قوله تعـالى:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:179]، وقولـه أيـضاً: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [سورة محمد:12]، لـذا يحرص الإسلام على ألا يُسقط الإنسانُ نفسه من إطار الإنسانية دون أن يشعر، وهذا ما وقعـت فيه كثير من المذاهب البشرية، حين حصرت الإنسان في مطالب الغـذاء والكـساء والجـنس، فالإسلام لا يرفض هذه المطالب؛ ولكنه لا يعتبرها غاية الوجود الإنساني[1].

ولقد بين الإسلام بشكل جلي وواضح، أن الإنسان إذا أعرض عن الإسلام والإيمان؛ فَقَدَ تكريمه الفطري الكوني، الذي ذكَّره الله تعالى به، في قوله:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سـورة الإسراء:70]، وأصبح مهاناً منحطاً في نظر الله، ثم في نظر المسلمين؛ ولذلك لم تأت الـشريعة بالمدح المطلق للإنسان، كما يتوهم البعض.

بل إن القرآن الكريم بيّن في مواضعَ كثيرة، ذم الإنسان إذا فَقَدَ الإيمان، ومن ذلك قولـه تعالى:﴿قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ﴾ [سورة عـبس:17]، وقولـه تعـالى:﴿وَكَانَ الإنسان كَفُورًا﴾ [سورة الإسراء:67]، وقوله تعالى:﴿إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُود﴾ [سـورة العاديـات:6]، وقولـه تعالى:﴿كَلا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى﴾ [سورة العلق:6]، ومن تدبر المواضع القرآنية التي ورد فيهـا مفهوم الإنسان، وجد أن الله سبحانه وتعالى يذم جنس الإنسان بمذامٍ متنوعة، ثـم يـستثني مـن عموم هذا الذم أهل الإيمان[2].

---

(1) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص165-169.

(2) انظر مآلات الخطاب المدني، إبراهيم السكران، 57/1.

ومن ذلك أن الله تعالى أقسم بالزمان، على أن الإنسان في خسارة تامة، كما قال تعالى:﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ**﴾ [سورة العصر:1-2]، ثم أتبعها باستثناء أهل الإيمان من هذه الخسارة؛ فقال:﴿**إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[سورة العصر:3].

وذم الله الإنسان لاتصافه بصفة الهلع والجزع والشح، ثم استثنى أهل الإيمان، كما قال تعالى:﴿**إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلا الْمُصَلِّينَ**﴾ [سورة المعارج:19].

وذم الله الإنسان؛ لاتصافه بالقنوط والجحود والبطر، ثم استثنى أهل الإيمان، كما قال تعالى:﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نزعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [سورة هود:9-11].

وذم الله الإنسان لاتصافه بالظلم والجهل، ثم أعقب ذلك بالتمييز التفصيلي بين جنس هذا الإنسان، الظلوم الجهول، على أساس الموقف الديني، فقال تعالى:﴿**وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا، لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [سورة الأحزاب:72-73]، وهذا المعنى المتضمن ذم جنس الإنسان، ثم استثناء أهل الإيمان، له نظائر كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ(1).

ومعلوم أن من قضية التكريم أن لا يُحْكَمَ بنجاسة الإنسان بالموت، سواءً المسلم أو غير المسلم (2).

إن الإنسان في أصل خلقه مكرَّم؛ لعموم قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [سورة الإسراء:70] مسلمهم وكافرهم، فمن الناس من يرتقي بتكريمه أقصى الدرجات، ومنهم من يرتكس وينحط أدنى من درجة أخس الحيوانات والبهائم، بمدى التمسك بالإيمان، أو بالرغبة

---

(1) انظر مآلات الخطاب المدني، 57/1.

(2) انظر الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، محمد الشربيني الخطيب، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، ط1، 2001م، 29/1.

عنه، قال تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة التين:4-6].

الإنسان هو المقصود من كل ما جاء في القرآن الكريم، من التشريعات والآداب والفرائض والثواب والعقاب، لتصحيح عقيدته وتهذيب سلوكه[1].

ثانيا: مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان:

1- تسويته في أحسن صورة، ونفخ الروح فيه، وإسجاد الملائكة له، قال تعالى:﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر:29]، وعلى المرء أن يؤمن بأن الله تعالى بث روح الحياة في الطين، فسوى الطين، ثم خرج منها آدم عليه السلام، وليس له أن يفرض عليه كيفية التسوية، والنفخ والخلق، وأن يقرر لها وقتاً محدداً، وحسبه أن يفهم أن التسوية والنفخ ومراحل الخلق، تكريماً يوجب الشكر ويقتضي المسؤولية، قال تعالى:﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التغابن:3]، قال تعالى:﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [سورة الانفطار:7]، أي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة؛ فنصبها في أحسن الهيئات والأشكال[2]، فتكريم الإنسان إذن بأن خُلق في أحسن صورة وخُلق سوياً، وحُصرت عملية تزاوجه في بني جنسه[3]

2- (الإنسان مكرم بالعقل، الذي تتم به معرفةُ الله تعالى، وفهمُ كلامه، وتصديق رسله، فالإنسان فُضّل على الحيوانات كلها في نفسه وجسمه، أما فضله في نفسه، فبالقوة المفكرة التي بها العلم، والعقل، والحكمة، والتدين، والرأي، فإن البهائم وإن كانت تحس وبعضها يتخيل، فليس لها فكرة ولا رؤية، ولا استنباط المجهول من المعلوم، ولا تَعْرِفُ علل الأشياء ولا أسبابها، وليس في قوتها تعلُّم الصناعات الفكرية وغيرها)[4].

والعقل يعرف الخير من الشر، ويهدي إلى الفضائل وينفر من الرذائل، وإن كان يُرجع الحكم في نهاية الأمر للشرع، فهو يميز الإنسانَ عن سائر الحيوانات، ويقود صاحبه إلى الخير وإلى الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الإنسان.

---

(1) انظر مجلة دعوة الحق، من حديث القرآن عن الإنسان، 7/87.

(2) انظر خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ص109- 114، حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص77.

(3) انظر المرجع نفسه، ص109-114.

(4) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص25.

ولقد احترم الإسلام عقل الإنسان، وعدّ حمايته من الضرورات الخمس، وحمايتُهُ جـاءت بسد الذرائع الموصِّلة إلى الإخلال به، فكان تحريم المسكرات، وما يحدث بالعقل خللاً؛ فشرع حد الخمر، وجعل في ذهاب العقل بالاعتداء الديةَ كاملةً؛ لأن الإنسان بدون العقل أقلُّ من كثير من الحيوانات[1].

3- اعتدال القامة، والقدرة على العمل، والإرادة والفطنة والجمال، كما قال الله تعالى:﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [سورة التين:4]، هي معانٍ توحي إلى أن لخلق هذا المخلوق مراد أشرف من حياته الحيوانية، وهي برهان من براهين التبليغ برسالة الغيب، عسى أن يرى آثار الخالق في خلقه[2]، قال تعالى:﴿**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [سورة النحل:78]، وهذه الحواس لها دور سماع أوامر الله، والتأمل في مخلوقاته، واللسان له آلة التبليغ والإفهام الذي يعلي صاحبه أو يدنيه[3].

4- كرَّم الله الإنسان بأن جعل له حرية واختياراً، يتواءم مع دوره ورسالته، فيجالد نفسه ويجاهدها، ويستعلي على غرائزها الرذيلة، بل هو ليس بإنسان إن لم يعمل على ضبط نفسه وشهواتها[4].

وهذه الحرية طريقُ التكليف، وشرطٌ له، ولا يُتَصور مكلَّفٌ بدون حرية يختار بها ويحاسَب على أساسها، فالإنسان بحكم موقعه بين الحيوان والملائكة -الذين لا يعصون الله ما أمرهم- يوصف في القرآن بالمتضادات، فهو الخليفة في الأرض، والمكرم على كثير من خلق الله، ثم هو الظلوم الجهول، وهو الذي يطغى أن رآه استغنى، ووصفُهُ بهذه الأوصاف يؤكد حريته وإرادته واختياره[5].

---

(1) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص87-88.

(2) انظر الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد، دار الإسلام، 1973م، ص230.

(3) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص83.

(4) انظر الإنسان في القرآن، ص257.

(5) انظر خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص204.

5- الإنسان مكرم بالعلم، وإنه لَتشريف وتكريمٌ له، حين يقرأُ أو يتعلم، أو يكتب بالقلم، وليست قيمته في هيبته وصورته، ولا في بأسه وقوته، ولا في إقباله على شهواته، فالذي يميزه عن غيره هو اكتسابه للعلم، والبدء بأول درجة من درجاته، وهي القراءة والكتابة[1].

6- ومن مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان، تهيئة الحياة له، وتسخير ما فيها لمنفعته، وتَمَكُّنه من دوره الذي خلقه الله من أجله، ولو علم أصحاب اتجاه تأليه الطبيعة، أو مَن حَصَرَ الإنسان في دائرة الاقتصاد، كم يحطُّون من كرامة الإنسان؛ لبحثوا عن تصور آخر يُعلي شأن الإنسان، ولن يكون ذلك إلا من تصور يدرك أن الله هو الخالق للإنسان والكون، وما بينهما من تأثير وتأثر[2].

7- إن من مظاهر تكريم الإنسان وبيان منزلته، إرسال الرسل وإنزال الكتب له، فبعد أن كرَّم الله تعالى الإنسان في تكوينه جسماً وعقلاً وإرادة، وهيأ له الكون للحياة تسخيراً وانقياداً، ما كان لرحمته وفضله أن يترك الإنسان يتعامل مع الكون بعقله وحده، فكان إرسال الرسل إرشاداً للإنسان ليتعامل مع الكون، وسياجاً يحمي العقل من الانحراف؛ لأن العقول تختلف من شخص لآخر، وهي جزء من التكوين الجسمي، تخضع لبعض الهوى أحياناً، وتتأثر بضعف الجسم ومرضه أحياناً أخرى، فلابد من إرسال رسل للتبليغ، وبيان الخير والشر؛ لأن الإنسان يحتاج لقانون ونظام يحكم حياته، وينظم شؤونه؛ لتكون حياته وفق مراد الله من خلقه، قال تعالى:﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة النساء:125] [3].

إن استخلاف الإنسان في هذه الأرض، وتكليفه بالعبادات، وتحميله الأمانة دون سائر الموجودات؛ ليعتبر أعظم مكانة له، وأسمى منزلة في تشريفه وتكريمه[4].

وبهذا القدر تبين لنا مهمة الإنسان على الأرض، ومكانته فيها، والغاية من وجوده وعناية الله له، وتفضيله على سائر المخلوقات.

---

(1) انظر إنسانية الإنسان في الإسلام، د.آمنه محمد نصير، دار الشروق، 1989م، ص63.

(2) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص100.

(3) انظر الإنسان والكون في الإسلام، ص73، بتصرف، حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص112-113.

(4) انظر إنسانية الإنسان في الإسلام، ص39.

المبحث الثاني

الإنسانية في الفكر الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم الإنسانية في الفكر الإسلامي.

تتمثل إنسانية الإنسان، في أن يكون بياناً وسمعاً ووعياً وإدراكاً، وبصيرةً وتمييزاً وهدىً، وإلا مُسخت إنسانيته؛ فهبط إلى دونية الدواب العجماء، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:179].

إن جوهر إنسانية الإنسان، يتمثل في حمل الأمانة، وتحمل تبعات التكليف، ومسؤولية الثواب والعقاب، كل ذلك بما هيأ الله له من وسائل التعقل، والتبصُّر والتمييز بين الخير والشر[1].

تتمثل أيضا إنسانية الإنسان في الارتقاء إلى الدرجة التي تؤهِّلُهُ للخلافة في الأرض، واحتمال تبعات الأمانة؛ لأنه المختص بالعلم، والبيان، والعقل،والتمييز، مع ما يلابس ذلك كله، من تعرُّضٍ للابتلاء بالخير، والشر، وفتنة الغرور، بما يحس من قوته وطاقته، وما يفخر به من مكانته بين الكائنات الأخرى، ومع ذلك فهو ينسى أنه المخلوق الضعيف، الذي يعبُرُ رحلة الدنيا من عالم المجهول إلى عالم الغيب، على الجسر المفضي إلى حفرة من تراب[2].

اكتسب الإنسان إنسانيته المتميزة عن سائر طبائع المخلوقات حوله، من كونه مخلوقاً فيه نفخة من روح الله، فالإنسانية ثابتة له[3]، ومعلوم أن الإنسان يمر بأطوار جنينية شتى، من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم يصير جنيناً، ثم طفلاً، ثم شاباً، ثم يصل لمرحلة الشيخوخة، ويمر بأطوار اجتماعية شتى، يرتقي فيها أو ينحط؛ حسب اقترابه أو ابتعاده من مصدر إنسانيته ومن غاية وجوده؛ ولكن هذه الأطوار لا تخرجه من حقيقة إنسانيته الثابتة، ونوازعها وطاقاتها، واستعداداتها المنبثقة من حقيقة إنسانيته[4].

---

(1) انظر مقال في الإنسان، ص18.

(2) انظر القرآن وقضايا الإنسان، ص19، مقال في الإنسان، ص15.

(3) انظر الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ط10، دار الشروق، 1989م، ص19-24، حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص20.

(4) انظر خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص76.

لقد عنى الإسلام بتثبيت إنسانية الإنسان، ومراعاة جانبيها النظري والعملي، ومبادئ الإسلام تفيض بجميع هذه المعاني والمبادئ[1].

ومن مراعاة الإسلام لإنسانية الإنسان وتعظيمها، تحريم التجارة والكسب ببعض أجزاء الجسم، أو إساءة استخدام جوارحه بأي صورة من صور الإساءة، وإن الإقبال على الفواحش لهو خيانة وإساءة لأمانة الجوارح، ولقد شدد الله تعالى على من ارتكب الرذائل؛ تكريماً للإنسان وصيانة له[2].

إن تحقيق الإنسان لإنسانيته مرهون بتمسكه بالفضائل والقيم الحميدة، المنبثقة عن التصور الاعتقادي السليم، والبعد عن كل ما يتنافى مع كرامته؛ ليرتفع لأرقى صورة، وأسمى بداية، وأعظم وظيفة[3].

وأصول المعاني الإنسانية الفاضلة مجموعةٌ في العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، حتى ليمكنُنا أن نُرجِع إليها كل مكارم الأخلاق، قال تعالى:﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [سورة النحل:90].

يحقق الإنسان أصلح ما في إنسانيته -وهو حريته- بالعمل، وبالعمل يحقق أصلح ما في الكون، فبالعمل يتحرر الإنسان؛ ليكون منتجاً، وقائماً باستخلافه في الأرض، قال تعالى:﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ [سورة التوبة:105] [4].

إن للمسلم أن يفخر بعقيدته التي أقرت حاجات الجسد وحاجات العقل والروح، فأشبعت هذه الحاجات، فحققت للإنسان المسلم إنسانيته في صورة مثالية نادرة منقطعة النظير، عاش بها إنساناً فاضلاً، لم يهبط مطلقاً إلى مرتبة الحيوان، التي تهبط إليها المذاهب الفكرية الحديثة[5].

---

(1) انظر إنسانية الإنسان في الإسلام، ص28.

(2) انظر المرجع نفسه، ص47.

(3) انظر المرجع نفسه، ص48، بتصرف.

(4) الإسلام والإنسان، د.حسن صعب، دار العلم للملايين، ط1، 1980م، ص89.

(5) انظر العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة، د.عبد الغني عبود، ط2، 1980م، دار الفكر العربي، ص127.

المطلب الثاني: خصائص الإنسانية في الفكر الإسلامي ومقوماتها:-

إن حمل الإنسان للأمانة، من أخص ما يميز الإنسانية في القرآن الكريم، والأمانة هي الابتلاء بتبعية التكليف، وحرية الإرادة، ومسئولية الاختيار، وإن عرض الأمانة على الأرض والجبال والسموات وإشفاقُهُن منها، وإباؤهن حملَها، كل ذلك على سبيل المجاز، بياناً لصعوبة الأمانة وباهظ عبئها[1]، حيث تقول العرب: قال الجدار للوتدِ لِمَ تَشقُّنِي قال: سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي، فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في الكلام، فيصح حمل الكلام عليه[2].

ويحتمل أيضا أن يكون كلام السموات والأرض والجبال، كلاماً يليق بهن[3]، وذلك بقدرة الله تعالى، حيث يقول:﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [سورة فصلت:11].

1- خصائص الإنسانية:

أولاً: حمل الأمانة:

قال الله تعالى:﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ**﴾ [سورة الأحزاب:72]، فحمل الإنسان للأمانة؛ تحقيقاً لذاته وممارسةً للخلافة في الأرض، ولو قَبِل الإنسان التسخير؛ لأعفاه من المسؤولية والحساب، كما أعفى التسخيرُ السماوات والأرض عن حمل المسؤولية والاستعداد للحساب، فما عادت توصف بجهل وظلم، أو تمتحن بنفاق وشرك، أو تتعرض لجزاء من عقاب أو ثواب، ولكن الإنسان أبى إلا أن يتحمل أمانة إنسانيته، وإن جهل خطرها، وقصر في الوفاء بكل حقوقها، قال تعالى:﴿**وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [سورة الأحزاب:72].

ولا يعني قصور إدراك الإنسان لتبعة الأمانة، أو تقصيرُه في أداء حقها على الوجه الأكمل، أن يُؤْثِرَ السلامة فيشفقَ من حملها ويأباها، بل لا بأس عليه من مخاطر الابتلاء وعثرات الجهل، فإنما العبرة بصدق النية، صحة الإيمان، وتقوى الله، ومجال التوبة مفتوح أمام الإنسان الذي يتعثر ويخطئ؛ فتصهره التجربة، ويتعلم من خطئه؛ ليصل إلى الحق، ومن هنا

---

(1) انظر القرآن وقضايا الإنسان، ص71-72.

(2) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص الدمشقي الحنبلي، تحقيق:عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، 381/9، بتصرف.

(3) انظر التسهيل لعلوم التنزيل، 1911/1، تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، 1997م، 40/5.

كان حمل الأمانة ابتلاءً للإنسان، وليس مستحيلاً أن نرى أثر حمل الإنسان للأمانة، بخلافته في الأرض[1]، فإن أخطأ أو قصَّر؛ لضعفه وخطئه، فالله عفو غفور.

لقد اختلف الناس في معنى الأمانة على أكثرَ من عشرة أقوال[2]، من هذه الأقوال، أن الأمانة: هي التكاليف أو العبودية، أو أمانة المال أو الجوارح، أو أمانة العقل، والراجح أن الأمانة هي القيام بالتكاليف الشرعية؛ لأنها تعتبر مناسبة لطبيعة الإنسان وفطرته، ففي الوفاء الإثابة، وفي الخيانة والغدر العقوبة[3].

وكان عرض الأمانة؛ ليَظهرَ إيمان المؤمن ونفاق المنافق، وكفر الكافر، فيتوب الله على المؤمن ويعذب الكافر والمنافق، وتوبة الله على المؤمن أعظم دليل على مراعاته لإنسانية الإنسان في ضعفه، وفي حال عظم شأنه، فضعفه عند ارتكاب المعاصي، وعظم شأنه عند تهيئته لحمل الأمانة العظيمة[4].

ثانياً: إن من خصائص الإنسانية؛ احترام الإسلام للإنسان، فقد احترم الإسلام إنسانية الإنسان، في أدق وأحرج فترات حياة أيِّ أمة، وهي حالة الحرب أو القتال[5].

ومن إنسانية الإسلام دقته في تنفيذ الحدود، فإن الشريعة أوجبت ألا تُستَوفى إلا إذا وقعت الجناية وقوعاً قطعياً، لا مجال لشك أو شبهة فيه[6].

ثالثاً: ومن خصائص الإنسانية أيضا، الإعانة على المسؤولية، فإن الإنسان يذهل ويحتار ويضِل؛ إن نظر لنفسه على أنه مخلوق مميز مكرم مسئول، عليه تبعات فحسب، دون أن يؤمن أنه مُعانٌ على هذه المسئولية والتبعات، ولا يكون هذا الذهول والحيرة والضلال، إلا لمن أعرض عن ذكر الله تعالى، وإن عاش حياته الحيوانية كما أراد، يدل على ذلك قوله تعالى:﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [سورة طه:123-124] [7].

(1) انظر القرآن وقضايا الإنسان، ص74-75.

(2) انظر إنسانية الإنسان في الإسلام، ص44

(3) انظر المرجع نفسه، ص47، بتصرف.

(4) انظر المرجع نفسه، ص44.

(5) انظر المرجع نفسه، ص115.

(6) انظر المرجع نفسه، ص81.

(7) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص126.

ولكن المسلم يرى أن هذا التكريم نعمة، لابد أن يؤدي شكرها، فالتكريم عنده طريق المسئولية التي تتحقق الإنسانية بها، والمسلم يدرك مسئوليته من معنى خلافته في الأرض، وعبوديته لله تعالى، وحمله الأمانة، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر[1].

فشعور المسلم بالمسؤولية يحرره، ويجعله بعيداً عن عبودية أحد، إلا لله تعالى، فالإنسان المسلم يرتفع عن حضيض الحيوانية البغيضة بمسؤوليته في هداية الناس وإصلاح أحوالهم، وحماية اعتقادهم وعبادتهم، واستبعاد عنصر القوة المادية في ميدان العقيدة، والقيام بالقسط، ومقاومة الشر والفساد في الأرض، قال تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ [سورة آل عمران:110] ؛ ذلك لتحقيق إنسانيته وميزته العظيمة، ألا وهي الخلافة في الأرض؛ التي بها ينفِّذُ منهج الله قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، وإن لم يدرك مسؤوليته؛ صار كالحيوان؛ بل أضل، كما قال تعالى:﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال:22]، وقال جل ذكره:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:171]، فتتحقق إنسانية الإنسان بمقدار النجاح في الدور الذي حددته له مسؤوليته، من إقامة العدل والعبادة بمعناها الشامل، لا بالمادة والعمران الدنيوي[2].

والمعاني التي تتحقق الإنسانية بوجودها هي: مجموعة السمات الطيبة لرحلة الابتلاء والاختبار، وبمعنى آخر إنها الحصيلة التي تنطق بأن من اتصف بها وحقق مضمونها، هو الإنسان الذي تحمل مسئوليته كاملة، وكان أميناً في أداء الأمانة كما طُلب منه[3].

الإنسانية الحقة لها مقوماتها، التي لا توجد بدونها، وهذه المقومات تستمد حياتها عن طريق الحواس التي تؤتي ثمرتها، ومن العقل الذي يقود إلى الصراط المستقيم، وهذه المقومات معان سامية، تعلو بمن يمارسها إلى ما يتفق مع مكانة الإنسان الفاضل، الذي جعله الله خليفة في الأرض[4] .

فكل ما أمر الله به من أخلاق كريمة، ومُثُلٍ عليا، هو أساس في بناء مقومات صرح الإنسانية؛ والإيمان هو أساس لهذه المقومات، فعناصر الإيمان هي أسس المعاني الإنسانية

---

(1) انظر حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، ص156-157.

(2) انظر نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب، دار الشروق، 1975م، ص100-102.

(3) انظر مقومات الإنسانية في القرآن الكريم، د.أحمد ابراهيم مهنا، 2000م، ص22.

(4) انظر المرجع نفسه، ص22.

ومقوماتها، قال تعالى:﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:177] .

الإيمان بالله لابد أن يشمل الإيمان بوجود الله تعالى والإيمان بإلوهيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بعدله.

فالإيمان يعود على المرء بالخير؛ لأن الإيمان بالله يؤكد إنسانية الإنسان، ويحرره من العبودية لغير الله، ويبرهن على انتفاعه بما وهبه الله من قوة الإدراك والفهم، وعلى استحقاقه ليكون خليفة الله في الأرض، يعمُرَها ويشيع الخير والسلام الحقيقي فيها[1].

2- أبرز مقومات الإنسانية الحقة من منظور إسلامي:-

أولاً: ثبات العقيدة، بحيث لا يعتريها ضعف ولا يتطرق لنفس صاحبها شك، قال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات:15]

فأصحاب العقيدة الثابتة، لا يسعهم إلا الخضوعُ والطاعةُ، لكل ما يصدر عن الله ورسوله من حكم، ولا يقيمون وزناً لرغباتهم الشخصية؛ إذا تعارضت مع ما يمليه حكم الله عليهم، قال تعالى:﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور:51]، فالإيمان الثابت قوة، تدفع صاحبها دائماً لطاعة الله والتضحية في سبيل دينه، دون تردد.

ثانياً: الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس؛ لقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات:15]، ولا يتأتى الجهاد في سبيل الله على الوجه الأكمل، ولن يتحقق إلا من مؤمن ملأ

(1) انظر مقومات الإنسانية في القرآن الكريم، ص45، بتصرف.

الإيمان عليه قلبه ونفسه، واستأثر حب الله وحب رسوله وحب دينه بكل جارحة من جوارحه، مما يجعله يقدم ماله ونفسه طائعاً مختاراً في سبيل الله[1].

ثالثاً: المسالمة البناءة وعدم الاعتداء على الغير، لو كان مخالفاً للمسلم في عقيدته؛ لأن الإسلام لا يُقِرُّ الظلمَ ولا يبارك العدوان[2]، قال تعالى:﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَّ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة:190-193]، فدعا الإسلام إلى كبح جماح الرغبة في الانتقام، إذا اعتُديَ على النفس البشرية، وفي ذلك أروع التجسيد للقيم الإسلامية والإنسانية الحقة، وتقويم للسلوك.

رابعاً: العدل في جميع أبعاده، والعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، سواء كان مادياً أو معنوياً، وقد أمر الله به، فقال:﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل:90].

خامساً: الإعراض عن اللغو، قال الراغب الأصفهاني: اللغو من الكلام ما لا يعتد به، وهو الذي يورد لا عن رؤية وفكر، وقد يسمى كل كلام قبيح لغو[3]، قال تعالى:﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة القصص:55].

سادساً: الإخلاص لله تعالى، فلابد لعبادة الإنسان أن تكون خالصة لله وحده سبحانه، وأن يقصد بها وجه الله تعالى، قال تعالى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَّ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر:2]، والإخلاص لله في الاعتقاد أمر فطري، يتوجه إليه الإنسان عندما يتخلص من مؤثرات البيئة، وخاصة عندما يقع الإنسان في مأزق، ويحاط به، ويظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، كما قال تعالى:﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [سورة لقمان:32] [4] .

---

(1) انظر مقومات الإنسانية في القرآن الكريم، ص137، بتصرف.

(2) انظر المرجع نفسه، ص142.

(3) انظر المفردات في غريب القرآن، ص451.

(4) انظر مقومات الإنسانية، ص151-153، بتصرف.

سابعاً: العفة، والمحافظة على العرض، قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [سورة المؤمنون:5-7]، بهذا النص أباح الله تعالى للمؤمن إشباع غريزته، ومسايرة ما خلق عليه من طبيعة يشارك الحيوان فيها؛ للمحافظة على نوعه، واستمراراً لعمارة الكون، أقام الإسلام سياجاً قوياً بين هذه الطبيعة، وبين ما يجب أن يكون عليه الإنسان من تنظيم لنسله، وتحديد للصلة بين أجياله المتعاقبة[1]، ولا يتم ذلك إلا بالزواج، أو بنكاح ملك اليمين.

ثامناً: الشكر أو الاعتراف بالجميل، ولا يتحقق ذلك إلا إذا آمن المرء بمصدر النعمة ومُسديها، وأيقن بالحاجة الدائمة إليه، وعدم الاستغناء عنه، فالشكر قائم على الإيمان العميق والإحساس بالواجب[2]، ومن هنا كان الشكر مرادفاً للإيمان، وتركه مرادفاً للكفر، قال تعالى:﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾ [سورة البقرة:152].

تاسعاً: قوة الإرادة وضبط النفس، فيتركز الفرق بين الإنسان والحيوان، في استخدام ما وهبه الله من قوة التفكير والتدبر، ويصلح عن طريقها شأنه، وتتحقق بها مسئوليته، عما يصدر منه من تصرفات .

ولا يوجد مجال يتضح منه الانتفاع بنعمة الفكر والتدبر، كالمواقف التي تستدعي قوة الإرادة وضبط النفس؛ لأنها تتطلب من الإنسان التغلب على طبيعته الفجة، والترفع عن الخضوع لرغباته الجامحة، وتحقيق معنى الإنسانية في تصرفاته كلها[3].

المسلم القادر على الانتقام ممن أساء إليه، مطالَب بأن يضبط نفسه، ويعلو عن مستوى العاطفة الطبيعية، إلى مستوى الإنسانية؛ فيقابل السيئة لا بالعفو فحسب؛ بل بالحسنة، وإسداء المعروف، قال تعالى:﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [سورة فصلت:34].

عاشراً: التعاون والإحسان للغير، فكل صور البر والتعاون وأعمال الخير، هي من المعاني الإنسانية النبيلة، التي أمر الله تعالى بها، فقال:﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [سورة المائدة:2].

---

(1) انظر مقومات الإنسانية، ص119.

(2) انظر المرجع نفسه، ص155.

(3) انظر المرجع نفسه، ص167-168، بتصرف.

المطلب الثالث: معوقات التحلي بالمعاني الإنسانية الفاضلة:-

المعلوم أن طبيعة الإنسان صالحة للميل للخير أو الشر، ولكنه يغلب على هذه الطبيعة جانب الخير، ولو ترك الإنسان وشأنه، دون أن تتكالب عليه عوامل الفساد، لما حاد عن الطريق القويم قال تعالى:﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة الروم:30].

ومما يعيق هذا الإنسان من عوامل للفساد والشر، ما يكمن في نفسه، ومنها ما يأتيه من خارج نفسه، وهذه العوامل الخارجية يتزعمها إبليس عليه لعنة الله، ولكي يحتفظ الإنسان بإنسانيته عليه معرفة معوقات المعاني الإنسانية النبيلة؛ ليضعفها وليتحصن بما يردُّ تأثيرَها عليه، ومن هذه المعوقات ما يلي:

1- البعد عن الشورى -تلك الفريضة الشرعية- والتفرد والاستبداد في الحكم، والنيل من كرامة الإنسان، قال الله تعالى:﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [سورة آل عمران:159].

2- العلو على الخلق، قال ابن تيمية:"إرادة العلو على الخلق ظلم؛ لأن الناس من جنس واحد، فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ظلم، والناس يبغضون من هو كذلك، ويعادونه؛ لأن العادل منهم لا يحب أن يكون مقهوراً لنظيره، وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر"[1]، والله تبارك وتعالى يقول في خبر فرعون وجنوده، وصدهم عن دعوة موسى عليه السلام:﴿**قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة يونس:78].

3- قعود إبليس، وجنوده لمصارعة الإنسان؛ لإيقاعه في معصية الله تعالى، أضف إلى ذلك العوامل المتمثلة في ميول الإنسان، وتأثير البيئة عليه[2]، قال تعالى:﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [سورة: فاطر:6]، وقال سبحانه:﴿**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا**﴾ [سورة الأعراف:27].

---

(1) انظر السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط دار المعرفة، ص217، إنسانية الإنسان في الإسلام، ص135.

(2) مقومات الإنسانية في القرآن الكريم، ص11.

4- الشح، الذي يقوض بنيان الجماعة الإنسانية، ويشيع الفساد فيــها، قال ﷺ:(**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَــإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَــى أَنْ سَــفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**)(1).

5- الاستكبار والعتو في الأرض بغير الحق، والظلم واحتقار الناس ورفض الحق إذا بــان، وإن الاستكبار يكون من محبة التأله في نفس المستكبر، ومــن عــدم الإيمــان بــالآخرة، والبعــث، والجزاء، وبالعدل الذي سيقيمه الله تعالى؛ فينتصف للضعفاء والمظلومين، قال تعــالى:﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [سورة الأنبياء:47].

6- قسوة القلب، وقصور التراحم بين المؤمنين، وذلك دافع للمستكبر أن يلــبس ثيــاب الغلظــة والقسوة، وترك الإعذار والمسامحة، قال تعالى:﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [سورة الأنعام:43].

7- إتباع الأهواء، واتخاذ الهوى إلهاً، وعدم الانتفاع بما أنعم الله به على الإنــسان، مــن عقــل يعينه على التمييز بين الحق والباطل، قــال تعــالى:﴿**لاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ [سورة النساء:135]، وقــال تعــالى:﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [سورة ص:26].

فإتباع الهوى، والبعد عن أوامر الله وأحكام شرعه، مسايرة للنفس الغرّارة التــي تُــرْدِي صاحبها في المهالك، فبإتباع الأهواء، والسير خلف الــشهوات، يكــون الهــلاك، والخــسران، والخذلان، ويكون البعد عن الآخرة، وعدم العمل لها، قال جلت كلمته، وعظمــت حكمتــه:﴿**فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**﴾ [سورة طه:16]، فتــضيع القــيم، وتــضيع الرفعة، وتضيع المبادئ بإتباع الأهواء، قــال تعــالى:﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث**﴾ [ســورة الأعراف:176]، فمن نسي إنسانيته وتكبر على الحق وجب ألا يطاع؛ حتى لا يؤدي ذلك لنسيان

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم:6741.

القيم والأخلاق، قال تعالى:﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [سورة الكهف:28].

8- التقليد الأعمى للغرب الصليبي، فيما يصدِّره للمسلمين من منتوجات، وصناعات مدمرة للإنسان، وقاتلة للحياء والمروءة عند الرجال والنساء.

9- المكر اليهودي، ودوره في نشر الإلحاد والإباحية والتحلل الأخلاقي.

10- قيام الغرب بالغزو الفكري، والثقافي للمجتمعات الإسلامية، من خلال المؤسسات، والبيوت، وأماكن العمل، وذلك بمذاهب وأفكار غربية، مدمرة للقيم والأخلاق؛ ذلك لأن القيم إن لم تكن مبنية على أسس عقائدية سرعان ما تجرفها التيارات الفكرية وتهدمها، فتزول وتمحى من سلوك الإنسان ومن واقع حياته.

ولعل هذه الفقرة الأخيرة، هي أهم هذه المعوقات -وغيرها كثير- وأساسها؛ لذا لابد من التصدي بكل ما أوتينا من قوة، لبحر الأفكار الانحلالية والانهزامية؛ الرامية لسلخنا من عقيدتنا وقيمنا؛ لنحقق إنسانيتنا ونقوم بمسؤولية الخلافة في هذه الأرض.

الفصل الثاني

الإنسان وجوده وغايته في الفكر الغربي المعاصر

ويتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول :منزلة الإنسان في المذاهب الفكرية:

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: منزلة الإنسان في النظرية البراغماتية.

المطلب الثاني: منزلة الإنسان في الفكر الشيوعي.

المطلب الثالث: منزلة الإنسان في الرأسمالية.

المبحث الثاني: دعاوى الماديين حول وجود الإنسان وغايته:

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: وجود الإنسان وغايته في النظرية الدارونية.

المطلب الثاني: وجود الإنسان وغايته في الفلسفة الوجودية.

المطلب الثالث: وجود الإنسان وغايته في الفلسفة الواقعية.

المطلب الرابع: وجود الإنسان وغايته في مذهب العبثية.

المبحث الثالث: الإنسان في المذهب الإنساني:

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: نشأة مذهب الإنسانية.

المطلب الثاني: الإنسان وجوده ومنزلته في مذهب الإنسانية.

المطلب الثالث: علاقة مذهب الإنسانية بالديمقراطية والعلمانية.

المبحث الأول

منزلة الإنسان في المذاهب الفكرية

المطلب الأول: منزلة الإنسان في المذهب البرجماتي:-

أولاً: البرجماتية لغةً واصطلاحاً:

أ- البرجماتية لغة:

كلمة البرجماتية في أصلها اللغوي، اسم مشتق من الكلمة اليونانية (براغما) (pragmatique) بمعنى (action)، وتعني أداء أو عمل، أو فعل أي شيء كان[1]، وهذا اللفظ اليوناني هو أصل اشتقاق (practice) بمعنى عملي، أو العمل النافع أو المزاولة المجدية[2]، والبرجماتية هي أيضا ما يختص بالعمل أو بالنجاح[3]، ويصبح المقصود منها المذهب العملي أو المذهب النفعي[4].

ب- البرجماتية اصطلاحاً:

مذهب فلسفي سياسي يعتبر نجاح العمل هو المعيار الوحيد للحقيقة[5] فالفكرة الصحيحة هي التي يتم التحقق منها تجريبياً، ولا يقاس صدقها إلا بنتائجها العملية[6].

وتعرَّف بأنها فلسفة تحاول تطبيق الأساليب العلمية على الفلسفة، وتتركَّز فكرتها الأساسية على أنَّ أي معنى أو حقيقة لأي فكرة يتحدد بتأثيرات الفكرة في الممارسة والسُّلوك[7].

والبرجماتية أيضا هي مذهب فلسفي اجتماعي نفعي، يرى أن الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية، والمعرفة آلة أو وظيفة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية

---

(1) انظر موسوعة لالاند الفلسفية، موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات، ط2، 2001م، 1012/2، المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، 1928م، 203/1.

(2) انظر المعجم الفلسفي، د.عبد المنعم حنفي، الدار الشرقية، ط1، 1990م، ص43.

(3) موسوعة لالاند الفلسفية، 1013/2.

(4) انظر المذاهب الفلسفية المعاصرة، سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي، ط1، 1973م، ص49.

(5) موسوعة السياسة، د. عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 767/2، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص32.

(6) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 203/1.

(7) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م، 638/10.

ما يكمن في مدى كونها مفيدة للناس، كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان؛ لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال[1].

يتضح أن البرجماتية فلسفة تقوم على تحديد الحق والصواب عن طريق إخضاعه للتجربة، وبنتائج الأفكار النفعية العملية في سلوك الإنسان؛ فيلزم من ذلك أن من جرَّب فكرة أو عقيدة وكانت فاسدة، فهي صحيحة وصادقة ما دامت نافعة له ومُرْضية لسلوكه، وهو أمر مناقض للإسلام القائم على الاعتقاد الجازم والإيمان بالغيب بعقائد سليمة دون النظر لنتائجها العملية، والتحقق منها تجريبياً.

إن واضع الفلسفة البرجماتية هو تشارلز بيرس[2]، والمؤسس الفعلي لها هو الفيلسوف الأميركي وليام جيمس[3] الذي عمل على نشرها، فأصدر أول كتبه بعنوان(مبادئ السيكولوجيا)، مكرساً فيه قناعته بضرورة انحسار طموحات الفلسفة من الكون إلى الإنسان، ومطلقاً نظريته البرجماتية التي لم تتجاوز كونها مجرد واحدة من نظريات المعرفة، وطُورت هذه النظرية على يد الفيلسوف (فرديناند شيلر)[4]، الذي أطلق ما عُرِفَ باسم (البرجماتية الإنسانية)[5].

---

(1) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط4، 1420هـ، 157/4.

(2) هو الفيلسوف الأمريكي، المؤسس الأول للأفكار الأولى لمذهب البرجماتية، عاش ما بين (1839م-1914م)، عرض أفكاره الأساسية لمذهب البرجماتية في مقال عنوانه كيف نجعل أفكارنا واضحة، كان محاضرا للفلسفة في جامعة هارفارد الأمريكية، كان متأثرا بكانط، مهتم بعلم المنطق والأخلاق، أول من ابتكر كلمة البرجماتية، كان متأثرا بدارون، انظر الموسوعة العربية العالمية، 400/5، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، إشراف: د. زكي نجيب محمود، دار القلم، ص138.

(3) فيلسوف أمريكي، ذو شخصية فذة في تخصصه، عاش ما بين (1842- 1910م)، من أصل سويدي، بنى مذهب الذرائعية البرجماتية على أصول أفكار بيرس، ويؤكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة ودليل صدقها، كتابه الأول: مبادئ علم النفس، الذي أكسبه شهرة واسعة، كان كاتباً لامعاً، ذو باع في علم الفنون، متدين عميق التدين، له كتاب (إرادة الاعتقاد)، (البراجماتزم)، (الدين والاعتقاد)، انظر موسوعة الفلاسفة، د. فيصل عباس، دار الفكر العربي، ط1، 1996م، ص196، قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة: د.فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، ط6، 1988م، ص616، موسوعة الفلسفة، 447/1-450، موسوعة مشاهير العالم، د. نبيل موسى، دار الصداقة العربية، ط1، 2002م، 166/2.

(4) فيلسوف انجليزي، عاش ما بين (1864م-1937م)، أستاذ الفلسفة بأكسفورد، وصاحب المذهب الإنساني (مذهب البراجماتزم)، جاء اسمه في أن المعرفة هي الشرط الأول للعمل المنتج. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، 833/2، تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، ط6، ص430.

(5) انظر الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ.م بوشنسكي، ترجمة: د.عزت قرني، عالم المعرفة، سنة 1992م، ص158-159، بتصرف.

ثانياً: سمات مذهب البرجماتية:

1- إن أهم ما يميز مذهب البرجماتية هو ارتباط صحة الفكرة بنتائجها المُرْضية، أو بنجاحها عملياً في حل المشكلات[1].

2- التفكير في الفلسفة البرجماتية، يرتبط ارتباطاً ملازماً للعمل، والحقيقة ليست ثابتة، وليست نظاماً كاملاً، بل هي عملية جارية في تغير مستمر، يقول تشارلز بيرس:"لكي نجد معنى للفكرة، يجب أن نفحص النتائج العملية الناجمة عن هذه الفكرة"[2].

3- ترى البرجماتية أن الفكرة تكون صحيحة، حين تؤدي إلى إدراك موضوعها، والقضية تكون صحيحة عندما تؤدي إلى نتائج نافعة إذا ما نحن قبلناها، وحين تثبت أنها قابلة للعمل[3].

4- تنحصر البرجماتية، في القول بإنكار أن تكون المعرفة نظرية، وتأملية خالصة، وفي القول بإرجاع الحقيقة إلى المنفعة[4].

5- الحقيقة في النظرية البرجماتية هي اختراع شيء جديد، وليس اكتشاف شيء موجود، ومقياسها يقوم في مدى نفعها في دنيا العمل[5]، يقول تشارلز بيرس:"إن تصورنا لموضوع ما، هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر"، وهذا يعني أن معيار الحقيقة هو العمل المنتِج لا الحكم العقلي، والعمل مبدأ مطلق ولا شيء يعترضه، سواء العمل المادي والخلقي والعقلي أو التصور، فيلزم من ذلك أن العالم مرن، نستطيع التأثير فيه وتشكيله، وأن تصوراتنا فروض أو وسائل لهذا التأثير والتشكيل، والمذهب العملي يقوم على هذا الأساس[6].

إذا كانت نظرة البرجماتية للحقيقة، أنها ما قامت التجربة والاختبار على صدقه، فهو مقبول، أما إذا كانت تعني المصلحة، والمنفعة الشخصية -التي هي مقياس لصدق الحقيقة- فهو أمر مردود؛ لأن المنفعة الشخصية ليست إلا منفعة شخصية، والواضح أن تفسير جيمس للبرجماتية، يعكس طبيعة تفكير المجتمع الأمريكي، المنطوي على شهوة حب التملك، والإمعان في الحياة المادية، وإعلاء قيمة الفرد، ومصالحه إلى أقصى درجاتها، فهي تعبِّر عن النظام

---

(1) انظر مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، د. محمد رشوان، دار الثقافة، ط2، 1984م، ص43.

(2) انظر قصة الفلسفة، ص618، الموسوعة العربية العالمية، 639/10.

(3) الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص159.

(4) انظر المرجع نفسه، ص157.

(5) انظر مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، د. توفيق الطويل، مكتبة النهضة، ط1، 1953م، ص261.

(6) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة، ص417-418، المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، دار الثقافة الجديدة، ط3، 1979م، ص74.

الرأسمالي بما يرتبط به من مشروعات هائلة، وما يترتب على ذلك من ربح ومنفعة مادية، وهو المجتمع القائم على مبدأ البقاء للأقوى، وعلى المنفعة الشخصية[1].

6- تتميز البرجماتية، بأنها مذهب فلسفي، قوامه جعل الإرادة الشخصية مسلطة على الاعتقاد، بدلاً من العكس -الذي يستدعيه المنطق السليم- وهو جعل الاعتقاد القائم على الأدلة، مسلطاً على الإرادة، فهم يكيفون المفاهيم وفق مبادئهم وأهوائهم؛ فراراً من الإيمان بوجود الله تعالى[2].

تقوم البرجماتية أيضا على النظر إلى الوجود البشري بمعزل عن أي وجود أوسع، أي بمعزل عن الإلوهية، ووحيها، وسننها، فلا ترى سوى هذا الوجود البشري، كما ترى أن هدفها وسعيها إنما هو تحقيق السعادة للبشر في هذا العالم -وليس في الآخرة التي هي في شك منها- سواء كانوا أفراداً أم جماعات، وسواء كانت تلك السعادة كمّاً يقاس، أو كيفاً يذاق، وسواء أكانت مادية خالصة أم مادية ونفسية[3].

ثالثاً: موقف البرجماتية من الإنسان:

إن مما يميز الفلسفة البرجماتية أنها تنظر إلى الإنسان كلاً متكاملاً، فعقله وجسمه ومشاعره، ليست أجزاء منفصلة عنه، بل هي خصائص لعضو متكامل، وكل فرد له خصائصه الفردية وقدراته الخاصة به، وله وجوده الخاص ضمن النوع الإنساني العام، وهذه النظرة إلى الإنسان على أنه فرد من نوع تجعل من الفرد شيئاً ثميناً يستحق العناية[4].

ولكنها تركز على الإنسان وتعلي من فرديته إلى أقصى حد، وهذه الفردية وما يرتبط بها من غموض؛ تجعل الأفراد عاجزين عن تحمل المهام الاجتماعية والنظام والرقابة، التي تتدخل في حريتهم، فالبرجماتية تعكس الفردية الممزقة، التي سادت أمريكا في القرن التاسع عشر[5].

---

(1) انظر قصة الفلسفة، ص623، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص78، الموسوعة العربية العالمية، 639/10.

(2) انظر نقض أوهام المادية الجدلية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط3، سنة 1985، ص275.

(3) مجلة البيان، البرجماتية، د. محمد يحيى، سنة15، 2000م، عدد152، ص128.

(4) انظر المرجع نفسه، ص129.

(5) انظر مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص86.

تنظر البرجماتية إلى أن إعداد الإنسان هو الإعداد لحياة هادرة، يتقلب الإنسان بعنف وراء أمواجها المتلاطمة، دون تحديدٍ لقواعدَ ثابتة يتم الرجوع إليها، ودون تحديد أيضا للكمال الذي يأوي إليه الإنسان(1).

ترى الفلسفة البرجماتية، أن الإنسان ليس ألعوبة في يد قوة خارجية، ولكنه يستطيع إعادة تشكيل الظروف التي تصوغ خبرته بعزمه، وبإرادته(2).

يستحيل في النظرية البرجماتية أن يصل الإنسان إلى حقيقة ثابتة، وأنه يمكن للتجربة، والبحث العلمي أن يوصلنا إلى أفضل من ذلك، وترى أن التغير جوهر الواقع، وعلينا أن نكون مستعدين لتغيير الطريقة التي بها نصنع الأشياء، وأن تكون غايات التربية، ووسائلها، مرنة وقابلة للتغيير.

لقد تأثرت البرجماتية في نظرتها للإنسان بالفلسفة السوفسطائية، حيث يأخذ شلر لنفسه تعبير بروتاجوراس(3) المشهور:(الإنسان مقياس كل شيء)(4)، ويقوي معنى عبارته؛ ليذهب إلى أن الإنسان ليس مقياس كل شيء فحسب، بل هو خالق كل الحقيقة(5)، ولو سلمنا بهذا المبدأ لكان معنى ذلك أن حجج المجنون تعادل في صدقها حجج العاقل، وأن أحط الحيوانات شأناً قد يكون له رأي، لا يقل حصافة عن رأي الإنسان الحكيم(6).

يظهر أنه لابد من الحديث عن نظرة البرجماتية للأخلاق بشكل مقتضب؛ لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بشخصية الإنسان.

---

(1) مجلة البيان، موقف النظرية التربوية الإسلامية من النظرية التربوية الغربية، عبد المجيد بن مسعود سنة12، 1997م، عدد16، ص119.

(2) انظر فلسفات تربوية معاصرة، د. سعيد إسماعيل علي، عالم المعرفة، 1995م، ص42.

(3) سفسطائي يوناني، عاش فيما بين(485 ق.م-411 ق.م)، صاحب مذهب حسي ونسبي، عارض فكرة الحقيقة المطلقة بتعدد الآراء ووجهات النظر، صاحب القول المشهور:" الإنسان مقياس الأشياء "، وهو القول الذي نقده أفلاطون في محاورة ثيتاوتوس، كان متشائماً ولكنه لم يذهب في تشاؤمه إلى حد عدمية غورغياس، وكان يرى أن كل شئ نسبي. انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص120-123، معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص170، الموسوعة الفلسفية، ص81.

(4) انظر الفلسفة والإنسان، د. فيصل عباس، دار الفكر، ط1، 1996م، ص80.

(5) انظر الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص161، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص75.

(6) انظر مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص86.

رابعاً: موقف البرجماتية من الأخلاق:

تنظر البرجماتية إلى الأخلاق نظرة مادية بحتة؛ فالأخلاق والقواعد التي تـضبطها مـن صنع الناس وحدهم، وهي تجريبية متطورة من آن لآخر على مر الزمن، ولا ثبات لها ولا يقين على الإطلاق، وهي تتغير كلما تغيرت متطلبات الجماعات ورغباتها، والقانون الحق؛ هـو مـا يعتقد الرأي العام، لذلك فإن معيار الصواب والصدق بالنسبة للأخلاق وقواعـدها، هـو الـرأي العام، ولذلك فهي قابلة للتغيُّر كلما تغير الرأي العام.

يقول جيمس:"إن علم الأخلاق فيما يتعلق بالناحية المعيارية مثل العلوم الطبيعية، في أنه لا يمكن استنباطه كله مرة من مبادئ ذهنية؛ بل لابد أن يخضع للزمن، وأن يكون مستعداً لتغيير نتائجه من آن لآخر، والآراء الذائعة حق، وأن القانون المعياري الحق هو مـا يعتقـده الـرأي العام"[1]، والقيم والأخلاق عند البرجماتية، مقياسها في الخير والشر مدى نفعها للإنسان[2].

إذا كانت المنفعة غرضاً لرغبات الإنسان، وهدفاً لسلوكه، ثـم معيـاراً لتقـويم أفعالـه، ومقياساً لأحكامه الخلقية؛ ترتب على ذلك نفي قيمة الأخلاق، ووصفها بأنها قيم متغيـرة حـسب الأهواء والمنافع -كما ترى البرجماتية- فتصير مذهباً متهافتاً؛ لأن الإنسان في أحيـان كثيـرة يفعل أشياء قد تجلب له الألم إن فعلها بدافع الميول الفطرية، كغريزة الأمومة، فقد تتحمل الأنثـى متاعب وآلام في سبيل صغارها، وقد يضحي الفرد بحياته في سبيل عقيدة أو مبدأ[3]، وقد يفعـل الإنسان أفعالاً اعتقاداً منه أنه يقوم بواجب تفرضه عليه إنسانيته، ولا تقترن بلـذة، أو لا ينتظـر الإنسان منها فائدة، أو نتيجة عملية أو مستقبلية، وهناك من يقوم بأفعال، أو يضحي فـي سـبيل معتقدات؛ يرى أنها حق في ذاتها، دون أن ينتظر نفعاً مادياً من ورائها.

ويدافع بوشنسكي عن جيمس، مدَّعياً أن كثيراً من منتقديه قد أساء فهم المقـصود مـن المنفعة، حيث يقول:"إن جيمس لا يقصد بها إشباع الحاجات المادية للفرد وحدها، بل يقصد كـل ما يساهم في تألق حياة الفرد والمجتمع، ولم يقصد المنفعة الأنانية لفرد بعينه، بل راعى الطـابع الاجتماعي"[4].

وربما يكون هذا رأي فردي لوليم جيمس، يختلف عن رأي غيـره مـن البرجمـاتيين، كشيلر وبيرس وجون ديوي وغيرهم، لكن جيمس أغفل الجانب الـديني، وإن كـان قـد أولـى

---

(1) إرادة الاعتقاد، وليم جيمس، ترجمة: د.محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية، 1946م، ص101.

(2) انظر مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، ص263.

(3) انظر المرجع نفسه، ص296، بتصرف.

(4) الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص160.

الأخلاق أو الجانب الاجتماعي أهمية، فهذا لا يكفي؛ لأنه سرعان ما تندثر هذه الأخلاق وتزول، ويغلب عليها جانب الغرائز الحيوانية؛ لأن بناء الفلسفة البرجماتية هو النتائج العملية أو النفعية، دون النظر لأساس القيم وثباتها واستقلال وجودها عن المنافع.

ومن الأدلة على ذلك أنه رفض مناقشة القضايا الميتافيزيقية، مثل هل العالم واحد؟ أم كثير؟ وهل هو مادي أم روحي؟ وهل الإنسان حر أم مقيد؟ وغير ذلك من القضايا الغيبية المتشابهة؛ لأنها في نظره لا تؤدي إلي نتائج عملية نافعة؛ لذلك فهي ليست صحيحة، وهكذا انتهى إلى أن الحقيقة هي كل ما يقودنا إلى النجاح في الحياة، والفكر الصحيح هو المكتشف الأول لطرق النجاح العملية، ووسيلة تشكيل الحياة وأداة السيطرة عليها، وتوجيهها إلى كل ما هو نافع ومفيد للإنسان(1).

خامساً: مخاطر البرجماتية على العقيدة:

هو مذهب يحبذ إلغاء دور العقل في الإفادة من معطيات النقل أو الوحي، فقد عجزت البرجماتية عن إسعاد الإنسان، بعدما أدت إلى تأجيج سعار المادية، وأهدرت القيم والأخلاق السامية التي دعت إليها جميع الشرائع السماوية(2).

يترتب على ذلك أن ينكر الشخص في هذا المذهب وجود الله تعالى في سبيل مصلحة مادية، يرى أنها تتحقق له بذلك، أو إذا اعتقد أن إيمانه بوجود الله سبحانه وتعالى يشكِّل عقبة أمام غاياته، فأقصر طريق للوصول لهذه الغايات هو الإلحاد أو الكفر؛ لأنه تتحقق بذلك منفعته الآنِّية، بغض النظر عما ذهب إليه، أو اعتقده.

إن العمل عند البرجماتيين يقاس صلاحه، وفساده، وخيره، وشره، بما يحققه من نفع مادي عاجل، وهذا يتنافى مع مبادئ الإسلام التي تدعو إلى انتظار النفع الأخروي الآجل، والثواب الجزيل من الله تعالى، دون النظر المحدود إلى الحياة الدنيا الفانية، ومن أجل ذلك يجاهد المسلمون، ويتصدقون، ويؤدون سائر العبادات، حيث يقول الله تعالى:﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:64]، ويقول سبحانه:﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [سورة القصص:77]، ويقول أيضا:﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا

(1) انظر المذاهب الفلسفية المعاصرة ص59، مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، د.عبد الوهاب جعفر، دار المعرفة، 1988م، ص244.

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 835/2.

﴿فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص:83]، وسيطرة النزعة القائمة على المنفعة المادية على سلوك الناس في الحياة؛ يحوّلهم إلى ذئاب ذوي أظفار وأنياب لا يتعاملون إلا بالمادة، ولا يتواصلون إلا حيث يكون نفع، ويوم تكون المنفعة غايةً لكل حركة، وهدفاً لكل علاقة، فما أشقى الحياة يومئذٍ؛ لأن تلك مرحلة تفقد فيها البشرية كل مقوماتها الكريمة وعناصرها الإنسانية، ويستوي فيها الإنسان بالآلات، وتغيب جميع مبادئ البر والعطف والرحمة والمواساة، وسائر الأمور المعنوية التي تهذب الحياة وترطب جفافها، ويخلو كيان الإنسان من عواطف ومشاعر الإنسانية[1].

لو طبقنا الرؤية البرجماتية على العقائد الدينية؛ لأدى ذلك لكارثة عقائدية، فإننا لا نسلِّم بالحقائق الدينية لمجرد أنها نافعة؛ بل لأنها حقائق في ذاتها، بصرف النظر عن فائدتها ونتائجها العملية الناجحة، ولو سلمنا برؤية البرجماتية؛ لكانت أية عقيدة هي حقيقة لمن يرى أنها نافعة له؛ ولاستوت في ذلك النِّحَلُ، والبدع، والأديان الباطلة، مع الشرائع السماوية الحقة، ولو قلنا لشخص ما إننا نعتبر أن عقيدتك خرافة، ولكن إذا كانت مفيدة لك فهي عقيدة حقيقية بالنسبة لك، فذلك سخرية به[2].

اندثرت البرجماتية كحركة فكرية، ولكنها كمجموعة أفكار ما زالت تعمل في الفكر البشري، وخطرها الأساسي هو النظر للأشياء أو الحقائق والإيمان بها، حسب منافعها العاجلة، وإن ادعت البرجماتية أنها تنظر أيضا للمنافع الآجلة، فهذا أمر مردود عليهم؛ لأن المنافع الآجلة محجوبة عن الإنسان؛ بل وربما تتحول إلى مضار، والمنفعة ليست مقياساً محدداً، بل يختلف من شخص لآخر، فما ينفعنا قد لا ينفع غيرنا[3].

---

(1) انظر الفلسفة البرجماتية: http://sh.rewayat2.com/public/Web/6020/021.htm، بتصرف.

(2) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص85.

(3) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 834/2، بتصرف.

المطلب الثاني: منزلة الإنسان في الفكر الشيوعي:-

أولاً: الشيوعية لغة واصطلاحاً:

أ- الشيوعية لغة:

الشيوعية من لفظ: (الشيوع) بمعنى الظهور والافتراق، والانتشار والذيوع[1]، وهي مشتقة أيضا من اللفظ الإنجليزي (communism) أي النظرية التي تدعو إلى إلغاء الملكية الخاصة[2].

ب- **الشيوعية اصطلاحاً:**

الشيوعية عقيدة جبرية مادية إلحادية غير أخلاقية استبدادية شاملة، تحت ستار مصلحة المجتمع، وأن الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد، أنانية تستأثر بامتلاك كل شيء، حتى بامتلاك من تستطيع أن تخضعهم لسلطانها من البشر[3].

أو هي مذهب اقتصادي اجتماعي، يقوم على أساس القضاء على الملكية الفردية وتدخل الدولة الفعال في حياة الأفراد، وإخضاعهم لإشرافها وتوجيههم مادياً وروحياً[4].

تهدف الشيوعية إلى القضاء على الرأسماليَّة، والملكيَّة الخاصَّة في إدارتها، واستغلالها، وهي وليدة النظريَّة الماركسيَّة[5]، التي تقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، وتفسر التاريخ تفسيراً يقوم على صراع الطبقات، وأن العامل الاقتصادي هو العامل الوحيد لهذا التغير، وقد ظهرت في ألمانيا على يد ماركس[6]، وإنجلز[7]، وتجسدت في

---

(1) انظر لسان العرب، 187/8، مادة: شوع، معجم المقاييس في اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، ط3، 1998م، ص542.

(2) المورد قاموس عربي-إنكليزي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط35، 2001م، ص198.

(3) الكيد الأحمر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط3، 1991م، ص13.

(4) المعجم اللسفي، مجمع اللغة العربية، ص104، انظر المعجم الفلسفي، جيل صليبا، 715/1.

(5) الماركسية كما يعرفها لينين: هي منهج أفكار ماركس ومذهبه، انظر مصادر الماركسية، ص19.

(6) كارل ماركس، فيلسوف وسياسي ألماني، ولد من أبوين يهوديين، عاش مابين (1818-1883م)، المؤسس الرئيسي للاشتراكية الديمقراطية والشيوعية الثورية، حرر في بروكسل مع صديقه إنجلز(البيان الشيوعي)، من مؤلفاته: بؤس الفلسفة، ورأس المال، ونقد الاقتصاد السياسي. انظر الموسوعة العربية العالمية، 63/22، موسوعة الفلاسفة، ص182، تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص401.

(7) فردريك إنجلز، فيلسوف وسياسي ألماني، عاش مابين (1820-1895)، اشتهر بتعاونه مع كارل ماركس، ساهم في صياغة النظرية الماركسية، بدأ نشاطه السياسي كاشفا عن عداءه للدين، اقتنع بأن الشيوعية هي التي يمكن أن تقدم حلا للقضية الاجتماعية، من مؤلفاته (ضد وهرينج)، (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة). انظر الموسوعة العربية العالمية، 182/3، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص81، تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ط1، 1981م، 17-20.

الثورة البلشفية[1]،التي ظهرت في روسيا سنة 1917م، بتخطيط من اليهود[2].

وليست هي مذهباً اقتصادياً بحتاً، كما يتبادر إلى ذهن كثير من الناس –وإن كان لها مذهب اقتصادي محدد مميز– وإنما هي تصور شامل، للكون والحياة والإنسان، ولقضية الأُلوهية أيضاً، وينبثق عن هذا التصور المذهب الاقتصادي، وهي من جهة أخرى، مذهب اقتصادي واجتماعي وسياسي وفكري مترابط متشابك، لا يمكن فصل بعضه عن بعض[3].

ج– تقوم الشيوعية على مبدأين أساسيين هما:–

1– المادية التاريخية: وهي تطبيق قوانين الجدل على المجتمعات الإنسانية من خلال التطورات الاقتصادية، وتهدف إلى تفسير الأفكار والأخلاق والأمور السياسية والاجتماع تفسيراً على أساس العامل الاقتصادي، وأن أعمال البشرية قامت بدوافع مادية فقط، فالعلاقات الاقتصادية تؤثر في صياغة شكل المجتمع، وطبيعة العلاقات السياسية والاجتماعية بين الناس، فتتغير العلاقات الاجتماعية، والفكرية، والأخلاقية؛ تبعاً لتغير القوى الإنتاجية[4].

2– المادية الجدلية: التي تنظر للمادة على أنها أساس كل أمر في الحياة، وأن البشرية مسيَّرة في مختلف أطوارها بتأثير المادة فقط[5].

الشيوعية مبنية على ملكية الدولة لكل الموارد المنتجة، وعلى هيمنة الحكومة على كل الأنشطة الاقتصادية، ويتخذ مخططو الحكومة كل القرارات المتعلقة بإنتاج السلع، وتسعيرها، وتوزيعها.

ثانياً: موقف الشيوعية من الإنسان:–

تفسر الشيوعية كل شيء تفسيراً مادياً، كالخالق، والإنسان، ومختلف نواحي النشاط الإنساني، ومجالات حياة الإنسان، كالدين، والأسرة، والقيم المعنوية، والمبادئ الفكرية، والنظم

---

(1) تعد الثورة البلشفية في روسيا القيصرية، هي التطبيق العملي لأفكار وكتابات المفكر كارل ماركس ومساعده فريدريك إنجلز، وقامت على العنف والكراهية وعدم المهادنة للرأسمالية، انظر تهافت الفكر الماركسي، ص31.

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 177/1.

(3) انظر مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، ط9، 2001م، ص259، الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال، دار الوفاء، ط2، 1990م، ص65.

(4) انظر أسباب سقوط الشيوعية، (رسالة ماجستير)، إعداد: أحمد بن عبد الله بن جمعان بن سرور الغامدي، إشراف: د. سليمان بن عبد الله السلومي، 1417هـ، 392–397.

(5) انظر حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ط12، 1997م، ص11–14.

والمؤسسات[1]، يقول ماركس:"إن الإنسان، وتفكيره، والمجتمع، كلها انعكاسات للمـــادة، والمـــادة أسبق من الفكر، وهي أصل وجوده"[2].

وتَعتَبِر الشيوعية، أن المادة هي الأصل الذي انبعثت منه كل الكائنات، الحية منها، وغير الحية، بما في ذلك الإنسان، وأنها جميعاً انبعثت عنها بطريق الخلق، أي أن المادة هـــي الخـــالق الذي أنشأ الحياة، والإنسان، ومشاعره وأفكاره[3].

الإنسان في نظر الماركسية مفهوم نسبي؛ لأن مفهوم الإنسانية يتبدل، ويتغير، ويتجـــدد، فكل تغير وتجدد يتمم الأشكال السابقة، من غير أن يشذ عنها بتغيره الدائم، وبعبـــارة أخـــرى إن الإنسان لن يتمتع بحال من الأحوال بخلود أبدي، ولا يمكن بوجه من الوجوه أن تشارك الإنسانية في معنى الخلود، ومن الممتنع أن يؤمن باحث بما يسمى طبيعة إنـــسانية خالـــدة، وتتجلـــى ذات الإنسان عند الماركسيين في عمله اليومي[4]، حيث يقول إنجلز:"إن العمل هو الذي خلق الإنسان، وليس الإله، كما يقول الرجعيون من البورجوازيين، والإقطاعيين"، وحتى لا نحسن الظن فنحمل كلامه على المجاز، فقد شرح هذه العبارة شرحاً وافياً، فقال: منذ مئات عدة من ألوف الـــسنين، كان يعيش في مكان ما، من الدائرة الاستوائية عرق من القردة الشبيهة بالبشر، بلغـــت تطـــوراً رفيعاً بوجه خاص، وقد أعطانا دارون وصفاً تقريبياً لهذه القردة، التي قد تكون أســـلافنا، وقـــد أخذت هذه القردة متأثرة بنمط معيشتها، الذي يتطلب أن تنجز الأيدي من أجـــل التـــسلق –غيـــر وظائف الأرجل– ثم أخذت تفقد عادةَ الاستعانة بأيديها؛ من أجل السير على الأرض، واتخـــذت أكثر فأكثر مشية عمودية، وهكذا تم اجتياز الخطوة الحاسمة، لانتقال القرد إلى إنسان[5].

لقد تأثر الماديون بالداروينية، في تصويرها المادي الحيواني للإنسان، أو اســـتغلوا هـــذه النظرية، في تشويه صورة الإنسان الكريمة، العالية الوضيئة المشرقة، وتصويره فـــي صـــورة هابطة؛ تخدم أغراضهم، إذ تحجب عن الإنسان مجالات رفعته وإشراقه، وتوحي إليـــه بـــالهبوط فيهبط، وتنطمس بصيرته فيصبح كما يريدون.

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة، ص360، بتصرف.

(2) انظر المذاهب الفلسفية المعاصرة، سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي، ط1، 1973م، ص36.

(3) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص272.

(4) انظر أعلام الفلسفة الحديثة، د.علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة، 1997م، ص30.

(5) العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبد الرحمن الحـــوالي، دار الهجرة، ص248.

إن دارون لم يهبط بالإنسان، إلى المستوى الذي وضعته فيه المادية الجدلية، والتفسير المادي للتاريخ، وأن هذا التفسير المادي، إنما هو خطوة في المخطط الهادف إلى استحمار البشرية كلها، للشعب المختار[1].

لقد هبطت الشيوعية بقيمة الإنسان إلى مستوى الحيوانية، التي أوقفه عندها دارون بتفسيرها المادي للتاريخ، ودفعته دفعات أخرى إلى أسفل؛ ليتردى في مهاوي المادية الحالكة، حيث يعود إلى التراب صرفاً بغير روح، وجردت الإنسان من كل القيم والفضائل والخصائص الإنسانية، وهذا أمر مرفوض في الإسلام الذي كرم الإنسان[2].

الإنسان عند دارون كائن حي، تطور عن القردة العليا، مع فاصل تطوري، تصوره ولم يعثر عليه، فسماه الحلقة المفقودة، وهى الحلقة الوسيطة بين القرد والإنسان –كما سأشير إلى ذلك بالنقد والتفصيل في مطلب لاحق– والإنسان عنده متأثر بالبيئة المادية في تطوره من الحالة القردية إلى الحالة الإنسانية؛ لأن ظروف البيئة المادية، هي التي أحدثت سلسلة التطور، من أول كائن وحيدة الخلية إلى الإنسان، ولكنه لم يكن قط في التصور الدارويني مادة[3].

إن الإنسان والكون في الفكر الشيوعي، مادة تتطور بنفسها ذاتياً من دون خالق[4]، وأنّ تطوّر المادة هذا، هو الذي انبثق عنه وجود الكائنات، فالمادة في المفهوم الماركسي، ليست جانباً من شخصية الإنسان، بل هي أساس وجوده، ولا يخفى أن الشيوعية تنكر وجود الله الخالق ﷻ؛ لأنها عقيدة إلحاد وكفر[5].

إن علاقة الإنسان بالكون عند الماركسيين، ليست علاقة ميتافيزيقية، بل إن الإنسان عندهم يحيا على وجه الأرض، وليست علاقته بالكون علاقة تأمل ونظر، ولكنها علاقة عمل كفاح[6].

الإنسان عند الماركسيين هو نتاج المادة:

إن ما زعمته الماركسية من القول بأن الإنسان من نتاج المادة، وأن الفكر نتاج مادة عالية التنظيم، وهي الدماغ، لهو قول باطل؛ فكيف نتج الإنسان عن المادة؟ ومن الذي أنتجه؟ وكيف استطاع أن يسيطر عليها، ويتحكم فيها؟ وإذا قلنا إن المادة تطورت، فأصبحت مادة حية،

---

(1) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص314، الإنسان المادية والإسلام، ص63– 65.

(2) انظر حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ط12، 1997م، ص23، بتصرف.

(3) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص314.

(4) انظر المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، دار التقدم، 1938م، ص8–9.

(5) انظر أزمات الشباب أسباب وحلول، محمد أحمد كنعان، دار البشائر، 1990م، ص22.

(6) انظر أعلام الفلسفة الحديثة، 30/2، بتصرف.

ثم تطورت فصارت إنساناً، فكيف تطورت؟ ما الذي جد على طبيعتها فتطورت إلى مادة حية؟ بينما كانت -في زعمهم- موجودة على صورتها منذ الأزل؟ وحين تطورت فلماذا لم تتطور كلها إلى مادة حية؟ لماذا بقيت كميات هائلة من المادة لم تتطور من قبل ولا من بعد؟ ولماذا حدث التطور في اتجاه الحياة بالذات؟ ولماذا حدث مرة واحدة ثم توقف؟ فلم تعد ذرة واحدة من المادة الجامدة تتحول إلى خلية حية مهما بذل معها من التجارب، ومهما تغيرت من حولها الظروف؟[1]، وحين تطورت المادة الحية إلى أعلى حالات تطورها، فلماذا توقفت في التطور عند الإنسان ولم تتطور إلى ما هو أعلى منه؟ مع أن التطور -في زعمهم- قانون من قوانين المادة، والقوانين لا تتوقف عن العمل، وإلا فهي ليست قوانين[2].

ومن ناحية أخرى كيف تسنى للمادة المتطورة -التي هي الإنسان- أن تسيطر، وتتحكم في المادة التي نتجت عنها، مع أن هذا ليس من قوانين المادة؟ فالقانون -المزعوم- هو تطور المادة، وليس سيطرة المتطور من المادة على غير المتطور منها[3].

إن إدّعاء الماركسية أن الإنسان نتاج المادة، والفكر نتاج الدماغ، والدماغ مادة، يجعلها مذهباً إلحادياً مادياً لا يعرف الإيمان، وهذا يعني رفض كل الأحكام الغيبية التي يؤمن بها كل أصحاب الشرائع السماوية، واعتبار المادة هي الفاعلة، والمسيطرة على قوانين الحياة دون دليل، وهو أمر بعيد عن الإيمان بالله تعالى، والغاية من الخلق.

الماركسية تنفي بشدة إرادة الإنسان، وتحيل الأحداث إلى تأثير عوامل الزمن الاقتصادية، ومعنى ذلك أن الإنسان لا شخصية له، فهو يصاغ في مجتمعه، كما يصاغ الصابون في المصنع، ولا طريق أمامه كي يشق أفكاراً، وطرقاً جديدة، فيفكر على النهج الذي سمحت له به حياته الاقتصادية[4]، ولقد حدد اليهودي كارل ماركس، المطالب الرئيسية للإنسان، بالغذاء والسكن والجنس، واستمد ذلك من حيوانية الإنسان، وقد ظهر ذلك جلياً في البيان الشيوعي[5].

لكي ننشئ تفسيراً حقيقياً للحياة الإنسانية، لا ينبغي أن نغفل شيئاً من مكونات الإنسان على الإطلاق، أو أن نفسر شيئاً أصيلاً في حياة الإنسان، من خلال شيء آخر[6].

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة، ص260.

(2) انظر المرجع نفسه، ص310.

(3) المرجع نفسه، ص311، بتصرف.

(4) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة د.عبد الصبور شاهين، ط3، 1979م، ص31.

(5) انظر تهافت الفكر الماركسي، ص152، العلمانية نشأتها وتطورها، ص169.

(6) حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ص387.

إن تطبيق قوانين المادة الجامدة على الإنسان، أسطورة غير مسبوقة في تـــاريخ الفكـــر البشرى، إنها مجرد هراء، يتلبس بزي علمي مزيف، لا يمكن تفسيره، إلا إذا أخرجناه تماماً من دائرة العلم، ونظرنا إليه من زاوية الهدف المقصود منه، وهو مسخ الإنسان، وتشويهه، والهبوط به إلى الدرك الأسفل؛ ليتحقق مخطط استحمار الأميين لحساب الشعب المختار حسب زعمهم(1).

إن الشيوعية كالاستعمار، تنادي بالحريات، وتدافع عن الفقراء، وتشيد بالإنسان، وتخفي وراءها الدمار والغصب وسفك الدماء واحتلال الأوطـــان، ونهـــب خيراتهـــا، والقـــضاء علـــى معتقداتها، ومسخ الإنسان، واعتباره آلةً لا إرادة لها، واحتقاره ووأد حريته؛ ليعيش عيشة الـــذل والفقر والهمجية(2).

ويتحدث أندريه جيد(3) بعد رجوعه عن الشيوعية قائلاً:"إن الناس في روسيا، الآن يطلب منهم الموافقة، والمصادقة، على كل ما تفعله الحكومة، أما أقل معارضة، أو نقد، فإنها تعـــرض صاحبها لأقسى العقوبات، بالإضافة إلى إخماد هذه المعارضة، وطمسها، إن أحسن الناس سجلاً في هذا السلم الاجتماعي، هم أكثرهم ذلة، وعبودية، أما أولئك الذين تبـــرز مـــنهم أيـــة ناحيـــة استقلالية، فإنهم يُحصدون، أو يُنفون، لقد أصبح العامل الصغير صاحب الرأي الحر كـــالحيوان المطارد يلقى الجوع، والتحطيم، ثم الهلاك"(4).

إن الماركسية عاجزة كل العجز، عن تكوين الإنسان المطمئن القلب، المـــشرق الـــروح السعيد النفس؛ لأن هذا ينبع من الإيمان بالله وبالخلود في الآخرة، والماركسي لا يؤمن إلا بالمادة المحسوسة وبالحياة الحاضرة، لهذا يقول فلاسفة الأخلاق:"إن الإنسان الماركـــسي لـــيس إنـــساناً حراً؛ لأن على المناضل العادي أن يطيع رؤساءه طاعة عمياء، فيكون عبد أســـياده كما هو عبد الكون المادي، إنه لولب بسيط يعمل في آلة التصوير، وما حريته إلا أن يخضع طائعـــاً مختـــاراً

---

(1) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص363.

(2) انظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أساليب الدعوة إلى الله تعالى في القـــرآن الكـــريم، د. أبـــو المجد سيد نوفل، عدد49، ص26.

(3) كاتب فرنسي، ولد في باريس من عائلة بورجوازية بروتستانتية، تلقى تربية قاسية ومتزمتة، كـــان معتـــل الصحة، وكان منذ صغره يشعر بأنه مختلف عن الآخرين، ولم تكن دراسته المدرســـية منتظمـــة، فعـــاش طفولة مشوشة، أغرته الشيوعية مدّة، إلا أن رحلته إلى الاتحاد السوفيتي سنة 1936م أقنعته بـــلا إنـــسانية النظام الستاليني، فالتزم بعد ذلك ضد الاستعمار.

(4) العلمانية، ص215.

واعياً، إن مثل الماركسي، مثل العامل في المصنع، فهو عبد حتميةٍ قاهرةٍ، كحركة الآلة الطاغية، وأن آلة العالم تأمر وتسيطر، وليس في وسعه الخروج على مشيئتها"[1].

إن الإنسان الماركسي، يعلم أنه ليس في وسعه الحيلولة دون حدوث ما هو حادث حتماً، ويعجز عن استخدام مبادئه الخاصة على نحو أصيل، وغاية ما يقدر عليه، الإسهام في تسارع إيقاع التطور، إنه يشعر بعجزه عن تأمين مصيره الخاص؛ فيقضي معظم حياته خائفاً مذعوراً، فهي تَغُلُّ الإنسان بكل قيد؛ أو تسلط عليه نيران حقدها وبطشها وجبروتها؛ إن حاول الفكاك من هذا القيد، أو حاول مخالفة أفكارها[2].

الإنسان الماركسي، لا يتمتع بروح اجتماعية حقيقية؛ لأنه لا يعرف المحبة الحقيقية، ولا يحترم إنسانية الإنسان، فالماركسية تزعم الإسهام في إسعاد البشر، ولكن لا تستطيع أن تحب الناس؛ بل ولا يحبها الناس الأسوياء[3].

يقول بردیائف[4]:"تتكشف الأخلاق الشيوعية الثورية، عن أنها أخلاق لا تعرف الرحمة نحو الإنسان، فالفرد ليس سوى لبنة لا بد منها في بناء المجتمع الشيوعي؛ بل أداة وحسب"، وإن الشيوعية لتنطوي في ذاتها على عنصر سليم، يتصل بنظرتها إلى الحياة، يتمثل في أن على الإنسان ألا يستهدف مصلحته الخاصة؛ بل أن ينفق حياته في خدمة مثل أعلى، ولكن هذه الفكرة –وهي بذاتها رائعة– تُفسَّر برفض منح الإنسان جدارة مستقلة، وقيمة مستقلة، أو أيَّ نفحة روحية[5].

إن الحط من كرامة الإنسان، والنزول به ليس إلى مرتبة الحيوان فحسب؛ بل إلى منزلة المادة الصماء، هو جزء من جوهر النظام الجاهلي الشيوعي، وهدف مقصود من أهداف برامجه ومخططاته، وما كان لها وهي على ما هي عليه من الكفر والعتو، إلا أن تكون كذلك[6].

---

(1) انظر الإسلام حضارة الغد، د.يوسف القرضاوي، ط1، 1995م، ص140.

(2) انظر المرجع نفسه، ص139.

(3) انظر المرجع نفسه، ص40.

(4) برديف نيقولاي ألكسنروفيتش، فيلسوف وجودي روسي، عاش مابين (1874 – 1948م)، نفي من الاتحاد السوفيتي عام1922، فنزل برلين أولا ثم باريس، من آثاره: كتاب الحرية والروح، وكتاب قدر الإنسان، انظر موسوعة الفلسفة، 341/1.

(5) الإسلام حضارة الغد، ص140.

(6) انظر العلمانية، ص317.

يظهر أنه من الضروري الحديث بإيجاز، عن موقف الشيوعية من الــدين، والأخـــلاق، والأسرة، وملكية الإنسان الخاصة؛ لتعلق هذه القضايا وارتباطها بالإنسان، والغاية من وجـــوده، وهي كما يلي:

ثالثاً: موقف الشيوعية من الدين:

الإنسان متدين، ومفطور على معرفة ربه وخالقه، وهذا أمر مركوز في نفسه، مـــا لـــم يطرأ عليه ما يغيره من أسباب الفساد، وعوامل الانحراف؛ ولكن الشيوعيين أرادوا تغيير فطرته وتحقيره، بنفي خلق الله سبحانه وتعالى له، ونفى وجود الله ابتداءً، وجعـــل الخـــالق أو المنـــتج للإنسان هو المادة، بعد أن أُعلِي قدره بخلق الله له؛ لأنه يستمد قدره من قدر خالقه[1].

يقول لينين:"الدين هو أفيون الشعوب، فالدين ورجل الدين، يخدران أعصاب المظلـــومين والفقراء، ويجعلانهم يرضخون للظلم"[2]، ويقول أيضا:"الدين يُعلِّم الذين يكدحون طوال حيـــاتهم، الفقر والاستسلام والصبر في هذه الدنيا، ويغريهم بالأمل في المثوبة بالعالم الآخر"[3].

إن موقف الشيوعيين من الدين ليس به خفاء، فلا غرابة إن اعتبروه وهماً، أو انعكاســاً لأحد العوامل، حيث يقول إنجلز:"مهما يكن من شيء، فليس الدين إلا الانعكـــاس الـــوهمي فـــي أذهان البشر لتلك القوى الخارجية، التي تسيطر على حياتهم اليومية، وهو انعكـــاس تتخـــذ فيـــه القوى الأرضية شكل قوى فوق طبيعية"[4].

ويقول ماركس أيضا:"الدستور، والدين، والأخلاق، خدعة برجوازية، يتـــستر وراءهـــا البرجوازيون من أجل مطامعهم، إن الدين هو أفيون الفقراء، وهذا هو حجر الزاوية في الفلـــسفة الماركسية، وأن جميع الأديان والكنائس والمنظمات الدينية، إنما هي تخدير للطبقة العاملـــة، وإن رسالة البروليتاريا[5]هي القضاء على الدين، والداعين إليه"[6].

---

(1) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص311، بتصرف.

(2) انظر الإنسان بين المادية والإسلام، ص58.

(3) انظر تهافت الفكر الماركسي، ص177، حقيقة الشيوعية، أمين شاكر، سعيد العريان، علي أدهم، ط2، دار المعارف، ص191.

(4) انظر ضد دوهرنج، إنجلز، ترجمة محمد الجندي وخيري الضامن، دار التقدم، 1984م، ص366.

(5) يعرفها انجلز بقوله: البروليتاريا طبقة من طبقات المجتمع، تعتاش كلياً من بيع عملها، ولا تجني الأربـــاح من أي نوع من أنواع رأس المال، وتتوقف حياتها وموتها بل وجودها، على طلب عملها، وترتهن بتعاقب الأزمات مع فترات الازدهار الصناعي، وبتقلبات المنافسة المنفلتة. انظر تعاليم الماركسية، ص11-12.

(6) انظر الماركسية بين النظرية والتطبيق، د.عبد المنعم النمـــر، دار الأنـــدلس، ص63، حقيقـــة الـــشيوعية، ص191.

وفكرة اختراع الدين من قبل الإنسان؛ لاستغلال الآخرين قال بها عــدة فلاســفة، ومــن أبرزهم فويرباخ[1]، حيث يرى أن الدين من اختراع الإنسان، وأن الله لم يخلــق الإنــسان بــل الإنسان هو الذي خلق الله، وأن أحكام الدين وأوامره ليست إلا أفكار الإنسان المثاليــة، وبتقــدم العلم سيستيقظ الإنسان وسيصبح سمعه إلى العلم لا إلى الدين[2].

وهكذا كان الدين عرضة للتغيير والتبديل من مجتمع لآخــر، حــسب وســائل الإنتــاج وظروف الاقتصاد، إلى أن يصل المجتمع إلى الشيوعية، وبالتالي تُلغى فكرة الــدين، ويــصلون من تفسيرهم ذلك إلى إنكار الإله، وأن الدين ليس أصلاً ثابتاً في النفس الإنسانية، فالإنسان غيــر مفطور عليه، وأن الدين من اختراع الإنسان؛ شجعه على ذلك العامل الاقتصادي.

وُجِد الدين بسبب عجز الإنسان –حسب زعم الشيوعية– حيث كان يقف عــاجزاً أمــام الظواهر الطبيعية فيردها إلى إرادة عليا، فسعى إلى كسب عطفها، وإرضائها، فنشأ بذلك الــدين والإيمان[3]، وهو كما ترى قول متهافت؛ لأن الشرائع السماوية كلها منزلة من عنــد الله تعــالى تدعو إلى الأخوة والعدل والتوحيد، والتوحيد أساس يقوم عليه العدل والإحسان والخير، والنــاظر في الدين الحق لا يشك في تكريمه للإنسان، وموافقته للفطرة التــي فطــر الله النــاس عليهــا، ويتناقض مع ما تدعيه الماركسية من أباطيل، وافتراءات.

رابعاً: موقف الشيوعية من الأخلاق:

فسر الشيوعيون الأخلاق حسب تطور وسائل الإنتاج، وبالتالي فإن لكل مجتمع أخلاقــه التي تتناسب مع وسائل إنتاجه، فالأخلاق غير ثابتة، بل متطورة، حيث يقول إنجلز:"إننا نــرفض كل محاولة لإلزامنا بأية عقيدة أخلاقية، على اعتبارها شريعة أخلاقية أبدية نهائية، وثابتة أبــدا؛ بحجة أن للعالم الأخلاقي أيضا مبادئه الدائمة، التي تنهض فوق التاريخ، وفــوق الفــوارق بــين الأمم، إننا ننادي على النقيض من ذلك، بأن سائر النظريات الأخلاقية قد كانت حتى هذا التاريخ، نتاجاً لأوضاع المجتمع الاقتصادية السائدة في زمنها"[4].

---

(1) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني مادي ملحد، عاش ما بين (1804–1872م)، درس اللاهوت وتتلمذ على يــد هيجل، حصل على الدكتوراه من جامعة إيرلنغن عام 1828م، انضم إلى جماعة اليــسار الهيجلــي، مــن مؤلفاته: نقد الفلسفة الهيجلية، ماهية المسيحية، ماهية الدين، انظر موسوعة الفلاسفة، ص176، موســوعة الفلسفة، 2/209–210.

(2) موقف الدين من العلم، علي فؤاد باشكيل، ترجمة: أورخان محمد علي، دار الوثائق، 1985م، ص31.

(3) انظر هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام، ص83.

(4) ضد دوهرنج، ص110–111.

ويقول أيضا:"إن الأخلاق، قد كانت دوماً أخلاقاً طبقية، فهي إما أن تُبرِّرَ سيطرة الطبقة الحاكمة، ومصالحها، وإما أن تَمْثُلَ إلى أن تحوز الطبقة المضطهَدة على ما يكفي من القوة؛ للتمرد على تلك العقيدة، ومصالح المضطهدين المقبلة في الوقت نفسه"(1).

الأخلاق عند الشيوعيين أساسها العمل، فمن يعمل فهو صاحب خلق، وإلا فلا، والعمل هذا يكون للشيوعية ومن أجلها، ويرون أن الأخلاق إنما كانت بسبب ظروف اقتضت وجودها، وفي الشيوعية لا حاجة إليها، ولما كان المجتمع الإنساني إلى اليوم؛ لا يزال يخوض غمار حرب الطبقات؛ فالأخلاق التي يعترف بها المجتمع، ليست إلا النظام الخلقي الذي تعترف به طبقة معينة، الذي يوجد المبررات لطغيان الطبقة الحاكمة، ويذود عن مصالحها، أو يبرر طغيان الطبقة التي كانت مغلوبة على أمرها، حتى وصلت إلى الحكم، ولا يمكن وجود نظام أخلاقي، وإنساني شامل، إلا بعد أن تنتهي حرب الطبقات(2)، ويقول لينين:"يجب على المناضل الشيوعي الحق، أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل، فالكفاح من أجل الشيوعية، يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية"(3)، ويقول ستالين(4):"إن الأخلاق الفاضلة، هي تلك التي تدعم النظام الشيوعي، ولا شيء غير هذا يمكن أن يسمى أخلاق فاضلة"(5).

فهم يرون أن الأخلاق ليست إلا انعكاساً للوضع الاقتصادي القائم، وكل طبقة تسود في مجتمع ما، تكون أخلاقها هي السائدة، والمسيطرة على ذلك المجتمع، وهم بتطبيق هذه القوانين على الأخلاق، يصلون إلى إنكار ثبات الأخلاق، وبالتالي إنكار الدين كما أسلفنا.

الغاية من تفسيرهم للأخلاق، هي أن الدين والأخلاق والأسرة، قضايا متغيرة حسب العوامل الاقتصادية التي توجد في كل عصر، وبالتالي القضاء على كل الثوابت، وإنكار الأمور الفطرية، وجَعْل العامل الاقتصادي هو العامل الوحيد المؤثر في حياة البشرية؛ لذلك ربطوا به كل تغير، وترغب الشيوعية في العودة إلى الإباحية، فلا دين فيها ولا أخلاق، ولا رابطة أسرية؛

---

(1) ضد دوهرنج، ص111.

(2) هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، ص93، بتصرف.

(3) كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، عبد الرّحمن حسن حَبَنَّكة الميداني، دار القلم، ط2، 1991م، ص62.

(4) فيسار بونوفيتش دجوغاشفيلي، ولد عام 1879م في مدينة جوري من جورجيا، توفي عام 1953م، كان والده إسكافيا فقيرا، انضم إلى جناح البلاشفة، كان تلميذ لينين، نفي إلى سيبيريا عام 1913م لأكثر من سبع سنوات، له دور كبير في وصول البلاشفة إلى السلطة، شهدت حقبته أحداث الإبادة والتطهير في الإتحاد السوفيتي. انظر ستالين، بسام العسلي، دار طلاس، ط2، 1986م، ص13 وما بعدها.

(5) هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، ص93-94.

بل كل شيء حلال، وأن الغاية عند الشيوعيين تبرر الوسيلة، حتى ولو كانت فاسدة، فالخلق الفاضل عندهم، هو ما يؤدي إلى نصرة الفكر الشيوعي، دون اعتبار لأخلاق الناس السائدة، وفي هذه الأقوال دعوة للقضاء على الروابط الأسرية، وإحلال الإباحية والرذيلة، بدلاً من العفاف، والفضيلة.

لقد امتهنت الشيوعية الإنسان ودمرته، من خلال النظرة السيئة للأخلاق، فإنه ليس في الماركسية مثقال ذرة من أخلاق، كما يقول إنجلز:"إن الأخلاق التي نؤمن بها هي كل عمل يؤدى إلى انتصار مبادئنا مهما كان هذا العمل منافيا للأخلاق المعمول بها"[1].

لما جعلت الشيوعية الإنسان مادة، فقد ألغت كل القيم الروحية والنفسية والخلقية، فلما لم تستطع أن تتجاهل وجود القيم، في التاريخ الإنساني، فسرتها تفسيرا ماديا، لتشوهها، فضخمت العامل المادي والاقتصادي، ونفت وجود قيم ثابتة، فهي تتغير بتغير العامل الاقتصادي، وسخرت من الدين الذي هو أساس تلك القيم[2] .

إذن لا قيمة للإنسان بدون أخلاق، ولا كرامة له بدون دين، بل يصبح كالأنعام، قال تعالى:﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:179]، فالأخلاق هي وقاية للإنسان؛ لئلا يصبح مندفعاً وراء شهواته، وأهوائه، كما يريده الشيوعيون؛ ليتسنى لهم استغلاله، وتسخيره في سبيل راحتهم، ونشر مبادئهم وأفكارهم.

خامساً: موقف الشيوعية من الأسرة:

لا يخرج تفسير الشيوعيين للأسرة، عن تفسيرهم للدين والأخلاق، من كونها متطورة اقتضتها الظروف الاقتصادية الموجودة في كل مجتمع، فالأسرة لا تشكل كياناً اجتماعياً خالداً، ولقد طرأت عليها تبديلات عديدة عبر القرون، وهذا التطور يتحدد في التحليل الأخير بالعامل الاقتصادي[3] .

يقول إنجلز عنها:"إن النظام الشيوعي سوف يحول العلاقات بين الجنسين، إلى مجرد علاقات شخصية تخص المعنيين بالأمر، ولا يحق للمجتمع أن يتدخل فيها، ويتحقق هذا التحول

(1) كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص62.

(2) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص323.

(3) انظر المرجع نفسه، ص302.

عند إلغاء الملكية الفردية، والبدء بالتربية الجماعية للأطفال، الأمر الذي يطيح بالدعامتين الرئيسيتين لمؤسسة الزواج الحالية، تبعية المرأة للرجل، وتبعية الأطفال للأهل"[1].

وهي كما ترى نظرة ساقطة، ومتهافتة، ومصادمة للفطرة الإنسانية، فالرابطة الأسرية رابطة محبة ومودة، ورابطة سكينة واطمئنان، ورابطة نفسية واجتماعية، قال تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم:21]، وهذه النظرة للأسرة هي دعوة للرذيلة والإباحية، ودعوة للانحلال والضياع، الذي عانت منه كثير من المجتمعات، وسلم منه المجتمع الإسلامي الفريد.

سادساً: موقف الشيوعية من الملكية الخاصة:

أما بالنسبة للملكية الفردية، فقد سلبت الماركسية الإنسان ملكيته الخاصة[2]، حيث يقول غورباتشوف[3]:"الملكية الخاصة هي –كما هو معلوم– أساس استغلال الإنسان للإنسان وقد تمت ثورتنا تحديداً؛ من أجل تصفيتها وتحويل كل شيء إلى ملكية الشعب"[4].

وهو أمر مناقض للفطرة الإنسانية، ومصادم لمشاعر الإنسان وحبه التملك، وسبب واضح في كبت الطاقات البشرية، ونزعة الإبداع، والتقدم الذاتي[5].

فحب التملك هو غريزة في الإنسان[6]، وأصل في طبيعته، قال تعالى:﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة العاديات:8]، ولذلك فهي محترمة مصونة من الاعتداء؛ فقد أحيطت بضمانات

---

(1) تعاليم الماركسية، إنجلز، ترجمة: فواز طرابلسي، دار الطليعة، ط4، 1977م، ص37.

(2) انظر الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال، دار الوفاء، ط2، 1990، ص95.

(3) زعيم الحزب الشيوعي بعد وفاة تشيرنينكو، ولد عام 1931م، في قرية بريفولنوى، وكانت تابعة لمنطقة القفقاز الشمالية، نشأ في القرية والحقول قبل أن يترقى في الحزب، مما أثرت نشأته في التطلع للحرية، اكتنف شخصيته الكثير من الغموض، كانت أسرته متدينة، درس الحقوق في موسكو. انظر الموسوعة العربية العالمية، 587/8، موسوعة السياسة، 372/4.

(4) نشوء وانهيار الإمبراطورية الشيوعية، ميشال هيلر، ترجمة: د. نظير جاهل، د.حسن الضيقة، شركة المطبوعات، ط2، 1992م، ص195.

(5) الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط4، 346/6.

(6) انظر موقف الإسلام من الاشتراكية أو نظرية التملك في الإسلام، مناع القطان، دار الثقافة، ص22.

تشريعية، قال ﷺ:(**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**)[1]، وإذا سلب هذا الحق، صار الناس مسترَقِّين للدولة أذلاء مسلوبي الحقوق.

المطلب الثالث: منزلة الإنسان في الرأسمالية:-

أولاً: الرأسمالية لغة واصطلاحاً:-

أ- الرأسمالية لغة:

الرأسمالية في اللغة هي ترجمة لـ (capitalisme)، بمعنى تركز الثروة، وهي نِظَامٌ اِقْتِصَادِيّ يَقُوم عَلَى الْمِلْكِيَّة الْخَاصَّة([2]).

ب- الرأسمالية اصطلاحاً:

الرأسمالية هي تكوين اجتماعي واقتصادي يحل محل الإقطاع، ويستند إلى الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج واستغلال العمال[3].

وهي أيضا نظام اقتصادي لكثير من البلدان في مختلف أرجاء العالم، يقوم على أساس تملك الأفراد أو الشركات لكل وسائل الإنتاج[4]، وتشجع الرأسمالية حرية العمل التجاري والاقتصادي الحر، وتنمي الملكية الفردية وتحافظ عليها، وتتوسع في مفهوم الحرية؛ لأنها تسمح للناس بأن يباشروا أنشطتهم الاقتصادية بصورة مباشرة ومتحررة؛ ولعدم تدخل الحكومة إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن، وفي هذا النظام تطغى مصلحة الفرد على حساب المجتمع[5].

(وهي نظام مادي بكل ما للكلمة من معنى، وإن لم يكن مُقام على فلسفة مادية واضحة الخطوط والمعالم)[6]، لذا فإن الرأسمالية هي المخطط الكامل الذي ابتدعته السلبية في العقل البشري؛ لتنظيم وإدارة وتوجيه الغريزة البشرية في أحط أدوارها الهمجية؛ لذلك اعتبرت الرأسمالية هي الحيوانية التي ينظمها العقل؛ لأنها تمثل طمعاً واعياً ونهماً يقظاً، وأثرةً خانقة،

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ حديث رقم: 6706.

(2) المورد قاموس عربي-إنكليزي، ص150.

(3) المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، ص73.

(4) حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ص41.

(5) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 912/2، بتصرف.

(6) فلسفتنا، ص20.

يعرف العقل أهدافه ووسائله التي يسلكها إليها، فهي أقصى الدرجات التي وصل إليها العقل الحيواني في الإنسان[1].

إن الناظر للرأسمالية يرى أن منها شيئاً محموداً، هو أن يكون للإنسان رأسمال، فالله جل ذكره زين في قلوب العباد حب المال، فقال:﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [سورة آل عمران:14]، وأباح لنا أن نتخذ من الأموال ما يكون حلالاً، وأمرنا أن نؤدي حقوقها، قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [سورة التوبة:34]، وقد ذهب جمهور العلماء، إلى أن كل مال أديت زكاته فليس بكنز، ولو كان أكثر ما يكون، وكل مال منعت زكاته فهو كنز، ولو كان مالاً قليلاً[2]، **فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا كَانَتْ تَلْبَسُ أَوْضَاحاً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَتْ:(يَا رَسُولَ اَللَّهِ! أَكَنْزٌ هُوَ؟ فقَالَ:"إِذَا أَدَّيْتِ زَكَاتَهُ، فَلَيْسَ بِكَنْزٍ)**[3]؛ ولكن الرأسمالية عند التحقيق تجعل للإنسان الحق في أن يجمع المال من الحلال أو الحرام، دون النظر لشيء اسمه ربا أو أضعاف مضاعفة محرمة، أو زكاة وحقوق واجبة.

الخطورة في الرأسمالية في نشرها الربا في بلاد المسلمين، وفتح البنوك الربوية في بلادهم، والسماح بالتجارة بالمحرمات.

ثانياً: سلبيات النظام الرأسمالي:

تنعدم الفضائل في النظام الرأسمالي، كالنخوة، والشهامة، والبذل، والعطاء، والإيثار، ويتخذ المجتمع من الغابة مظهرها، وجوهرها، فلا حياة إلا للأقوى؛ فأم الفضائل في هذا النظام هي الربح بأي وسيلة مشروعة، أو غير مشروعة، فالرأسمالية لا تتغذى على دماء الشعب فحسب بل يلتهم الرأسماليون بعضهم بعضاً[4].

ويقوم النظام الرأسمالي على إباحة الملكية الفردية إباحة مطلقة، والعمل على تضخيمها بكل سبيل مستطاع، وإن أيقظ هذا النظام في الناس غريزة التملك، إلا أنه يجعل بريق

---

(1) حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ص41.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ، 7/77.

(3) سنن أبي داوود، كتاب الزكاة، باب الكنز ما هو وزكاة الحلي، حديث رقم: 1566.

(4) حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ص41-42.

الذهب والفضة أمنية الأماني؛ فيصاب الإنسان بسُعار مادي، يبحث عن الكسب دون رادع من خلق أو دين، وهو نظام لا يعترف بحقوق إنسانية في المال، سوى ما تفرضه الدولة على الموارد من ضرائب[1].

وترى الرأسمالية أن الخمر والمخدرات تلبى حاجات بعض أفراد المجتمع، وكذلك الأمر بالنسبة لخدمات راقصة البالية، وممثلة المسرح، وأندية المرأة، ومن ثم تسمح بها دون اعتبار لما تسببه من فساد، وفي سبيل تنمية رأس المال تسلك كل الطرق لتنميته دونما وازع أخلاقي مانع، فالغاية عندهم دائماً تبرر الوسيلة[2].

ففي المجتمعات الرأسمالية حيث انخفاض الأجور وشدة الطلب على الأيدي العاملة، يدفع الأسرة لأنْ يعمل كل أفرادها، مما أدى إلى تفكك عرى الأسرة وانحلال الروابط الاجتماعية فيما بينها، ولقد ذاق العالم بسببه ويلات كثيرة؛ نتيجة إصراره على كون المنفعة واللذة هما أقصى ما يكون تحقيقه من السعادة للإنسان[3].

ثالثاً: الإنسان في ظل النظام الرأسمالي:

تبالغ الرأسمالية في تقديس الفرد، وتجعله محور الحياة الاجتماعية كلها، حيث ينظر النظام الرأسمالي للإنسان على أنه كائن مادي مجرد من الميول الروحية والأفكار الأخلاقية، والغايات المعنوية، ولا يبالي فيما يجب أن يكون عليه المجتمع من رفعة معنوية وسمو روحي وأخلاقي[4]، داعية إلى الفصل بين الاقتصاد، وبين الأخلاق[5].

تقوم الرأسمالية على الإيمان بالفرد إيماناً لا حد له، يطغي فيه الفرد على حساب المجتمع، وفكرة الدولة تستهدف حماية الأفراد ومصالحهم الخاصة، فلا يجوز أن تتعدى حدود هذا الهدف في نشاطها ومجالات عملها[6]، وتقوم أيضا على أساس الفصل بين رأس المال وبين العامل، أي بين الإنسان وبين الآلة.

---

(1) موقف الإسلام من الاشتراكية أو نظرية التملك في الإسلام، ص11.

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 917/2.

(3) المرجع نفسه، ص234.

(4) حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ص48.

(5) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، 913/2.

(6) انظر فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف، 1982م، ص14، بتصرف.

يشعر الإنسان في ظل هذا النظام بأنه المسئول عن نفسه وحده، وهو في خطر من قبل كل مصلحة من مصالح الآخرين التي قد تصطدم به، فهو يحيا في صراع دائم لا سلاح له فيها إلا قوته الخاصة، ولا هدف له إلا مصالحه الخاصة[1].

تمتهن الرأسمالية الإنسان وتستغله لمصالحها الخاصة، ففي دستور الرأسمالية –غير المكتوب– أنه ينبغي أن تحتفظ دائماً بجيش من العاطلين تستخدمهم حين يضرب العمال العاملون حتى لا يتوقف العمل من جهة، وحتى يضربوا حركات الإضراب من جهة أخرى، فيضطر العمال إلى الرجوع إلى أعمالهم صاغرين، لذلك استخدمت الرأسمالية المرأة العاملة لتضرب بها حركات العاملين من الذكور، وأعطتها نصف الأجر، وهي تعمل ذات القدر من العمل وذات العدد من الساعات[2] .

تقر الرأسمالية غرائز الإنسان الفطرية التي يقرها الإسلام، من حرية وملكية ومنافسة، ولكنها انتكست بممارستها للحرام من ربا واحتكار وإهدار لحقوق الفقير والمسكين دون رادع[3]، فالنزعة المادية التي قام عليها النظام الرأسمالي سبب في إقصاء أخلاق الإنسان وتبديل مفاهيمها ومقاييسها، وإعلان المصلحة الشخصية كهدف أعلى في حياة الإنسان.

النظرة المادية البحتة للأمور، أوصلت الفيلسوف(فرنسيس فوكوياما)[4]، إلى نظريته المتمثلة في أن انتصار الرأسمالية يعني نهاية التاريخ، وأن قيمة الإنسان مستمدة مما يملكه، وبالتالي فإن فقدان الملكية يعني انعدام قيمة مالكها، وبناء عليه فإن المجتمعات البشرية ستكون أمام أحد خيارين: إما أن تأكل، أو أن تؤكل، وراح الرأسماليون يزدادون ثراءً، والفقراء يزدادون فقراً، وأخذت المنافسة غير المتكافئة بين الحيتان والأسماك الصغيرة، تطحن الناس والمجتمعات طحناً مدمرة البُنى الاجتماعية والتماسك الاجتماعي، وأخذت الفئات الدنيا من الطبقة المتوسطة تزداد فقراً، وباتت معها الطبقة الوسطى في تضاؤل مستمر[5].

---

(1) انظر فلسفتنا، ص25.

(2) مذاهب فكرية معاصرة، ص122–123.

(3) انظر الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، ص33.

(4) كاتب ومفكر أمريكي من أصول يابانية، ولد في شيكاغو عام 1952م، من كتبه(نهاية التاريخ والإنسان الأخير) و(الانهيار أو التصدع العظيم)، عارض فكرة نهاية التاريخ في نظرية ماركس(المادية التاريخية)، واعتبر أن نهاية تاريخ الاضطهاد الإنساني سينتهي عندما تزول الفروق بين الطبقات، تأثر في بناء نظريته بآراء هيغل وأستاذه ألن بلوم.

(5) موسوعة البحوث والمقالات العلمية، الرأسمالية ليست نهاية التاريخ، د.عمر نجاري، ص1.

يتضخم رأس المال في الرأسمالية من إنشاء صناعات تافهة، لا يحتاج إليها الإنسان الجاد الذي يعيش لأهداف جادة، ويعرف قدره ومنزلته والغاية من وجوده؛ بل هي تفسد الأخلاق، وتميِّع الطباع وتشغل الناس بالتفاهات، بدلاً من شغلهم بآفاق الحياة العليا؛ وكل ذلك لأنها أكثر ربحاً كصناعة السينما، وصناعة أدوات الزينة، والتفنن في الموضات، سواءً موضات الملابس، أو موضات الأثاث، أو موضات السيارات، هذه أبرز أدوات التضخم الرأسمالي فأيها أدوات طبيعية ؟ وأيها أدوات عادلة ؟ وأيها لا تؤثِّر في إنسانية الإنسان وهدفه في الحياة ؟[1].

يميل هذا النظام لاستغلال الإنسان وإهدار كرامته البشرية، ويستخف بقيم المجتمع وقوانينه الخُلقية، التي تصون علاقات الأفراد من الانحراف، ويميل إلى تكديس المال، والإقراض بالربا، وزيادة البطالة، واستغلال الشعوب المتخلفة في الاقتصاد، والصناعة[2].

أخذ النظام الرأسمالي الإنسان منفصلاً عن مبدئه وآخرته، محدوداً بالجانب النفسي من حياته المادية[3]، فالنزعة المادية التي قام عليها النظام الرأسمالي؛ سبب في إقصاء أخلاق الإنسان، وتبديل مفاهيمها ومقاييسها، وإعلان المصلحة الشخصية كهدف أعلى في حياة الإنسان.

الإنسان في نظر الرأسمالية لا يحطم حياته إلا الكبت على حد تعبير فرويد[4] صاحب نظرية التحليل النفسي، التي كانت تقف وراء ما انتشر في الغرب، من موجات تحلل عارمة في القيم والأخلاق، وخشية الكبت انطلق الحيوان الرأسمالي يشبع غرائزه وشهواته، يحلل كل محرَّم ويدمر ويقتل، وفي مثل هذا الجو لا يحس فيه الإنسان بإنسانيته، فيكون الضيق بالحياة هو مطلب المطالب، وتكون أكبر نسبة انتحار في العالم هي في البلاد الرأسمالية[5].

لقد قاست الإنسانية أهوالاً مروعة على يد المجتمعات الرأسمالية؛ نتيجة لخوائها الخلقي، وفراغها الروحي، وستظل الحرية الاقتصادية التي لا تحدها حدود معنوية، من أفتك أسلحة الإنسان بالإنسان، وأفظعها إمعاناً في التدمير والخراب، فمن نتاج ذلك، تسابق الدول الأوروبية

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة، ص231، بتصرف.

(2) انظر الإسلام في الواقع الأيديولوجي المعاصر، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، ط2، 1982م، ص57-59، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، محمد قطب، دار الشروق، ط1، 1989م، ص145.

(3) فلسفتنا، ص17.

(4) يهودي نمساوي كان يعمل طبيباً، ثم تخصص في معالجة الأمراض العصبية والنفسية، ولد (1856-1938م) ألَّفَ نحو ثلاثين كتاباً في الدراسات النفسية، أهمها الذات والذات المستقل، الطوطم والمحرمات، تفسير الأحلام وغيرها، انظر موسوعة الفلسفة، 123/2.

(5) انظر العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة، ص92.

بشكل جنوني على استعباد البشر الآمنين، وتسخيرهم في خدمة الإنتـاج الرأسـمالي، وتـاريخ أفريقيا وحدها صفحة من صفحات ذلك السباق المحموم، فاستوردت بريطانيا، وفرنسا، وهولندا، وغيرهم من الدول الغربية، أعداداً هائلة من سكان أفريقيا الآمنة؛ لبـيعهم كـالرقيق وتقـديمهم قرابين للعملاء الرأسماليين، وغير ذلك من الفظائع الكثيرة[1].

رابعاً: أخلاق الإنسان في النظام الرأسمالي:

تأثرت الرأسمالية كلها بأخلاق اليهود الذين أشرفوا عليها من بدايتها – واليهود هم عبده العجل منذ القدم– فإن الرأسمالية في حد ذاتها نظام جاهلي، ومـن طبيعـة الجاهليـة أن تظلـم المستضعفين، وأن يطغى فيها أصحاب السلطان على من لا سلطان لهم، إلا أن يحجـزهم عـن الظلم حاجز قهري لا يملكون قهره بجبروتهم[2].

جوهر الرأسمالية هو حرية الإنسان، تلك الحرية التي لا تعرف القيود ولا الحـدود ولا تعرف الغايات، فهي حرية حيوان انطلق من عقاله، يسير على غير هدى، بينمـا الحريـة فـي الإسلام هي حرية مسئولة يعرف بها الإنسان كيف يسير؟ وإلى أين يتجه؟ وهي حريـة تتـصل بجوهر طبيعته كخليفة في الأرض[3].

يترتب على الحرية المنفلتة في الرأسمالية، أن ضمان سعادة المجتمع ومصالحه، ليـست بحاجة للقيم الخلقية والروحية؛ لأن الإنسان يسير طبقاً لمصلحته الخاصة إذا كُفلت له الحرية في المجال العملي، وهذه المصلحة تواكب مصلحة المجتمع، لذا يمكـن للمجتمـع الاسـتغناء عـن الخدمات التي تقدمها القيم الروحية والخلقية، والوصول لمصالحه بالطريقة الرأسمالية، التي توفر للفرد حريته.

القيم الخلقية، والروحية موجودة في النظام الرأسمالي، ولكـن الرأسـمالية لا تعتـرف بضرورة هذه القيم لضمان مصالح المجتمع، فالحرية سلاح جاهز في يد الأقوياء؛ لإقامة المجـد على جماجم الآخرين، نتج عن ذلك هدر كرامة الإنسان، وبات سلعة خاضعة لقوانين العـرض والطلب، وأصبحت الحياة الإنسانية رهن هذه القوانين[4].

---

(1) انظر اقتصادنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف، 1991م، ص261–262، فقه الاقتصاد العـام، يوسـف كمال محمد،، ستابرس للطباعة والنشر، ط1، 1990م، ص22.

(2) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص188، العلمانية، ص281.

(3) العقيدة الإسلامية، والأيديولوجيات المعاصرة، د.عبد الغنـي عبـود، دار الفكـر العربـي، ط2، 1980م، ص103.

(4) انظر اقتصادنا، ص257–260، بتصرف، حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ص44.

إن إيمان الرأسمالية بالحرية الواسعة؛ أدى إلى فوضى في الاعتقاد والسلوك؛ بسبب تحول الحرية السياسية لحرية أخلاقية واجتماعية، ثم تحولت هذه بدورها إلى إباحية، مما تولد عن ذلك صراعات غربية تجتاح العالم معبرة عن الضياع الفكري والخواء الروحي[1].

خامساً: حكم الإسلام في النظام الرأسمالي:

الرأسمالية نظام مرفوض؛ لأنه نظام بشري وضعي، مصيره الفشل والفناء؛ لمنافاته للفطرة البشرية؛ ولإشاعته للإباحية والتحلل الأخلاقي، وتشجيعه الإنسان على أكل الحرام وسلوك الطرق المحرمة، وهو نظام يقوم على تكوين طبقة في المجتمع؛ تستأثر بتداول المال واستثماره، كما تستأثر بالنفوذ والسلطة، فهي تكرس بذلك الطبقية والمظالم الاجتماعية؛ ولأنها نظام يعمل على إطلاق الحرية الشخصية وإباحة الاحتكار، ويعمل على إذكاء روح الأنانية الفردية في المجتمع، وعموده الفقري الربا، الذي حرمه الإسلام، حيث يقول الله تعالى:﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ [سورة البقرة:275]، ولكن الإسلام يؤمن بضرورة الملكية الفردية، مع محاربة تكديس الثروات[2].

لقد وفر الإسلام للإنسان خير ما في الرأسمالية، وهو حرية الفرد، ووفر له خير ما في الشيوعية، وهو مصلحة الجماعة، وجنب الفرد المسلم شر ما في المذهبين المتناقضين، وهو مبالغة كل منهما فيما ذهبت إليه، وفَصَلَ كل منهما بين الإنسان، ومصدر وجوده، وسبب طمأنينته، وهو الإيمان بالله ﷻ.

إن النظام الرأسمالي يحارب الإسلام؛ لأنه يقدم برنامجاً إنسانياً يقف في وجه كل من يتخذ المال وسيلة للإذلال، كما يقف في وجه من يتخذ من السلطان وسيلة للقهر[3].

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص234، بتصرف.

(2) انظر حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ص46-47، بتصرف.

(3) العقيدة الإسلامية، والأيديولوجيات المعاصرة، ص112.

المبحث الثاني

دعاوى الماديين حول وجود الإنسان وغايته

المطلب الأول: وجود الإنسان وغايته في النظرية الدارونية:-

منذ بدء البشرية لم يسمع أحد بمن يقول: إن الإنسان ناشئٌ في خلقته عن أصول حيوانية، فقد عُرِفَ في العصور السابقة أن كثيراً من الناس أنكر الإله الخالق، كالدهريين، وفرعون، والنمرود، مع اعترافهم في حقيقة أنفسهم بوجود إله خالق، كما حكى اللَّـه تعالى عنهم بقوله:﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل:14]، غير أنهم لم يقولوا إن أصل البشر ليس واحداً، بل إن خلقتهم التي كانوا عليها هي خلقة الإنسان الأول (آدم عليه السلام)، فكان بشراً سوياً كخلقته الآن، فليس بمتطور عن القرود العليا، ولم يقولوا أن الحيوانات كلها متطورة، تتغير هيئتها فتتحول بمرور الزمن إلى حيوان قريب من شكلها، وهكذا الإنسان ضمن ذلك السلم الارتقائي(1).

هذه النظرية ما كانت موجودة ولا سائدة بين المنحرفين عقلياً من بني البشر، حتى جاء لامارك(2)ومن بعده داروين(3)، فابتدعا نظرية النشوء، وقبل هذا كان يسود رأي عند بعض هؤلاء الملحدين، هو انقراض المخلوقات في الماضي وإيجاد أنواع جديدة، وبذلك أنشأ داروين نظريته هذه، التي لاقت قبولاً لدى الملحدين، والخارجين على الكنيسة في النهضة الحديثة.

وقبل أن تبصر نظرية داروين النور، كان الإيمان المسيحي والأخلاق المسيحية قد تعرضا لضربات قاسية وهزات عنيفة، فطرأت العاصفة الداروينية بتعدٍ واضح من قبل أنصار

---

(1) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خلق الإنسان في الكتاب والسنة، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، عدد30، ص49 .

(2) لامارك، شيفالييه دو(1744م – 1829م)، وُلد في مدينة بازنتين في مقاطعة بيكاردي، فرنسي متخصص في علم الأحياء والنبات، من الذين اقترحوا نظرية تطور علم الأحياء، مؤسس علم الإحاثة اللافقاري، وقد أثّرت آراؤه في التطور على الفكر في القرن التاسع عشر، ساعدت دراساته لحياة النبات والحيوان داروين في أبحاثه حول نظرية النشوء والارتقاء، انظر الموسوعة العربية العالمية، 22/21.

(3) تشارلز روبرت داروين عالم طبيعي بريطاني، عاش ما بين(1809م– 1882م)، ولد في شروزبري بإنجلترا، قضى معظم حياته في جمع الملاحظات وإجراء التجارب العلمية التي أسس عليها فكرة التطور، كان في بدء حياته مؤمناً بالله، ثم صرح في آخر أيامه في ترجمته لحياته وفي إحدى رسائله، أنه لا أدري أي لا يقول بالعناية الإلهية وبالصدفة، أشهر آثاره في أصل الأنواع. انظر معجم أعلام المورد، تأليف منير البعلبكي، إعداد د.رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، 1992م، ص182، دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار الفكر، 29/4.

عالم الطبيعة الانجليزي داروين، وزعموا أنهم يملكون الدليل على انحدار الإنسان من سلالة القرود، هذا الدليل الذي لا يقدمه أي علم في أي عصر[1].

فقد ولدت النظرية في عصر كان فيه الصراع بين العلم والدين على أشده، والإنسان الأوروبي يتحفز للأخذ بثأره من رجال الكنيسة الذين أذاقوه الذل والاستعباد، فكان ظهور النظرية فتحاً جديداً بالنسبة له، لكن الجماهير وقفت أول الأمر بجانب الكنيسة ضد داروين، وعز عليهم أن يسلبهم داروين إنسانيتهم ويردهم إلى أصل حيواني، وتغير بعد ذلك موقفهم، فأخذوا يشمتون في الكنيسة ورجالها للخلاص من طغيانهم[2].

أولاً: أصل الإنسان عند داروين:

يفترض داروين أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا، كائن حقير ذو خلية واحدة، ويكون تطور الحياة في الكائنات العضوية، من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد، وتدرجها من الأحط إلى الأرقى، والفروق الخَلْقية داخل النوع الواحد، تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة[3].

وحسب قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب، نمت الأنواع القوية التي استطاعت التكيف مع البيئة الطبيعية ومصارعة الكوارث المفاجئة، وتدرجت في سلم الرقي، في حين هلكت الأنواع الضعيفة التي لم يحالفها الحظ في ذلك[4].

والسبب في ذلك أن الطبيعة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء، ومؤهلات حفظ النوع، بإضافة أعضاء، أو صفات جديدة، تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع ظروف البيئة، وقد أدَّى ذلك إلى تحسن نوعي مستمر، نتج عنه أنواع جديدة راقية كالقردة، ونوع أرقى؛ وهو الإنسان، أما البعض الآخر؛ فقد حرمته الطبيعة من ذلك فتعثر، وسقط، والطبيعة إذ تهب هذا، وتحرم ذاك لا تنتهج خطة مرسومة؛ بل تخبط خبط عشواء[5]، ذلك هو لب فرضية داروين، البعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة.

تقوم نظرية التطور على تدرج وجود المخلوقات على الأرض ولم توجد دفعة واحدة، وهي مخلوقات متسلسلة وراثياً، بطريق التعاقب خلال عملية التطور البطيئة، ومن المعلوم بديهياً

---

(1) انظر أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، ص185، بتصرف.

(2) انظر معركة التقاليد، محمد قطب، ط16، دار الشروق، 1992م، ص19، بتصرف، مذاهب فكرية معاصرة، ص95، العلمانية، ص188.

(3) انظر العلمانية، ص178، انظر تهافت الفكر الماركسي، ص101.

(4) انظر العلمانية، ص178.

(5) انظر المرجع نفسه، ص179، انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص94.

أن الترتيب التاريخي للوجود لا يستلزم التسلسل الوراثي، فالترتيب المنطقي للكائنات الحية هـو -تصاعدياً- النبات ثم الحيوان ثم الإنسان، وليس في هذا الترتيب مـا يـدل علـى أن الوجـود التاريخي لهذه الأجناس وقع بهذا الترتيب؛ بل نحتاج في إثبات ذلك إلى دليل خارجي[1].

حاول أنصار هذه النظرية البحث عن أدلة تؤيد رأي داروين، فزعمـوا أن الشـبه الذي بين الإنسـان والقرود دليل على أن الإنسان أصله منها، أو أنه والقرد من أصل واحـد، وقـد صنفوا الإنسـان من جملة الحـيوانات الفقارية ثم اللبـونية، وأقـرب شبه بالإنسان من هـذه الحيـوانات القردة العليا كما يسمونها، وهي عديمة الذيل[2]، ومن أدلة المشابهة وجـود بعـض زوائد في بعض الأجسام، كالزائدة الدودية عند الإنسان، دون أن يكون لها وظيفة -كما بدا لهم- وكاستطالة سلسلة الظهر السفلى عند بعض الناس، استطالة تشبه بقايا ذيلٍ تقاصَر مـع مـرور السنين، فهو في طريقه إلى الزوال[3].

وهذه المشابهـة المزعومة بين القرد والإنسان باطلة؛ لأننا نـرى الإنـسـان فـي أول ولادته ضعيف، واللَّه تعالى يرعاه حتى يصل لدرجـة لا تقاس بحـالة صغير الحيوانات، الذي يولد على نوع من الـقوة تؤهله للحركة الكافية، وعنده من الإدراك مقـدار لـيس عنـد طفـل الإنسان، فيهتدي إلى غذائه فيلتـقم ضرع أمه، دون تلك المعـالجة التي تعالجـها أم الإنـسان، وفي أقرب مدة لا يتأهل فيها الطفل للجلوس، يكون الحيوان قادراً على السعي في جلب رزقـه، فشتان ما بين القرد والإنسان، فلو كانا مشتقين من أصل واحد، أو مترقياً عنه، لكان مـن حـق الإنسان أن لا يكون في تلك الحالة التي ذكرنـاها فلا يكون عند ولادته دون القرد الذي ترقَّـى هو عنه، وبعـد ذلك يتفـوق عليه بمراحـل، وبهذا يتبـين بطلان هذه النظرية[4].

إن التشابُه بين الأنواع المختلفة لا يقتضي النسب بينها، ولا يستلزمه عقلاً، فالأمر يتوقـف على ثبوت ذلك النسب بشكل واقعي، وكذلك تأخر ظهور بعض الأنواع الراقية عن أنواع سابقة لها في الوجود، لا يقتضي أن السابق أبٌ أو جدٌ لما ظهر بعده، إذ الاحتمال الأقرب للتصور أن يكـون مبدع النوع الأول قد أبدع بعده النوع الأرقى، ثمّ أبدع بعد ذلك الأرقى فالأرقى، ثمّ أبـدع أخيـراً الإنسان، أما التطور الذاتي إلى الأكمل دون تدبير حكيم عليم قدير خالق، فهو أمرٌ مستحيل عقلاً، إذ الناقص لا ينتج الكامل في خطةٍ ثابتة، وهو بمثابة إنتاج العدم للوجود[5].

---

(1) انظر العلمانية، ص184.

(2) مجـلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد30، ص50.

(3) انظر تهافت الفكر الماركسي، ص106، انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص255.

(4) انظر مجـلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد30، ص50.

(5) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص256.

اقتصرت النظرية على أوجه الشبه الجسدية بين الإنسان والقرد، وأغفلت الجوانب الأخرى التي يتميز بها الإنسان كالجانب النفسي، والعقلي، ولقد أثبت علم التشريح فروقاً هائلة بين الإنسان والقرود التي هي أقرب الحيوانات إلى الإنسان، وتتمثل هذه الفروق في انتصاب القامة عند الإنسان، ودقة حاسة اللمس، والمهارة اليدوية، ونمو الدماغ، وحجم الجمجمة، والتعبير بالنطق عن الأفكار[1].

ولقد كشف علم الأجنة عن بطلان التشابه بين أجنة الحيوان والنبات والإنسان، وأوضح أن هناك اختلافاً في الأجنة بعضها عن بعض، في تفاصيلها التكوينية الدقيقة، كما أثبت أن عوامل الوراثة تجعل من المستحيل تطور نوع إلى نوع آخر؛ لأن هناك عوامل وراثية كامنة في خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه، وتحتم أن يظل في دائرة النوع الذي نشأ منه، ولا يتطور لنوع جديد[2].

وما علاقة التشابه بين سلسلة الحيوانات بدعوى انحدارها من أصل حيواني واحد؟ ألا يمكن أن يكون الفرق بين الإنسان، وغيره من الحيوانات فرقاً ناشئاً من اختلاف الماهية، وإن تراءى بينها بعض الشبه؟ أي لماذا لا تكون هذه السلسلة المتدرجة في التشابه من الكائنات الحية، قائمةً على هذا التدرج والتشابه نفسه منذ أن خلقها الله ﷻ؟ ولم تنبثق من أصل واحد بتولد ذاتي[3].

ثانياً: الغاية من وجود الإنسان عند دارون:

من الحقائق المسلم بها في العقل، والفطرة السليمة، أن خلق الإنسان على الأرض له غايةٌ وهدفٌ، أرادهما الله تعالى، ولما ظهرت نظرية دارون، ونادت بأن الإنسان وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة، بدأت من جرثومة في مستنقع آسن، وانتهت في خط سيرها المتخبط إلى صورته الراهنة، لم يعد هناك ما يدعو إلى التفكير في الغاية من خلقه والهدفِ من وجوده؛ لأنه حسب نظريته متطور بفعل الطبيعة، والصدفة[4]، فلا مكان للعقيدة في تركيبه، ولا مكان للأخلاق، ولا مكان للثقافة الفكرية والروحية والأخلاقية والاجتماعية في تصرفه، وما مقياس الخطأ والصواب في أعماله؟ وكيف يقال عن عمل من أعماله إنه حسن أو قبيح، جائز أو غير جائز؟ كيف يمكن إعطاء قيمة أخلاقية لأعماله ؟ وما معنى الضوابط المفروضة على سلوكه؟[5].

---

(1) انظر دراسات في العقيدة الإسلامية، أ.د. أحمد محمد الجلي، 2002م، ص112، بتصرف، تهافت الفكر الماركسي، ص109-111.

(2) دراسات في العقيدة الإسلامية، ص113-114.

(3) انظر كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط1، 1969م، ص263.

(4) انظر العلمانية، ص192-193.

(5) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص98.

ولما نسبت نظرية داروين عملية التطور إلى العوامل الطبيعية البحتة، كما قال داروين:"الطبيعة تخبط خبط عشواء"[1]، فمن العبث أن نبحث عن غاية مرسومة وهدف مقصود للخلق وللوجود الإنساني، فلو أن الطبيعة وهبت الضفدعة –مثلاً– القدرة على التطور ومنحتها ما منحته صدفة واعتباطاً للإنسان؛ لكانت هي سيدة المخلوقات، وقد قال جوليان هكسلي[2]:"من المسلَّم به أن الإنسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات، ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر"[3].

وأدى الإيمان بهذه الفكرة إلى اعتناق فكرة هزيلة لا قيمة لها ولا وزن في حساب العلم، هي فكرة المصادفة، فبعد أن أبطل باستير[4] أسطورة التولد الذاتي، لم يجد دعاة الإلحاد والهاربون من الدين ما يسترون به عورتهم إلا هذه النظرية الباطلة[5].

ومن العجب أن يرى الإنسان كثيراً ممن يُسَمون علماء، يعتقدون أن الكون بدقته المذهلة وعظمته الهائلة وجد صدفة واعتباطاً، قال الله تعالى:﴿**ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾ [سورة ص:27]؛ لأن الصدفة تنطوي دائماً على صفات الانتقاص والاضطراب، وإن كان ما زعموه صحيحاً، فلماذا لا تتجه الصدفة يوماً ما في سيرها بالركب الحيواني نحو الانتكاس إلى الخلف؟ بدلاً من الصعود الشاق الراتب إلى الأمام[6].

فنشأ عن ذلك الإلحاد الذي ارتبط بالنظرية، الذي مردُّه إلى القول بالمصادفة، ونفي الغاية والقصد من الخلق، وتفسير التطور تفسيراً مادياً ميكانيكياً[7].

---

(1) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص94، ص281.

(2) السير جوليان سُوريل هَكْسلِي، عاش ما بين(1887–1975م)، وُلد في لندن، وهو دارويني ملحد، ظهر في القرن العشرين، وهو عالم أحياء مشهور، ألف بحث عن علم الطيور (دراسة الطيور)، وأعد دراسة حول معدلات نمو أعضاء الجسم، وطوّر طريقة حسابية لتحليل النسب التي يتكون منها الجسم، من مؤلفاته، مقالات عالم أحياء، ومشاكل النمو، والنظرية الحديثة للنشوء والارتقاء، والإنسان في العالم الحديث، وغيرها. انظر الموسوعة العربية العالمية، 109/26.

(3) معركة التقاليد، ص55.

(4) لويس باستير عاش ما بين(1822م– 1895م)، في مدينة دُول بفرنسا، عالم مايكرو بيولوجيا وكيميائي فرنساوي، مشهور باكتشافاته في مجال طرق انتقال الأمراض المعدية والوقاية منها، كان عالمًا نظريًا طبَّق اكتشافاته الرئيسية على مشكلات واقعية في كل من الصناعة والطب. انظر الموسوعة العربية العالمية، 97/4.

(5) انظر العلمانية، ص194.

(6) انظر كبرى اليقينيات الكونية، ص265، بتصرف.

(7) دراسات في العقيدة الإسلامية، ص119.

أخذ المغرضون ينفثون أفكارهم الهدامة التي تنظر للإنسان على أنه حيوان، وتحدد مطالبه بمطالب الحيوان، وتدرسه كما تدرس الحيوان، وليس الإيحاء بحيوانية الإنسان هو الأثر الدارويني الوحيد الذي حط من قدره وكرامته؛ بل اقترن به إيحاء آخر، وهو الإيحاء بماديته، فالإنسان في نظر الداروينية لم يتطور مختاراً، بل كان تطوره مظهراً لخضوعه المطلق للبيئة الطبيعية[1].

ثالثاً: نقد النظرية الداروينية في تصوُّرها للإنسان:

من العلماء من جزم برفض النظرية، وحكم ببطلانها جملة؛ لأنها مناقضة للدين غير مستندة لأدلة قاطعة، ومنهم من رفضها لنقص الأدلة، مع تعليق النتيجة بانتظار الأدلة المقنعة، والإيمان بأنه إذا ثبت لا يكذب العقيدة الدينية والعقلية في الخالق، ومنهم من قال بأن الأدلة العلمية التي يوردها العلماء لنفيها والتشكيك فيها أرجح من الأدلة العلمية المؤيدة لها[2].

إن أول من نقد هذه النظرية علمياً هم العلماء المعاصرون لداروين وهما: أوين[3] في إنجلترا، وأغاسيز[4] في أمريكا بقولهم:"إن الأفكار الداروينية مجرد خرافة علمية، وأنها سوف تنسى بسرعة، وانتقدها كذلك معظم أساتذة الجامعات في القرن الماضي"[5].

يقول جوليان هكسلي بعد أن سرد الكثير من خصائص الإنسان الفذة:"هكذا يضع علم الأحياء الإنسان في مركز مماثل لما أُنْعِمَ به عليه كسيد المخلوقات، كما تقول الأديان"[6]، ومن الداروينيين المتعصبين الذي اضطر إلى كتابة النظرية من جديد، رغم اعترافه بأنها ما زالت حتى الآن بدون براهين، السير آرثر كيث[7] القائل:"إن نظرية النشوء ما زالت حتى الآن بدون

---

(1) العلمانية، ص196.

(2) الإنسان في القرآن، ص127-128، بتصرف.

(3) روبرت أوين عاش ما بين(1771-1858م)، مفكر اشتراكي بريطاني وصناعي ثري، أنشأ أولى التعاونيات الاستهلاكية، وعالم أحياء إنجليزي، من أساطين علم الأحياء في القرن التاسع عشر، عارض الأفكار الداروينية واعتبرها مجرد خرافة. انظر الموسوعة العربية العالمية، 446/3.

(4) صاحب نظرية التولد الذاتي، التي اشتهرت في القرن التاسع عشر في أوروبا، وهو عالم أحياء أمريكي من أساطين علم الأحياء، عارض الأفكار الداروينية واعتبرها مجرد خرافة.

(5) انظر العلمانية، ص181.

(6) معركة التقاليد، ص56.

(7) دارويني متعصب، عاش ما بين(1866-1955م)، عالم تشريح وأنثروبولوجيا (علم الإنسان) بريطاني، كان عمله الرئيسي تفسير وشرح بقايا أحافير الإنسان الأول وأثرها في تطور البشرية، يعترف بأن هذه النظرية لا تزال حتى الآن بدون براهين، فيضطر إلى كتابتها من جديد، من مؤلفاته: آثار الإنسان، ما يتعلق بأصل الإنسان، ومقالات في التطور البشري والنظرية الجديدة للتطور. انظر الموسوعة العربية العالمية، 363/20.

براهين، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها، هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بـــالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق"[1].

إن الناظر لهذه النظرية يرى أنها باطلة من أساســها؛ لأن القائلين بها قـــــصدوا إلغـــاء فكرة الدين القائلة بوجود الإله الحق الخالق، وهي افتراء على اللَّه تعـــالى خالق بنـــي البـــشر، والذي أخبر في كــل الكتب الســماوية بالعنصـــر الذي خلق منه الإنســـان الأول، وهي افتراء على النوع البشري الذي أكـــرمه الـــله من بين سائر المخلوقات، كما هي افتراء وتجـــنٍّ علـــى المنهج العلمي أيضا؛ لأنه ينبني على تخرصـــات وأباطيل شـــاذة صادرة عن عقليـــــات تحـــب الانفراد بالقول، فالأدلة التي يستـــدل بها أصحاب هذه النظرية ليست إلا ضربـــــاً مـــن الظـــن مبناها الفروض، فكل ما يذكر أصحاب هذه النظرية لإثبـــاتها ظن وتخمين، وهذا كافٍ في الـــرد عليهم، فـــالظن والشك وصفان لهذه النظرية، ويدحـــضان كل دليل لهم، قال تعالى:﴿**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [سورة النجم:28].

إن دارون نفسه يقول:"ولا ينبغي أن نعاب على ما لم نظفر باستجلاء غامضه من قضية أصل الأنواع، والتنوعات، فإن جهلْنا حقيقة الصلات المتبادلة بين العضويات التي تعيش حولنـــا؛ لا يُترك لأحد إلى التورط في لومنا سبيلاً"[2].

ويقول أيضا عن موضوع سنن التغاير:"وهو موضوع مستغلق لم نستوضح فيه إلا النزر اليسير من الحقائق التي تضمرها الطبيعة"[3]، ويقول أيضا:"إن كثيراً من الآراء التـــي بـــسطتها تخمينية للغاية، ولا أشك في أنه سيتضح فساد بعضها بالبرهان القـــاطع، ولكـــن قـــد أوضـــحتُ الأسباب التي ساقتني إلى التمسك برأي دون رأي[4]؛ أني أرى أن الأحياء التي عاشت على هـــذه الأرض جميعها من صورة واحدة أولية، أو بعض صور قليلة نفخ الخالق فيها نسمة الحياة، وإنه بموجب ما لنا من البينات، لم يتبرهن قط أن نوعاً من النبات أو الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعـــي أو الانتخاب الصناعي"[5].

---

(1) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص249، الإسلام يتحدى، ص43.

(2) أصل الأنواع، تشارلس داروين، ترجمة: مجدي محمود المليجى، تقديم: سمير حنا صادق، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004م، 72/1، 182.

(3) المصدر نفسه، ص71.

(4) تهافت الفكر الماركسي، ص74.

(5) المرجع نفسه، ص116.

ولكن العقاد يقول:"لاشك في خلو الإسلام مما يوجب القول بتحريم هـذا المـذهب، فقد يثبت غداً أن المذهب صحيح كله أو باطل كله، أو يثبت أن بعـضه صـحيح وبعـضه باطـل، والإسلام لا يصد عن سبيل العلم في أيَّةِ وجهة من هذه الوجهات"[1].

وما ذهب إليه العقاد من رأي فهو باطل؛ لأن الإسلام مليء بالأدلـة الدالـة علـى خلـق الإنسان رأساً دون أن يتطور عن مخلوق سابق له -كما بينت ذلك في الفصل الأول- وما وقف عنده الأستاذ العقاد في كتابه، فيه الحجة البالغة، ولكنه لم يقع عليها؛ لأنه اقتـصر علـى قولـه تعالى:﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ [سورة السجدة:8]، ولو ذكر الآية التـي قبلهـا لوجد فيها الحجة، قال تعالى:﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [سورة السجدة:7]، بهذا اللفظ لا يدع مجالاً للغموض في الربط المباشر بين الطـين والإنـسان، وقـال تعـالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سـورة الحجر:28]، وقال أيضا:﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ﴾ [سـورة ص:71][2]، فالربط بين البشرية والطين، وبينهما وبين الصلصال، على أن الطين أصل البشر، لا يدع مجالاً لرأى آخر يقول أن بينهما واسطة، والحق أن ذكر البشر، والإنسان في الآيتين اللتين أهملهما مَن لا يجرؤ على القول بأن القرآن الكريم يدفع القول بنظرية التطور، سواء قال بها دارون أو هذب منها غيره، مقرَّتين بأصله المباشر[3].

ومن الأدلة على بطلان مذهب دارون أيضا، قوله تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [سورة الروم:20]، يقول الفخر الرازي:"وفي الآية لطيفتان، إحـداهما قوله:(إذا) وهي للمفاجأة، وهي إشارة إلى أن الله تعالى خلقه من تراب بكن فكـان، لا أن صـار معدناً، ثم نباتاً ثم حيواناً ثم إنساناً، وهذه إشارة إلى مسألة حكمية، وهي أن الله تعالى يخلـق أولاً إنساناً، لا أنه خلق حيواناً، ثم جعله إنساناً، وفي قوله تعالى:﴿إِذَا أَنتُم بَشَرٌ﴾ أنكم فـوجئتم وقـت كونكم بشر تنتشرون في الأرض، وأن مجيئكم بشراً، كان نتيجةً مباشِرة لخلقكـم مـن تـراب، فالإنسان خلق بادئ ذي بدء إنساناً[4]"، ولم يكن الفخر الرازي ولا غيره من العلماء الذين تنبهـوا

(1) انظر الإنسان في القرآن، ص132.

(2) انظر مجلة دعوة الحق، 85/87.

(3) انظر المرجع نفسه، ص85.

(4) مفاتح الغيب، 95/25.

لهذه الدقيقة أو اللطيفة، يتوقعون أنه سيجيء بعد قرون من ينكر هذه الحقيقة، ويزعم أن الإنسان كان في الأصل قرداً، ويجعل ذلك نظرية يسميها أصل الأنواع[1].

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى:﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [سورة آل عمران:59]، وذلك أن في الآية ضميرين كلاهما يرجع إلى آدم، وليس بينهما فاصل، فالذي قيل له: كن، هو الذي خلقه من تراب، أي أن الواسطة معدومة بين الخلق من التراب، وبين وجود آدم عليه السلام، فلو أن الله تعالى انتزع آدم من حيوان لقاله، كما قال إنه خُلِق من تراب، وذلك أن الحرف (من) مستعمل لبيان جنس ما خلق منه آدم عليه السلام وهو التراب[2].

وخلاصة ما يُرَد به على من ادعى أن أصل الإنسان قرداً؛ ليسلبه إنسانيته، عدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع في الأحياء من آلاف السنين، وعدم وجود الصور المتوسطة بين الأنواع اللازمة لمذهب التسلسل، كوجود حيوان أرقى من القرد، وأدنى من الإنسان رتبة واحدة، وطول الزمان اللازم لحصول الترقي بين الأحياء، فإن عمر الأرض لا يكفي لما تصوروه.

ونحن نعلم بنص الكتاب العزيز عكس هذه النظرية، وهو أن اللّه عز وجل عاقب أقواماً عصوه وخالفوا أوامره وأوامر رسله، بأن مسخهم قردة وخنازير، كما قال تعالى:﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهَّ مَنْ لَعَنَهُ اللهُّ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ [سورة المائدة:60].

ولعل هذا يكفي في الرد على هؤلاء عند كل من له أدنى بصيرة، ويكفي أيضا في الرد عليهم، قوله تعالى:﴿**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾ [سورة الكهف:51].

إن نظرية دارون التي تجعل أصل الإنسان قرداً تمس كرامته الإنسانية، وتلحق بها الذلة والمهانة، وهذا ما يريده اليهود؛ ليكون الناس لهم عبيداً، وهم أسيادهم، وهيهات.

---

(1) انظر مجلة دعوة الحق، 83/87.

(2) انظر المرجع نفسه، ص84.

المطلب الثاني: وجود الإنسان وغايته في الفلسفة الوجودية:-

يصعب تعريف الوجودية؛ لأنه ليس هناك مذهباً فلسفياً قائماً بذاتـــه يـــسمى الوجوديـــة؛ لوجود وجوديات مختلفة، تشترك في بعض العناصر، وتسمى بأسماء مـــن ابتـــدعوها، فهنـــاك وجودية كيركجارد[1]، ووجودية نيتشه[2]، ووجودية هايدجر[3]، وغيرهم مـــن الفلاســـفة الـــذين اتخذوا من الوجود محور تفكير لهم، ومما يزيد الأمر تعقيداً تفرع الوجودية إلى وجودية مسيحية مؤمنة، ووجودية ملحدة[4]؛ بل تتسم الوجودية بقدر من الغموض، فهي ليست مذهباً فلسفياً دقيقاً، ولا مدرسة يمكن صياغة تعاليمها في قضايا محددة، ولا سبيل لوضع تعريـــف جـــامع لهـــا[5]، وكانت قبل سارتر[6] رأياً فلسفياً منتقداً، عُرف من عهـــد فلاســـفة اليونـــان، وفـــــي مقـــدّمتهم

---

(1) هو سورن كيركجارد، عاش ما بين(1813- 1855م)، فيلسوف دينماركي، كتب بحوثًا دينية، فاختلف بها مع الكنيسة، كان يرى أن حقيقة الوجود تعرف عن طريق التجارب الذاتية للأفراد، هـــذه التجـــارب التـــي تستمد قوتها من وجود الإنسان الذي يسبق ماهيته، والدين أمر شخصي صرف، وهـــو المؤســـس الفعلـــي للفلسفة الوجودية، من أشهر كتبه: (أما أو) و(مراحل طريق الحياة)، انظر الموسوعة الفلـــسفية، ص387، انظر معجم الفلاسفة، ص560، انظر دراسات في الفلسفة الوجودية، د.عبد الـــرحمن بـــدوي، المؤســـسة العربية، 1980م، ص 27، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، فؤاد كامل، دار الجيل، ط1، 1993م، ص173، موسوعة الفلاسفة، ص168.

(2) فيلسوف ألماني عاش مابين (1844م-1900م)، مؤسس فلســـفة القوة، ومن أكثر الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين، من مؤلفاته: (نشأة المأساة عن روح الموســــــيقى) و(تـــأملات فـــي غيـــر الأوان) و(نحـــن الفيـــلولوجيـــين) و(إنســـاني إنســـاني جداً). انظر موســـوعة الفلســـفة، عبد الرحمن بـــدوي، المؤســـسة العربية، ط1، 1984م، 2/508-517، موسوعة الفلاسفة، ص189.

(3) هو فيلسوف ألماني من فلاسفة القرن العشرين، من مواليد (1889م)، وهـــو مـــن مؤســـسي الوجوديـــة، والموضوع الرئيسي الذي تدور حوله كل فلسفته هو الوجود، ومهمة الفيلسوف في نظره هي إيضاح معنى الوجود. انظر موسوعة الفلسفة، 2/599، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص217، موســـوعة الفلاســـفة، ص249.

(4) انظر قراءة نقدية في وجودية سارتر، د.علي حنفي محمود، المكتبة القوميـــة الحديثـــة، 1996م، ص12، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص 98، الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، د.محمد إبراهيم الفيـــومي، الهيئـــة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1984م، ص53 .

(5) انظر الوجودية الدينية، د. يمنى طريف الخولي، دار قباء، 1998م، ص39-41 .

(6) جان بول سارتر يهودي فرنسي، فيلسوف وأديب، عاش ما بين(1905-1979م)، مـــادي ملحـــد اقترنـــت باسمه الفلسفة الوجودية الإلحادية المعاصرة، وأول من ارتضى لقب وجودي، وروّج لمذهبه من خلال الفن الإنساني، من مؤلفاته: كتاب الوجود والعدم، أنشأ سنة 1950م مجلة العصور الحديثة، التي تتضمن أبحاثـــاً وجودية في الأدب والسياسة. انظر تاريخ الفلسفة الحديثـــة، ص457، الوجوديـــة فـــي الميـــزان، ص53، الموسوعة العربية العالمية، 15/12.

سقراط[1]، ولم يكن هذا الرأي الفلسفيُّ ملازماً للإلحاد بالله، ولا قائماً عليـه، ولا دعامـة مـن دعائمه، فقد كان مذهباً لفلاسفة مؤمنين بالله، ومنهم دينيون مسيحيون[2]، ولكن يمكـن تعريفهـا بشكل عام بخصائصها العامة.

أولاً: الوجودية لغة واصطلاحاً:-

أ- الوجودية لغةً:

هي اسم مشتق من لفظ الوجود، من الفعل اللاتيني(Ex-sistere)، بمعنى يبرز أو ينبثق، فوجود الشيء بمعنى أنه ينبثق من خلفية معينة بوصفه شيئاً موجوداً هناك وجوداً حقيقيـاً، ثـم صارت كلمة يوجد بمعنى أنك ستلتقي به مصادفةً في العالم الحقيقي[3].

ب- الوجودية اصطلاحاً:

الوجودية هي تيار فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد علـى تفـرده، وأنـه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار من غير حاجة إلى موجِّه، وتقوم علـى إبـراز الوجـود وخصائصه وجعله سابقاً على الماهية[4]، وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع، وتعتبر جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحيـاة والمـوت والمعانـاة والألـم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم[5].

ويقال إنها تيار؛ لأنها لم تنجح أن تكون فلسفة أو مذهب؛ بل اتجاه يعبر عن وجهة نظـر أصحابه[6]، وظهرت في أوروبا أثناء القرنين التاسع عشر، والعـشرين الميلاديـين، وسـميت وجودية؛ لأن معظم أعضائها اهتموا مبدئياً بطبيعة الوجـود أو الكينونـة، فقـصدوا بمـصطلح الوجود، الوجود البشري.

---

(1) فيلسوف يوناني كبير عاش ما بين(469 ق.م -399 ق.م)، وُلد في أثينا، كان يؤمن بأن الأسـلوب الـسليم لاكتشاف الخصائص العامة هو الطريقة الاستقرائية المسماة بالجدلية، لم يترك أية مؤلفات، وقـد عُرِفـت معظم المعلومات عنه من المؤرخ زينفون والفيلسوف أفلاطون، وغيرهم. انظر دائـرة معـارف القـرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، ط3، 1971م، 5/180-182.

(2) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص281.

(3) انظر الوجودية، جون ماكورى، ترجمة: إمام عبد الفتـاح إمـام، عـالم المعرفـة، 1982م، ص70-71، بتصرف.

(4) المقصود بالماهية: التصور عن الشيء في الذهن، ويقصد بالوجود: تحقق ذلك التصور في الخارج.

(5) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 2/888، الإسـلام يتحـدى، ص41، المعجم الفلسفي، ص211، بتصرف.

(6) الوجودية في الميزان، د. مصطفى غلوش، ص15.

ثانياً: مفهوم الإنسان في تيار الوجودية:

يُدلِّل الوجوديون على كلمة الإنسان بألفاظ متعددة، منها: ما هنالك، والوجود، والأنا، والوجود لذاته، فالإنسان هو الوجود نفسه، ولو كانت له ماهية لكانت وجوده، أو شيئاً ناتجاً عن وجوده، وطبيعة الإنسان ترتبط ارتباطاً تاماً بالعالم، وبالناس على وجه الخصوص(1).

يُعرِّف هايدجر الإنسان بأنه الذي يكون في هذا العالم، عالَماً يحده الموت، ويجرِّبه القلق، وهو الذي يعي نفسه كمخلوق يحيا في القلق، منسحقاً تحت وطأة وحدته، داخل أفق زمنيته، ويعرفه سارتر بأنه الذي يحيا بمعارضة ذاته، فيكون موجوداً لذاته(2)، ولا يعرف الراحة أبداً، ويحاول عبثاً أن يحقق وحده الوجود لذاته(3).

تنظر الوجودية إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، وتؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يمتع نفسه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذي يملؤه، وصرفت بهذا النظر عن البحث في الوجود الميتافيزيقي الذي قال به أرسطو(4) قديماً، وركز نفسه على الإنسان الواقعي المشخص(5).

الإنسان في الوجودية قَلِقٌ، أي أن الشخص الذي يلتزم بذاته لن يستطيع الفرار من شعوره بالمسؤولية العميقة، والذي يكذب هو شخص غير مرتاح الضمير(6).

ثالثاً: موقف الوجودية من وجود الإنسان:

ما يميز الوجودية أنها تبدأ من الوجود كواقعة عينية متشخصة في فرد محدد، فالإنسان يتميز عن غيره من الموجودات، بأن كل فرد ملقى في موقف وجودي معين خاص به، لا يمكن أن يحل أحد محله، أو يشاركه فيه، ولا يجوز اعتباره عينه من فئة(7).

---

(1) انظر مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص101.

(2) يقصد بالموجود لذاته وجود الإنسان أو هو وجود خاص بالناس، انظر قراءة نقدية في وجودية سارتر، ص29، الوجودية في الميزان، ص57، الموسوعة العربية العالمية، 25/12.

(3) الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص25.

(4) أشهر فلاسفة اليونان، عاش ما بين(384م-322م)، ولد في بلدة ستاجيرا شماليّ اليونان، أطلق على أرسطو وتلاميذه اسم المشاءين؛ لأن أرسطو كان يُلقي دروسه أثناء المشي والتجوال بصحبة تلاميذه، تنقسم مؤلفاته إلى المؤلفات الشعبية، والمذكرات والمقالات. انظر دائرة معارف القرن العشرين، 164/1-168، الموسوعة الفلسفية الشاملة، د. محمد عبد الرحمن مرحبا، دار عويدات، 2000م، 151/1، موسوعة الفلاسفة، ص36.

(5) انظر المعجم الفلسفي، ص211، انظر مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، ص373.

(6) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص57.

(7) انظر الوجودية الدينية، ص43-44.

تهدف الوجودية -كما يزعم أصحابها- إلى البحث عن الوجود الأصيل للإنسان، والحيلولة دون الوجود الزائف، فالوجود الأصيل بقدر ما يشكل الفرد نفسه بفكره وقراره وحريته، وتشعر فيه الذات أنها قائمة بنفسها تتحمل مسئولية وجودها، وزائف بقدر ما تشكله مؤثرات خارجية، تميل فيه الذات إلى الانخراط والاندماج مع الناس، والارتماء في أحضان الآخرين؛ للإفلات من حريتها، والتنصل من مسؤوليتها والتخلص من شعورها بالقلق، فيفقد بذلك الإنسان ذاته؛ لذلك كان صون الوجوديين للحرية ونقدهم للمجتمع وأعرافه، ودعوتهم للخروج على الجماهير، ورفض القيم الجاهزة وسائر العموميات؛ ليحمل الإنسان مسؤولية ذاته فيكوِّنُها، ويحقق وجودَه الأصيل[1].

إن ما ذهبت له الوجودية هو ما أثاره خصومها عليها، من نزعتها الذاتية التي دعت لصيانتها، المؤدية للإسراف في التأمل، وعدم المبالاة بالقيم الإنسانية، التي هي كما تتصورها شهوة بهيمية لا مبالية[2]، فرفض القيم، والخروج على ما تعارف عليه المجتمع من الفضائل هو تحقيق للحرية، الذي هو بدوره تحقيق للوجود الأصيل -حسب رأي الوجودية- فإذا قَبِل الإنسان القيم الجاهزة ولو عن طريق الوحي فوجوده زائف؛ لأن هناك قوة خارجية ترشده وتشكل سلوكه، وهو فهم خاطئ لمعنى الحرية، فوجود الإنسان الأصيل -كما يقول الوجوديون- هو بتحمله المسؤولية وشعوره بالقلق، والحقيقة أن الإنسان المؤمن بعيد كل البعد عن القلق، وإن كان يشعر بمسؤوليته نحو مجتمعه، ونحو ربه، قال تعالى:﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:97]، فهو يتحمل تبعات اختياره على نفسه، وعلى مجتمعه؛ لأن القرار الذي يتخذه لنفسه يمس سائر بني الإنسان، إلى أن تظهر نتيجة اختياره، فيزول همه وتطمئن نفسه.

يرى الوجوديون أن كل الموجودات ماهيتها سابقةٌ على وجودها عدا الإنسان؛ لأن الإنسان مشروع وجود، يحيا ذاتياً، ولا يكون إلا بحسب ما ينويه، ويشرع في فعله، وبفعله الحر الذي يختار به ذاته، يخلق ماهيته بنفسه[3].

---

(1) انظر الوجودية الدينية، ص45، قراءة نقدية في وجودية سارتر، ص25-26، بتصرف.

(2) الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص26، بتصرف.

(3) انظر قراءة نقدية في وجودية سارتر، ص25، بتصرف، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص103.

يتفق الوجوديون على أن الوجود سابق للماهية، وهو مبدأ أساسي عند الوجــوديين، أي أننا يجب أن ننطلق من الذاتية الإنسانية[1].

وعلى رأي الوجودية فالإنسان يوجَد قبل كل شيء، ويَلقى ذاته ويبرز إلى العــالم، ثــم يعرف بعد ذلك كيف يصنع ذاته، فيترتب على ذلك أنه لا وجود للطبيعة الإنسانية؛ لأنه لا وجود لتصور إلهي لها، ويكون الخلق منفي عن الإنسان، ولا يوجد الإنسان كما يتصور ذاته بل كمــا يريدها وكما يتصورها بعد الوجود، والإنسان ليس إلا ما يفعل، وهذا هو معنى الذاتية، فالإنــسان لا يكون إلا حسب ما يستريح بفعله، فهو مسئول عن وجوده وعن ذاته[2].

إن سبق الوجود على الماهية، فكرة فاسدة فلسفياً ومنطقياً؛ لأنها تنفي خلــق الله تعــالى الإنسان لهدف وغاية، وتعني أن الإنسان وُجد أولاً، ولا خالق ولا رب له؛ بل هو يخلــق نفــسه بفعله، والله تعالى يرد عليهم، وعلى من سبقهم، ومن يجيء بعدهم، بقوله في محكم التنزيــل:﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور:35]، ويذكر جل وعــلا تفــرده بــالخلق والإيجاد بعد أن لم يكن الإنسان شيئاً، فيقــول:﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ [ســورة مريم:9]؛ ويترتب على فكرة الوجوديين هذه الضلال والانحلال، والفوضــى والعبــث، والقــول بالصدفة المصادمة للعقل والفطرة.

عندما تدَّعي الوجودية أن الشيء يوجد أولاً، ثمّ يصنع الشعور الإنساني له ماهيته؛ تُلغى بذلك قيمة الفكرة، حينما يتخيل الصانع صورة ويرسم حدودها والغاية منها، ثمّ يطبق صنعها من مواد الكون، فتأتي وفق الصورة والحدود التي سبق أن رسمها، ألــيس هكــذا يفعــل مهندســو العمران، ومهندسو السيارات وغيرهم؟ أليس هكذا يفعل كل صانع؟ إنه ذو هدف من إلغائه قيمــة الفكر المخطِّط لما يريد الإنسان عمله فيما يأتي، فهذه الحقيقة متى وضحت للإنسان، واســتقرّت في نفسه، استطاع أن يتخذ منها دليلاً هادياً، فإذا رأى صنعة متقنة هــداه فكــره إلــى صــانعها المتقن، إذ هي نتاج فكره، وعمله[3].

---

(1) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص53، مدخل إلى الفلسفة المعاصــرة، ص102، الوجوديــة فــي الميزان، ص20، ص56، معنى الوجودية، دار مكتبة الحياة، ص29، قراءة نقدية في وجوديــة ســارتر، ص12، الفلسفة الحديثة، ص457، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص23 .

(2) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص54، (بعض مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحــديث وأثرهــا على المسلمين) رسالة ماجستير، إعداد: أشرف بن عبد الحميد بن محمد بارقعان، إشراف: د. محمد عمــر محمد محسن، 1423هــ، ص381، الوجودية الدينية، ص50-51، بتصرف.

(3) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص289.

إن الهدف من تقديمهم الوجود على الماهية، هو أنه لو قـدمت ماهيـة الإنـسان علـى وجوده؛ لأصبح وجوده موجها نحو غاية معينة، ولأصبح تقدم ماهية الإنسان على وجوده بمثابة قوة موجهة لوجوده، وهذا ما يرفضه الوجوديون؛ حتى لا يكون لوجود الإنسان غاية وهدف[1].

إن وجود الإنسان لا يعنى مجرد أن يكون الإنسان، فوجوده يعنى أنـه يواجـه عمليـة اختيار، أي أن يظفر بالوجود البشرى العيني بكل ماله من معنى، أو أن يدعـه يفلـت منـه[2]، بمعنى إما حرية متحللة، وذاتية منفلتة، وإما جبرٌ، وقلق، وحيرة.

من هذه الأفكار ترى أنَّ ثمةَ استهزاءً بالله تعالى، وهدفِه من الخلق، وليس تعثُّرات فـي فكرهم، أو فلسفتهم؛ لأن وجود الإنسان في الإسلام له غاية وهدف، قـال تعـالى:﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [سورة الذاريات:56]، ولـه بعـد المـوت حيـاة أخـرى، قـال تعالى:﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة المؤمنون:115]، ويقـول ﷻ:﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾ [سورة الدخان:38]، ولكـن الوجوديـة تنكر أي غاية أو معنىً للكون بأسرِه، فالحياة لا ضرورة لها، فهي بـلا غايـة، ولا حكـم، ولا معنىً، بينما الحياة الدنيا في الإسلام طمأنينة وسعادة؛ لأن بعدها حياة أبدية، قال تعـالى:﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [سورة الرعد:28][3].

الوجود في نظر الدين وجود زمني مؤقت في الحياة الدنيا، ووجود أبدي فـي الآخـرة، والموت هو النهاية الطبيعية للوجود الزمني المؤقت ومرحلة انتقال للوجود الأبدي، وليست عدماً كما تصور هيدجر[4].

تريد الوجودية أن تصرفنا عن ملاحظة صفة الإتقان العجيب المعجز في خلق الإنـسان، وخلق السماوات والأرض، وما فيهما من ظاهرة الحياة العجيبة، وذلك بإثبات سبق الوجود علـى الماهية؛ حتى لا يتنبه الفكر إلى أن الإتقان في هذا الكون إنما هو أثر لصفات خالق قـادر علـيم حكيم يتقن ما يخلق، وحتى لا يتنبه الفكر إلى أن هذه الموجودات الكونيـة لا يمكـن أن توجـد وجوداً تلقائياً من ذاتها، دون سابق خطة حكيمة يقدّرها عليم حكيم قادر[5].

---

(1) انظر مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص104، بتصرف.

(2) الوجودية، جون ماكورى، ص86.

(3) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص 82، بتصرف.

(4) انظر المرجع نفسه، ص80.

(5) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص289.

تقول الوجودية إن الكون والحياة لا هدف لها، ولا غاية، ولا عدل فيها، ولا حق، إنما كلها ضلال وعبث، وإن الوجود الإنساني ضياع كله، ومن المستحيل أن يحقق الإنسان فيه وجوده، وهذا تعبير باطني صادر عن فقدان الحياة معناها وهدفها، حين تفقد العنصر الذي يوجِد الترابط بين أجزائها، ويعطي أحداثها تفسيرها، ومعناها، وهو الدين، ولكن الوجودية لا تقف عند تسجيل الضياع، والعبثية، وفقدان المعنى، والغاية؛ ولكنها تقدم حلاً للمشكلة، وهو أن يعيش كل إنسان وحده محقِّقاً وجوده، بأن يفعل ما يراه أنه حق وأنه واجب أو أنه حسن![1].

وإذا كان هدف الوجودية أن يحقق الإنسان وجوده، فهو أمر مقرر في الإسلام في إطاره الطبيعي، وبضوابطه الشرعية التي تحمي وجوده وكيانه، وليس للإنسان أن يطلق العنان لِلَذَّاته ومُتَعه، أو يتمردَ على أوضاع المجتمع، أو قيمه الأخلاقية؛ لأنه بذلك يكون قد خرج عن رسالته التي خُلق من أجلها، وبهذا تكون الوجودية تيار انحلال، وعدمية؛ لأنها تريد أن تلغي رسالة الإنسان والهدف من وجوده.

رابعاً: موقف الوجودية من الإنسان:

الأساس الأول للوجودية هو الإنسان بوصفه الذات المفردة، وأحواله الوجودية الكبرى كالموت، والخطيئة، والقلق، والمخاطرة، وغيرها، هي المقومات الجوهرية لوجوده، والحرية والمسؤولية والاختيار هي المعاني الكبرى في حياته، ومن خلالها يحقق الإنسان ذاته[2].

ترفض الوجودية كل ما يمس فردانية الإنسان، وتجعل محورها سؤال (ماذا أكون؟)؛ من أجل إبراز قيمة الفرد، وتحليل الوجود البشري من حيث أخص ما فيه من فرديته؛ للوصول للوجود في مواقف التفرد الإنساني، وأقصاها الموت[3].

ترى الوجودية أن للإنسان أن يتصرف كأنه هو الموجود الوحيد، والشيء الماثل أمامه بلا أي شيء كان قبله، لا خالق، ولا شريعة، تتصل بحياة الإنسان الموجود بالفعل؛ لأن الصدفة وحدها هي التي ألقت به في هذا الوجود، وتركته لا شيء معه إلا حريته وإرادته، فهي الحد التام لحقيقته، والمعيار لقيمته، وليس ثمَّةَ أيةُ قوةٍ، وسلطة تُحرِّم عليه، أو تحلل له تصرفاً، أو اعتقاداً، وعلى كل إنسان أن يتحرر ويعيد النظر في المجتمع الذي يعيش فيه، ولا يلتزم بشيء من التقاليد، والعقائد، والفلسفات؛ لأن له مطلق الحرية في اختيار ما يشاء، حتى الانتحار، ولا يؤاخَذ بشيء، أو يُسأل عما يفعل -بشرط عدم الاعتداء على الآخرين- حرصاً على حريته هو بالذات، ووجود الإنسان في هذه الحياة يرادف اليأس، والخوف، والقلق، والعبث، والضياع،

---

(1) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص491-492.

(2) انظر دراسات في الفلسفة الوجودية، ص22.

(3) انظر الوجودية الدينية، ص43.

وغير ذلك من الآلام؛ وذلك لأن العالم وجد بلا علم، ولا حكمة، ولا قانون، إلا قانون أنه لا يستطيع إلا أن يوجَد، وأن يفترس كل من فيه[1].

يفضل الإنسان الوجودي أن يعيش الحياة من جانبها السلبي، مستسلماً لضراوة القلق والمستقبل الذي هو العدم[2].

الإنسان الوجودي يعايش الخطر دائماً؛ لأنه يرتبط به؛ ولأنه يرى أن وجودنا متناهٍ، ومصيرنا إلى الموت، فلا داعي لقيام فلسفة مؤسسة على الأمل والثقة في هذا الوجود، فلا عجب أن يكون القرار هو دفع العالم كله إلى الخطر، ما دام الإنسان الذي يبشر به هيدجر إنسان وجد نفسه ملقىً في هذا العالم بلا دين، فهو قلق بسبب إيمانه بأنه سيموت في يوم من الأيام، لأن مستقبله محدود ومتناه، فوجوده غير ثابت يمكن أن يفتقده؛ وهذا هو سبب الخوف والقلق والعذاب[3].

يقال للوجوديين أيُّ كرامة للإنسان؛ التي تجعله يحيا بلا أمل ولا هدف، ويقولون: إن المصادفة هي الصفة الأساسية لكل وجود[4].

ترى الوجودية أن نَفْسَ الإنسان هي النفس الشخصية لكل إنسان بعينه، فلا رابط بين نفس، ونفس على أي صورة، فلا تعترف الوجودية بالنفس العامة كوصف يعم الناس، ويثبت لها بعض المظاهر التي تتفق فيها الإنسانية جمعاء، تِبْعاً لتوحُّد النفس، والاشتراك في وجودها[5].

ترى الوجودية أن الإنسان عبارة عن مجموعة متناقضات لا يوفق بينها، ووجود الإنسان لا يُرى منه سوى الظلام الذي يرسل له معاني الوهم والوحشة والخوف، وهذه المعاني إذا وقع الإنسان في أسرها تملَّكه الرعب، والفزع، واليأس، والقلق، وخيل إليه أنها هي الحقيقة[6].

خامساً: الإنسان في نظر الوجودي سارتر:

الإنسان في نظر الوجودية كائن ممزق، يمزقه التوتر الباطني، ويتركه مثخناً بالجراح، فالوجوديون يَبعُدون عن الهدوء وشعارهم:(الهدوء خيانة لحياة النفس)، ويتصف الوجود الإنساني

---

(1) انظر مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار الهلال، محمود جواد مغنية، ص147-148، المذاهب الوجودية، ريجيس جوليفيه، ترجمة: فؤاد كامل، دار الآداب، ط1، 1988م، ص131.

(2) الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص30.

(3) انظر المرجع نفسه، ص59-61، بتصرف.

(4) انظر المرجع نفسه، ص79.

(5) انظر الوجودية في الميزان، ص37.

(6) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص55، قراءة نقدية في وجودية سارتر، ص16.

بالاختيار الحر بكل ما فيه من تحمل للمسؤولية وحب للمخاطرة، فالإنسان عندهم صانع وجــوده ورب أفعاله والأمر كلُّه بيده[1].

لذا زعم سارتر أن الإنسان هو الذي يضع مقاييس الحق، والخير، والجمال، مخالفاً فــي ذلك الفلاسفة المؤمنين بالله، ومنهم ديكارت[2] الذي يرى أن الله هو الذي إذا أراد شــيئاً وخلقــه كان خيراً، وأنه لا يمكن أن ينتج عن قراره إلا الخير المطلق، فردّ سارتر بقولــه: إن ديكــارت بوصفه حرية إلهه المطلقة، لم يقم إلا بوصف المحتوى الضمني لفكرة الحرية، فــأعطى لله مــا للناس خاصة، وهكذا عكس سارتر الحقيقة؛ لتنسجم مع فكرته الإلحادية، التي أراد أن يضع لهــا فلسفة، فأعطى الإنسانَ ما هو لله وحده، تحت شبهة أن الإنسان له في حياته قسط مــن الحريــة وفق المنحة التي منحه الله إياها، وخالف منطق الواقع والحقيقة؛ لإضلال النــاس، فلمــا جعــل الإنسان هو الذي يضع مقاييس الحق، والخير، والجمال، لزمه أن يُسقِط المسؤولية، أو يقع فــي التناقض؛ لأن المسؤولية إما أن تكون أمام الله، أو أمام المجتمع، أو أمام ضمير ذاتي مثالي يحكم على أعمال الذات، ولكنه أنكر الخالق فلا مسؤولية تجاهه، وأنكر الضمير الــذاتي المثــالي؛ لأن وجوديته تقرر أن الواقع يكون أولاً، ثمّ تكون الفكرة عنه، لا أن الفكر يكون أولاً بالحكم على ما يمكن أن يكون، ثمّ يكون الواقع، إذ هو لا يعترف بشيء من الفرضيات الذهنية السابقة للوجــود على أنها ذات تأثير في الوجود، وأما المجتمع فلا دخل له، ما دام الإنسان بمفرده هو الذي يضع مقاييس الحق والخير والجمال، إنه يلغي بأقواله فكرتي الخير والشر مطلقاً، إذ يجعلهما من خلق الإنسان نفسه، وظاهره أن كل إنسان يملك وفق هذا التضليل أن يعتبر بحسب مزاجه ومــصلحته الخاصة أيَّ أمر قبيح خيراً، وأيَّ أمر حسن شراً، في حين قد يعكس غيره الأمــر؛ لأن مزاجــه ومصلحته الخاصة قد تلاءما مع العكس[3].

لقد نظر سارتر إلى الإنسان على أنه كائن حائر، وأنه وجود يحمل العدم في صــميمه؛ بل إن وجود الإنسان عند سارتر مرادف للقلق إلى الحد الذي يجعله يقول:"نحن قلق"، فالإنــسان

---

(1) انظر مقدمة في الفلسفة العامة، د. يحيى هويدي، دار الثقافة، ط9، 1989م، ص167.

(2) رينيه ديكارت فيلسوف فرنسي، عاش ما بين(1596م–1650م)، يُلَقَّب بــأبي الفلــسفة الحديثــة، اختــرع الهندسة التَّحليليَّة، وكان أول فيلسوف وصف الكون الماديّ من حيث المادة والحركة، كما كان رائــدًا فــي محاولة صياغة قوانين عامَّة بسيطة في الحركة تَحْكُم جميع التَّغيُّرات الطَّبيعيَّة، من مؤلفاته، رســالة فــي المَنْهَج، تأمُّلات في الفلسفة الأُولى، بحث في الإنسان، كتاب العالم، وجــود الله ووجــود الــنفس. انظــر موسوعة مشاهير العالم، 172/2، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، تقديم: الرئيس شــارل حلــو، إعداد: أ. روني إيلي ألفا، مراجعة: د.جورج نخل، دار الكتــب العلميــة، ط1، 1992م، 451/1، تــاريخ الفلسفة الحديثة، ص58–62.

(3) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص285.

عنده محكوم عليه أن يخترع الإنسان، فما الإنسان إلا ما يصنع نفسه، وما يريــد لنفــسه، ومــا يتصور نفسه بعد الوجود، وهو وحده خالق قيمه، ومعاييره، يقول في ذلك:"ويترتب على ذلك أن حريتي هي الأساس الوحيد للقيم، وليس ثمَّةَ شيء –مطلقاً– يمكنه أن يُلزِمَنــي باصــطناع هــذه القيمة أو تلك، فالحرية عنده هي إرادتنا، وأهوائنا، وحياتنا لا شيء غيــر العبــث، والــضياع، والإنسان عاطفة لا فائدة منها، فبذلك تَسلب الوجودية الإنسان كل معنى يمكن أن يُكرَم من أجله، وسيظل إنسان العصر في هوة الضياع إذا لم يتجاوز القلق إلى الإيمان، وســتزداد مــشكلاته إذا ظل يمارس حريته التي يدعو لها سارتر، فهي تؤدي به إلى التردي في الهوة السحيقة التي يريد سارتر أن يؤول إليها كل وجود إنساني، وهي هوة العدم"[1].

سادساً: موقف الوجودية من القيم والأخلاق:

يرى سارتر أننا نخلق القيم باختيارنا، فنحن لا نختار شيئاً يتحدد مقدماً بأنه خير؛ لكننــا نختار شيئاً يصبح خيراً؛ لأننا اخترناه، كما أننا لا نستطيع اختيار شيءٍ على أنه الأفضل ما لــم يكن كذلك عند الجميع[2]، وهو كما ترى يناقض نفسه، فكيف لا نعرف أنه خير مسبقاً؟ ثم يصير خيراً؛ بسبب اختيارنا له، ثم يقول إننا نختار الخير مسبقاً؛ لأنه خير عند الجميع.

الإنسان الوجودي يخاطر بوجوده ويُلقي به في خضم المغامرة؛ لذا كانت الأخلاق عنــد هيدجر أخلاق شكلية، والقلق ناتج عن أن الوجود متناهٍ في جوهره؛ لأنه يرى أن تناهي الوجــود أقرب إلينا من أنفسنا وهذا التناهي هو الموت[3].

إذا كانت الوجودية ترى أن الإنسان يعيش سجيناً غريباً مريضاً إلــى أن يمــوت، فهــي بذلك تذم المفاهيم الاجتماعية والعقائدية والقيم؛ لأنها تربط الإنسان بالقلق والألم والحزن، وهــي معانٍ تشكِّل سلوك الإنسان[4].

لقد حاولت الوجودية القضاء على القيم الروحية، بإلغاء الدين ومبادئه مكتفيــة بالإنــسان وحريته، فنادت بموت الإله على لسان سارتر ونيتشه، وإذا كان الله –ســبحانه وتعــالى– غيــر موجود، فقد أصبح كل شيء مباحاً، حتى ما ارتبط بهذا التيار مــن أعمــال لا تليــق بكرامــة الإنسان[5].

---

(1) الإنسان والكون في الإسلام، ص82.

(2) انظر الوجودية، جون ماكورى، ص85-86 .

(3) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص59.

(4) انظر المرجع نفسه، ص69.

(5) انظر مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص125.

وحينما يقول الوجوديون: إن الإنسان رب أفعاله، ومصيره مودع بين يديه، فهم يقصدون أنه لا بد لنا من أن نتحرر من الأوثان التقليدية الغاشمة، والقيم العتيقة البالية؛ لكي نعلو على أنفسنا[1].

إن الوجودية لا تؤمن بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الإنسان، وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معينة على الآخرين، فسارتر يؤكد الذاتية المطلقة بقوله:"أنت حر لتختار وتبتكر، فلا أخلاق عامة تستطيع أن توجب عليك شيء"[2].

يترتب على رأي سارتر في الوجودية، حرمان الإنسان من المعايير الدينية والأخلاقية للحكم والاختيار، ويغمره إحساس أنه ضل السبيل في عالم أصبح قَلَقاً، وانتفى فيه اليقين وصار فيه كل شيء ممكناً، فمعنى ذلك أن الخطأ وحده هو المؤكد[3].

سابعاً: موقف الوجودية من حرية الإنسان:

إن الحرية عند سارتر حرية مطلقة لا تعرف الحد، أو القيد، وهي حركة الإنسان بلا ضابط، أو قيود، أو وازع ديني، أو أخلاقي، أو اجتماعي[4].

لم تَدْعُ الوجودية إلى الإباحية، أو التحلل صراحة؛ ولكنها حاولت أن تضبط ذلك، لكنها فشلت تماماً؛ لقولها بوجود الكون بطريق المصادفة، وبسبق الوجود على الماهية[5].

والحرية المطلقة في الوجودية تعني فوضى الحيوان، الذي يتصرف حسب غريزيته وحيوانيته، فاختيار الإنسان في الوجودية يظهر بحريته في أن يفعل، إذ الفعل هو معنى الوجود، وبغيره لا يوجد الإنسان، فالإنسان عند سارتر ليس إلا انبثاقاً خاصاً من بين الكائنات، له أن يتمرد على كل شيء، وأن يخلق نفسه بنفسه، من غير أن يخلقه إله أو يسيِّره، فالوجودية مذهب إلحادي؛ ينكر الألوهية والأديان، ويحط من منزلة الإنسان ويلحقه بأخس الموجودات؛ وذلك لتحلله من الضوابط التي تضبط حريته واختياره[6].

فالحرية في الوجودية ليست مجرد ملكة يتمتع بها الإنسان، دون المساهمة في خلقها وتحقيقها، بل إنها تنحصر في أنها مصدر فعله وينبوع نشاطه، فالإنسان لا يوجد حقاً إلا إذا

---

(1) قراءة نقدية في وجودية سارتر، ص33.

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 888/2.

(3) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص56.

(4) انظر الوجودية في الميزان، ص17، بتصرف.

(5) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص79.

(6) انظر المرجع نفسه، ص60-62، بتصرف.

اختار نفسه بحرية، عاملاً على خلق ذاته، وعلى ذلك فالكائن الموجود الــذي يختــار مــصيره بإرادته ويملأ حريته دون ضغط أو إكراه، هو الكائن الذي تتمثل فيه صفة الوجود الحقيقية[(1)].

إن من أبرز سمات الوجودية محاولة التحرر من كل القيم، والأعراف، والمثل، والجري وراء الحرية بكل طريق، حتى لو خالفت المبادئ السائدة، ولو خالفت الديمقراطية أيضا؛ فاعتبار مصلحة الجماعات اعتبار مفقود لدى الوجوديين، كما أن اعتبــار موافقــة الأديــان، والــشرائع السماوية التي تقف في وجه إرادة الفرد أحياناً، اعتبارٌ مُنَحَّىً من باب أولــى، إنــه لــيس عنــد الوجوديين أي اعتبار لأي كائن إذا وقف في وجه الحرية، فلا ينبغي عندهم لنظام من الأنظمــة البشرية، ولا لدين من الأديان أن يقف عقبة في وجه دعوات التحرر، الأمر الذي نشر الإباحيــة السافرة في الغرب[(2)].

ولما كان الوجود عبثاً، وضياعاً، فالحرية مجرد خداع، وضياع أيضا، فالوجودية أنكرت كل القيم حرصاً على الحرية، فدمروها وقضوا عليها مــن حيــث لا يــدرون، رأوا الأوضــاع الفاسدة، والسياسة الجائرة، والدعاية المضلِّلة، والمجازر، فخرجوا على كل التقاليــد، وحكمــوا على كل نظام بأنه كذب، وكل قيمة بأنها خرافة، وعلى كل دعاية بأنها مصيدة، وما دام الأمــر كذلك فليكن كل فرد أمة بنفسه، وعالماً بنفسه، يتولى أمره كيف يشاء، يختار مصيره كما يريــد فهدموا، وما بنو، وفرقوا وما جمعوا؛ بل زادوا الخرق اتساعاً والنار تأججاً[(3)].

(ومن هنا كانت حرية الإنسان هي صميم وجوده الشعوري القَلِق، فهو حرٌّ؛ لأنه يخلــق نفسه بنفسه كل لحظة، ويرى سارتر أن قوله:"إن الإنسان حر"، مــرادف لقولــه:"إن الله غيــر موجود"؛ لأن وجود الإنسان لا يخضع لماهية، أو طبيعة محددة؛ بل هو إمكــان مــستمر علــى الإنسان أن يحققه، فليس هناك طبيعة بشرية فرضت من الأزل، ولــيس هنــاك تعريــف ثابــت للإنسان كيف ينبغي أن يكون؛ بل إن الإنسان يوجد أولاً، ثمّ يظل يخلق ماهيته، بما يختار لنفــسه من شعور، فليس الإنسان إلا ما يختار لنفسه أن يكون)[(4)].

الجانب المظلم للحرية من وجهة النظر الوجودية هو المسؤولية، وعندما يدرك الأفــراد أنهم مسئولون عن قراراتهم وأعمالهم ومعتقداتهم يتملكهم القلق، فيحــاولون الهــروب بتجاهــل حريتهم ومسؤوليتهم أو إنكارها، أي إنكار موقفهم الحقيقي، وبهذا ينجحون فقط في خداع أنفسهم، ويُصِرُّون على قبول المسؤولية الكاملة من أجل سلوكهم، مهما كانت هذه المسؤولية صعبة.

(1) انظر قراءة نقدية في وجودية سارتر، ص34–35.
(2) انظر مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين، ص385.
(3) انظر مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، ص149.
(4) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص283.

ثامناً: آثار الوجودية والمآخذ عليها:-

من مزايا الوجودية اهتمامها بالإنسان ومشكلاته ومناداتها بحريته ومسئوليته، وصيانتها لفرديته من أخطار قد تحيله لمجرد رأس في القطيع[1]، ولكنها انتكست؛ لتبنيها عدة مغالطات مناقضة للدين الحق والفطرة السليمة والعقل الصريح؛ لذا وجهت لها عدة انتقادات:

1- تصورهم أن اللجوء لعموميات أو مجرَّدات جاهزة، هو مساس بفردية الإنسان، وإعلائهم التحمس للاختيار المتفرد، فهم يهدفون لتحقيق ما أسموه بالوجود الأصيل، وبأي شكل وبأي ثمن، في مغامرة ليس من الصواب الأقدام عليها بسهولة.

2- نظرتهم المأساوية للحياة، وصمهم آذانهم عن جمالاتها، ودورانهم حول مقولات الموت، والقلق، والإثم، والهم، الاغتراب، وغيرها[2].

3- حصر الإنسان في ذاتيته الفردية، وعدم الاهتمام به من حيث هو إنسان، وهي نزعة تشاؤمية انهزامية، تقول بأن الإنسان مقذوف به في هذا العالم رغماً عنه، يعيش حياته في ضجر وسأم وقلق وندم ويأس، وينظر للآخرين على أنهم هم الجحيم، وينظر لحياته على أنها عبث، لذا يقول سارتر:"إن جميع الكائنات الموجودة قد جاءت إلى الوجود بلا سبب، وتواصل وجودها خلال الضعف ثم تموت بالمصادفة، وإن الإنسان عاطفة فارغة، فلا معنى في كوننا نولد، ولا معنى في كوننا نموت"[3].

4- (تنشد خزي الإنسان وتظهر منه في كل مكان ما هو قذر ومريب، وتهمل الجانب النيِّر المضيء من طبيعته، وبذلك تحصر الإنسان في وجوده الفردي وتعزله عن العالم؛ مما جعل الناس يبحثون في الوجودية تبريراً لكل ما هو قذر وقبيح، بل أدت إلى انتشار الانحلال الخلقي، والتصرفات الشاذة)[4]، وما حوادث الانتحار التي وقعت في فرنسا إلا كان دافعها في الغالب معتقداً وجودياً، وكذا حوادث الانحراف الجنسي ترتدُّ في النهاية لميول وجودية[5]؛ لذا انتشرت أفكارهم المنحرفة المتحللة بين المراهقين والمراهقات، في فرنسا، وألمانيا، والسويد، والنمسا، وإنجلترا، وأمريكا، وغيرها، حيث أدت إلى الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية، والتحلل، والفساد، واللامبالاة بالأعراف الاجتماعية والأديان[6].

---

(1) انظر مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص118، انظر الوجودية الدينية، ص55.

(2) انظر الوجودية الدينية، ص56.

(3) مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص119-120.

(4) انظر المرجع نفسه، ص124.

(5) انظر الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، ص85.

(6) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 889/2.

5- تنكر وجود الله تعالى، وتدعو إلى الإلحاد، فقد وضع سارتر الأحجار والأشجار في مرتبةٍ أعلى من مرتبة الإنسان؛ لأنها ذات ثبات واستقرار في الوجود؛ ولأن وجود العالم المحسوس أصيل والإنسان فراغ فيه[1]، فوجود الإنسان أحط وأقل من وجود الشجر والحجر عندهم.

6- الوجودية لا تسلِّمُ بوجود الروح، ولا القوى الغيبية، وتقوم على أساس القول بالعدمية، والتعطيل، فالعالم في نظرهم وجد بغير هدف ويمضي لغير غاية، والحياة كلها سخف يورث الضجر والقلق؛ ولذا يتخلص بعضهم منها بالانتحار[2].

ومن هنا تتضح ثمرة الوجودية أشد الوضوح في آثارها ونتائجها المدمرة للإنسان، وهي مزيج من التشاؤم، والقلق، والاغتراب، والخوف من الموت، والتمزق، والضياع.

يتخذ الوجوديون من إرادتهم، وعاطفتهم، مقياساً لكل حق ولا يعترفون بحكم العقل، ولا بنظام، أو شريعة أرضية، أو سماوية، لذا يقول كيركجارد:"إن النتائج التي تتوصل إليها العاطفة هي وحدها الجديرة بالثقة، وهي وحدها الكافية في البرهنة"[3].

يقول بوخينسكي أستاذ الفلسفة بجامعة فريبورج بسويسرا، بعد عرضه آراء سارتر الوجودية:"وليس في وسعنا هنا، سوى الاقتصار على ذكر النتائج الأخلاقية التي ترتبت على هذه الفلسفة، والتي تمثلت في نكران كل القيم، وكل القوانين الموضوعة، وفي ادعاء استحالة، وعدم جدوى الحياة الإنسانية؛ بل إنها أفرغت ظاهرة الموت نفسها من معناها، ودعت إلى التشكيك في جدوى قيام ما يتسم بروح الجد، فهي فلسفة انحلالية عدمية تماماً"[4].

يظهر أن الوجودية في جميع مراحلها، وتطوراتها، وفروعها، لا تتفق مع الإسلام؛ لأن الإسلام إيمان يعتمد النقل الصحيح، والعقل الصريح معاً، فلا يجوز للمسلم بحال من الأحوال أن يدعو إلى هذا التيار متوهماً أنه لا يتنافى مع الإسلام، كما أنه لا يجوز أن ينتمي إليه أو ينشر أفكاره الضالة.

---

(1) انظر الوجودية في الميزان، ص61.

(2) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 888/2.

(3) مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، ص147، المذاهب الوجودية، ص39-42.

(4) كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص293.

المطلب الثالث: وجود الإنسان وغايته في الفلسفة الواقعية:-

أولاً: نشأة الواقعية:

بذور الفلسفة الواقعية قديمةٌ جداً، فقد ظهرت عند كثير من أدباء الإغريق(1)، ثم ظهرت في البدايات الأولى لعصر التنوير الأوروبي، وتحددت بين القرنين الخامس عشر، والثامن عشر الميلاديين(2)، ثم أصبحت أساساً لتيارات أدبية وفنية في القرن التاسع عشر(3)، وبرزت كأثر للتحوُلات الاجتماعية -في الفن- التي أنتجها عصر النهضة، وكرد فعل للرومانسية(4) التي يَسَّرت الانزلاق إلى تأليه الطبيعة، في محاولة منها لتصوير أعلى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من القوة، كتحدي الإله، أو الطبيعة(5)، وقد كرَّست الواقعية مجموعة من القيم الاجتماعية، كالتأكيد على أهمية الإنسان، وتحريره من القيود اللاهوتية، وإعادة الاعتبار إلى العقل؛ تمجيداً للإنسان وثقة مطلقة به(6).

لقد جاءت الواقعية لتردَّ الناس وترد الفن إلى الواقع، بعدما كانت الرومانسية(7) مغرقة في الخيال، ولكن الواقع الذي ارتد إليه الناس وارتد إليه الفن، هو الواقع المنفصل عن الدين والقيم والأخلاق، فقررته الواقعية على أنه هو الواقع البشرى، وهو في الحقيقة واقع سيِّءٌ مُنْحلٌّ، ونموذجه الأدب الواقعي الداعي إلى الضياع، والتفلت، والانحلال(8)، وقبل الحديث عن وجود الإنسان، وغايته في تيار الواقعية، يحسن تعريف الواقعية لغة، واصطلاحاً.

---

(1) انظر الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، د. الرشيد بو شعير، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996م، ص8.

(2) انظر الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة، معهد الإنماء العربي، ط1، سنة 9880م، 1463/2.

(3) انظر الواقعية في الأدب الفرنسي، د. ليلى عنان، دار المعارف، ص4، الموسوعة الفلسفية العربية، 1463/2.

(4) انظر الموسوعة الفلسفية العربية، 1463/2، في الرومانسية والواقعية، د. سيد حامد النساج، مكتبة غريب، 1969م، ص131، مقدمة في الفلسفة العامة، ص240.

(5) انظر العلمانية، ص467.

(6) انظر الموسوعة الفلسفية العربية، 1463/2.

(7) تطلق الرومانسية على مذاهب الفلاسفة الألمان في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وأشهرهم فخته وشيلنج وهيجل، وكانت رد فعل ضد الكلاسيكية وعصر العقل، ويؤكِّد الرومانسيون على إبراز العواطف والخيال؛ ليتغلبوا على العقل، وتتميز الرومانسية بمناهضة اتجاهات القرن السابع عشر، وتعظيم شأن الهوى والحدس والحرية والتلقائية، وتحدي قواعد علم الجمال والمنطق واحتقارها. انظر الموسوعة العربية العالمية، 136/10، المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 628/1.

(8) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص489-491، بتصرف.

ثانياً: الواقعية لغة واصطلاحاً:-

أ- الواقعية لغة:

الواقعية كلمة مشتقة من اللفظ الإنجليزي (realism)، بمعنى الموجود حقيقةً في الطبيعة والإنسان، أو هي ما حدث بالفعل مطابقاً للواقع[1]، وهي مذهب يجعل الاعتبار الأول للواقِع وظاهر الطبيعة والحياة.

ب- الواقعية اصطلاحاً:

(الواقعية هي نزعة تعتمد على الحس، والحقائق الملموسة، في الحكم على الأشياء، وتقديرها)[2].

وتُعَرَّف أيضا بأنها مذهب فلسفي، يرى أن وجود الأشياء الخارجية لا يتوقف على إدراك العقل لها، فهي موجودة فعلاً سواء وُجد من يدركها أم لم يوجد[3].

يظهر أن الواقعية تُقَدِّمُ وجود الأشياء في الخارج على تصور الذهن لها، فلا يتوقف وجود هذه الأشياء على إدراك العقل لها فحسب، بل على ما يحيط بها من أشياء، وانتمائها لبعضها، ووجودها في الطبيعة، أو الكون[4]، وتنقسم إلى واقعية ساذجة، وهي الموقف التلقائي للإنسان، الذي يتصور العالم على نحو ما يُرى ويُلمس[5]، وواقعية نقدية، وهي التي لا تتقبل العالم الخارجي كما هو، بل تخضعه لعمل ذهني، وهي مرحلة انتقال إلى الواقعية الاشتراكية[6]، التي هي حلقة جديدة معاصرة من حلقات الواقعية في الأدب والفن، متأثرة بالفلسفة الماركسية[7]، وتتمثل في الأدب المدافع عن المشروع السياسي للطبقة العاملة، والفن الذي يجعل من هذه الطبقة حاملاً لمشروع التحرر الإنساني الشامل[8].

---

(1) انظر المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 552/2.

(2) موسوعة السياسة، 253/7.

(3) انظر الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، دار الشعب، 1965م، ص1940، مقدمة في الفلسفة العامة، ص258-259.

(4) انظر المرجع نفسه، ص1940، موسوعة الفلسفة، 624/2، مقدمة في الفلسفة العامة، ص259.

(5) انظر موسوعة الفلسفة، 624/2.

(6) انظر المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص210، بتصرف.

(7) انظر في الرومانسية والواقعية، ص84.

(8) انظر الموسوعة الفلسفية العربية، 1474/2.

إذن الواقعية بشكل عام هي محاولة تهدف إلى تصوير الحياة الطبيعية بأوسع معانيها، وترفض أن ترفع الواقع إلى مستوى المثال، وتكشف عن الشرور، والآثام، التي تكمن في النفس البشرية[1].

ثالثاً: موقف مذهب الواقعية من وجود الطبيعة والأشياء:

تعترف الواقعية بوجود مستقل للطبيعة، والأشياء، وتقلل بقدر الإمكان من أثر الذات والاتجاهات الشخصية في وجود الأشياء، وتذهب إلى أن الذات وإن كان لها أثر في معرفتنا للأشياء، فإنا لا نستطيع أن ندَّعي أنها تخلق وجود الأشياء، فالواقعية تنكر على الذات قدرتها على خلق الأشياء أو إيجادها، الأمر الذي ادعته المثالية وبالغت فيه، ولعل مبالغة المثالية في ادعائها هذا القول وإصرارها عليه؛ هو الذي أدى إلى قيام الواقعية، فهي ترفض أن تضحي بوجود الطبيعة والأشياء في سبيل الذات، أو تريد أن تحد من تأثير الذات واتجاهاتها الشخصية في الحكم على الأشياء[2].

فالواقعية ترى أن في الواقع والخارج أشياء لا يرتبط وجودها بأي علم وتصور سوى علم خالقها وإرادته[3]، وتحاول إدراك الوجود على حقيقته، ولا تسمح للخيال أن يزيفه[4]، وترى أن الإنسان يدرك الوجود بتجاربه العملية الواقعية[5].

تذهب الواقعية إلى أن الطبيعة والأشياء قادرة على القيام بتشكيلات متقنة، دون أن تطلب من الذات مدداً، والطبيعة علة بذاتها ولا تخضع لعلة أخرى[6].

إذن الطبيعة أو الكون من حولنا قادر على تشكيل، وتكوين الأشياء دون خالق، بل بذات الطبيعة وحدها، وبفعلها المستقل عن فعل الله تعالى، وهو أمر مخالف للعقل، والفطرة، والدين، ومخالف أيضا لما كان عليه أهل الجاهلية من اعترافهم بوجود خالق للكون والأشياء، مع عدم إقرارهم بالوحدانية، قال الله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [سورة العنكبوت:61]، ويقول أيضا:﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم**

---

(1) انظر دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د. محمد زكي العشماوي، دار الشروق، ط1، 1994م، ص177-179، الموسوعة العربية الميسرة، ص1940.

(2) انظر مقدمة في الفلسفة العامة، ص240.

(3) مذاهب فلسفية ومصطلحات، ص112.

(4) في الرومانسية والواقعية، ص76.

(5) انظر المرجع نفسه، ص87.

(6) المرجع نفسه، ص241، ص258.

مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة لقمان:25].

لقد تعاملت الواقعية مع الواقع بموضوعية، وحرَّرَته من وصاية الحكم الإلهي، كما عند النصارى، فأعطت لوحة كاملة للمجتمع البرجوازي الجديد، في تناقضاته المختلفة، كدعوته للعلم والاكتشاف، وممارسته للظلم والاضطهاد، ودعوته للفردية وإلغائه لها بقوانين الحق البرجوازي، تمجيداً للإنسان، وامتهانه في لحظة تمجيده، وأكدت فكرة التقدم الإنساني، جاعلة من الإنسان صانعاً للتاريخ، ومنحته كل حرية البحث والاكتشاف، وقد برز الطموح العقلاني الذي يريد أن يشرح علاقات الطبيعة والمجتمع وموقع الإنسان فيهما، وعلاقته بالوسط الاجتماعي، وأن يثبت استطاعته على السيطرة[1].

رابعاً: طرق المعرفة عند الواقعية:

ترى الواقعية أن الفكر الإنساني لا يُدْرِك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، مع امتناع الحصول على معارف مطلقة، واليقين يتحقق في العلوم التجريبية، ويجب البعد عن البحث في العلل والغايات[2].

ويقول الواقعيون: إن الإنسان باستطاعته أن يدرك الواقع المستقل عن الذوات والخارج عنها، وليس التصورات النفسية وحسب، ولا شك عندهم في أن معرفتنا كلها إنما تأتي من التجربة الحسية لا غير[3].

وهذه نظرة بعيدة عن نظرة الإسلام للمعرفة، يُشْتَمُّ منها رائحة العلمانية؛ وذلك لادعائها امتناع الحصول على معارف مطلقة، فالقيم والأخلاق الثابتة في نظر الإسلام ليست مطلقة عند الواقعية بل متغيرة، وكذا إن كان مصدرها الدين فهي متغيرة حسب المجتمع ومعتقداته –على ما تذهب إليه الواقعية– فالمعرفة في الإسلام لها طريقين، هما طريق التجربة وطريق الوحي، فقد اقتصرت الواقعية في فهمها للواقع وحصولها على المعرفة بطريق التجربة، وتركت طريق الوحي والسماء، ومعلوم أن الوحي أمر ممكن لا ينكره العقل، بل يؤيده ولا يتعارض معه؛ الأمر الذي أدى إلى نبذها للدين والقيم النابعة منه، فاليقين عند الواقعية يتحقق بالتجربة فحسب، بينما اليقين والمعارف المطلقة تتحقق عن طريق الوحي أيضا، وهو يقين نابع من الإيمان بالرسل ومعجزاتهم.

---

(1) انظر الموسوعة الفلسفية العربية، 1464/2، بتصرف.

(2) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة، ص317–318.

(3) انظر الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص72.

إن نبذ بعض الفلاسفة للدين، والقول عنه أنه خرافة، أو نتاج تفكير الفقراء، أو هو أفيون الشعوب؛ هو بسبب قيام الشرائع الغربية على التحريف وعلى كثير من الخرافات والأباطيل، كاليهودية والنصرانية، وهذا أمر بعيد كل البعد عن الإسلام، دين الحق والصدق الخالي من التحريف، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يصح في ميزان العقل إسقاط هذه الآراء إلا على بيئاتها ومجتمعاتها التي نشأت فيها دون غيرها.

خامساً: وجود الإنسان في نظر الواقعية:

ترى الواقعية أن الواقع الحقيقي للنفس الإنسانية ولحياة المجتمع واقع شرير، فالإنسان في جوهره حيوان مفترس شرير، وما الخير إلا عَرَضٌ زائلٌ لا يكاد يمسه صراع الحياة حتى يزول؛ ليكشف عن واقع الإنسان الشرير[1].

يرى زولا[2] أن الإنسان في جوهره حيوان تسيِّره غرائزه وحاجاته العضوية[3]، وكل شيء فيه يمكن تحليله، فحياته الشعورية والفكرية والجسمية ترجع إلى إفرازات غددية، فالإنسان يتخذ غرائزه الحيوانية أساساً لأفكاره، التي تقوم على الاهتمام بنقد المجتمع وبحث مشكلاته، مع التركيز على جوانب الشر والجريمة فيه، والميل إلى النزعات التشاؤمية، وجعل مهمة النقد مُرَكَّزة في الكشف عن حقيقة الطبيعة كطبيعة بلا روح أو قيم[4]؛ لذا كان بطل الرواية في الواقعية هو غالباً الشهواني أو المادي[5]، الذي تسيره أهواؤه وغرائزه وشهواته.

وقد عمل دعاة الواقعية على ربط الإنسان الغربي بغرائزه وحيوانيته، وتوجيه نظره إلى التراب لا إلى السماء، وزادوا في ماديته، وعملوا على إفساده وإيقاظ شهوته[6].

وإذا كان الإنسان بيولوجياً غريزياً -كما تذهب الواقعية- فكل شيء مباح ولا مكان لإرادته ولا لعقله[7]، الأمر الذي يتناقض مع الإسلام تمام التناقض، فقد حفظ على الإنسان عقله

---

(1) انظر في الرومانسية والواقعية، ص83.

(2) إميل زولا أديب فرنسي، من أصل إيطالي، عاش ما بين (1840م- 1902م)، يمثل المدرسة الواقعية في الأدب، بدأ حياته الأدبية بالاشتغال بالصحافة، ثم انصرف إلى التأليف القصصي، من أشهر رواياته: تريزا راكان لورد، وروما وباريس، انظر دائرة المعارف الحديثة، أحمد عطية الله، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1979م، 964/2.

(3) الأدب ومذاهبه، محمد مندور، دار النهضة، 1979م، ص106.

(4) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 877/2.

(5) انظر العلمانية، ص481.

(6) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 876/2.

(7) الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، ص76.

وحريته في الاختيار، ولم يجعله عبداً لأهوائه وشهواته وغرائزه، وقد نعى القرآن الكريم من اتصف بذلك وتوعده بالعذاب، فقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [سورة محمد:12]، وقال جل ذكره:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:179]، وقال أيضا:﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [سورة الفرقان:44].

يظهر أن وجود الإنسان في الواقعية وجود متشائم شرير يائس من الحياة، وأنه حيوان يتبع غرائزه وشهواته وأهوائه، وواقعه شرير مأساوي مغترب تعس، والإسلام يرفض هذه النظرة تماماً، فالإنسان متفائل، حسن الظن بالله، وبإخوانه من المسلمين أصحاب الفطرة السليمة، يعيش حياته بخير ونعيم، وقد لبى الإسلام كل حاجاته ورغباته بطرق مشروعة، يعي تماماً أن لحياته معنىً وهدفاً، هو تحقيق العبودية لله تعالى، فما يصيبه من مآسٍ فهي ابتلاءات أو تكفير للذنوب.

سادساً: منزلة الإنسان في الواقعية:

إن التحولات السلبية المدمرة كالحربين الأولى والثانية ونتائجها المفجعة، وانسحاق قيمة الإنسان في الثورة التكنولوجية، ولجوء الرأسمالية للدمار لحل تناقضاتها، سبب لظهور نزعة تشاؤمية؛ تنعي اغتراب الإنسان وانهيار القيم التنويرية، وقد تزامنت معها أيضا نزعة تنادي باحترام الإنسان، والدفاع عن حقوقه، وفي هذه الظروف نشأت الواقعية الجديدة[1] كموقف يركز على الإنسان كفرد أكثر من التركيز على طبقته، ويدافع عن الإنسان دون النظر إلى موقعه الاجتماعي أو انتمائه الإيديولوجي، وكأن الحرب والفناء الذي يهدد الإنسان بلا تمييز، جعل هذه الواقعية تنادي باحترام الإنسان، وتركز على الإنسان الفرد أكثر مما تركز على طبقته[2].

لقد اهتمت الواقعية الجديدة بالإنسان في حاضره وركزت عليه، تاركةً جميع الأزمنة؛ لأنه الحيز الذي يتحرك فيه الإنسان[3]، فاستطاعت أن تكشف حقيقة الإنسان، كحقيقة مأساوية شاملة للوجود الإنساني والحياة، تمس الإنسان مهما كان شأنه ودرجته الاجتماعية، فهو لا يستطيع الهرب من المآسي التي تصيبه، وهذا البعد المأساوي الشامل لحياة الإنسان؛ أوصل

---

(1) بدت الواقعية الجديدة كموقف فني يفتقر إلى الوضوح والتحديد، وولدت كأثر لموقف الأدب والفن من انحطاط الرأسمالية، واغتراب الإنسان فيها، خلال الحرب العالمية الأولى والثانية. الموسوعة الفلسفية العربية، 1486/2.

(2) انظر الموسوعة الفلسفية العربية، 1486/2.

(3) انظر المرجع نفسه، 1486/2.

الواقعية إلى التعامل مع قضايا الإنسان العادي، واعتباره محوراً أساسياً في تقريب الواقـع عـن طريق الفن، فربطت بين الإنسان البسيط ومفهوم المأساة بعد أن كـان مفهـوم المأسـاة يـرتبط بالطبقات الحاكمة والمسيطرة، وكانت الواقعية الجديدة تصور وضع إنسان بسيط فـي الحـرب يشتري حياته بشروط مستحيلة أو يضحي بها للدفاع عن إنسان آخر لا يعرفه[1].

وانطلاقاً من إعادة الاعتبار إلى الإنسان البسيط، وصلت الواقعية الجديدة إلـى مفهـوم الإنسان اليومي، فقدمت صورة الإنسان المقاتل ضد الاستغلال، كما قـدمت صـورة الإنـسان المغتَرِب الذي ينظر بتعاسة إلى عالم معقد لا يستطيع الإحاطة بأسراره، ولا يـستطيع التـصالح معه، فلا يعيش وجوده إلا كوجودٍ مغتربٍ[2].

إذا كانت الواقعية بشكل عام لا ترى عظمة الإنسان إلا فـي المواضـيع العظيمـة، ولا تتعرف على الجوهر العظيم للإنسان إلا في الناس العظماء، فقد أظهرت الواقعيـة الجديـدة أن مأساة الإنسان وعظمته قائمتان في المواضيع البسيطة، كما هما قائمتان في المواضيع الكبيـرة، وبينت أن البطولة الإنسانية تستظهر في جوانب مجهولة من مثل مـا تـستظهر فـي المعـارك الشهيرة[3].

ترى الواقعية النقدية –ذات النزعة التشاؤمية، الناتجة عما يراه الواقعيون النقديون مـن فساد اجتماعي وأخلاقي في عصرهم– أن الإنسان فاسد بالطبيعة، شرير بالفطرة، وأن في قرارة كل إنسان وحشاً مسعوراً ضارياً، يلتذ بسماع صرخات ضحيته؛ ينـتج عـن ذلـك أن أعمـال المصلحين لا أثر لها في إصلاح الإنسان، ما دام أنه لن يتغير لفساد طبيعته جِبِلَّةً، سـواءٌ كـان كبيراً أم صغيراً حاكماً أم محكوماً[4].

تذهب الواقعية الطبيعية[5] إلى أن الإنسان في الحياة شقي شرير، وسبب الشر والـشقاء يعود إلى الغرائز الطبيعية الدنيئة والعيوب والعاهات التي ورثها الناس عن أسلافهم واكتـسبوها

(1)الموسوعة الفلسفية العربية، 1489/2.

(2)الموسوعة الفلسفية العربية ، 1489/2.

(3) المرجع نفسه، 1489/2.

(4) انظر الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، ص39–41.

(5) تسمّى أيضاً بالمذهب الطبيعي، وهي فرعٌ للواقعية الأمّ، تكوَّنت في نهاية القرن التاسع عشر، على يد إيميل زولا، ولم يجر تحديد هويّته إلا في القرن العشرين، وتمتاز بأنها نزعة فوتغرافيـة وثائقيـة فـي وصـف الأشياء والحياة. انظر المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، اتحاد الكتاب العـرب، 1999م، ص136، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، ص76.

من بيئاتهم[1]، ويرى الواقعيون الطبيعيون أن الإنسان عبدٌ لغرائزه وشهواته، وبالتالي فهو لـيس حراً في تصرفاته وسلوكه في الحياة الاجتماعية، فهو متأثرٌ وليس مؤثِّراً، وخاضع لجبرية قدرية لا فكاك له منها، فالمسئول عن جرائمه التي يرتكبها، هو غرائزه وتركيبه الفسيولوجي فقط[2].

لكن الإسلام يرفض النظر للواقع نظرةَ تشاؤم، وليس ثمة ما يمنع الإنسان من التأثير أو التغيير في حياته وفي مجتمعه، وقد كرَّم الإسلام الإنسان، ولم يضعه في مـصاف الحيوانـات، واهتم بجانبه الروحي باعتباره جسداً وروحاً، ولكلٍ مطالبه التي لا يجوز إغفالهـا، ودعـا إلـى الاهتمام بالدنيا؛ لتكون وسيلة للآخرة[3]، ومعلوم أن ربط سلوك الإنسان ومـسئوليته بالتركيـب العضوي أو الغرائز، هو سبب في هبوطه إلى مرتبة الحيوانية، وإهدار للتكريم الذي كرَّمـه الله تعالى وشرَّفه به، واستهانة بإنسانيته، وبالتالي سبب في انحرافه وعدم مبالاته بالـسلوك الـسيئ، وإشاعة للفوضى والإباحية والانحلال.

سابعاً: موقف الفلسفة الواقعية من الأخلاق والقيم:

تسعى الواقعية لتصوير الواقع وكشف أسراره وخفاياه وتفسيره، وترى أن الواقع شر في جوهره، وأن ما يبدو خيراً ليس في حقيقته إلا قشرة ظاهرية، فالشجاعة والاستهانة بالموت لـو نقبنا عن حقيقتهما لوجدناهما يأساً من الحياة، والكرم في حقيقته أَثَرةٌ تأخذ مظهر المباهـاة، كـذا كافة القيم المثالية التي نسميها قيماً خيِّرة، فهي ليست واقع الحياة الحقيقية، بل الواقع هو الأَثَـرَة، وما ينبعث عنها من شرور وقسوة، فالقيم تُخفي الوحشية الكامنة فـي الإنـسان[4]، وقـد عبـر الفيلسوف هوبز[5]عن هذا الاتجاه بقوله:"إن الإنسان ذئب لا هم له إلا الفتك بالإنسان"[6].

---

(1) الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، ص69- 70.

(2) المرجع نفسه، ص75.

(3) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 875/2، بتصرف.

(4) انظر الأدب ومذاهبه، ص93، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، ص39.

(5) فيلسوف انجليزي ومفكر سياسي، ولد في وستيورت عام 1588م، وكان مادي يرى كل ما هـو موجـود مادي فقط، ويعرِّف الإنسان بأنه حاصل جمع الجسم والتنفس(الحي) والناطق(العاقل)، ويقول كل مـا هـو موجود في العالم الخارجي هو مادة وكل ما يتغير هو حركة، توفي في هاردوك في مقاطعة دربـي، عـام 1679م. انظر موسـوعة الفلسـفة، 554/2-560، موسوعة الفلاسفة، ص94، موسوعة مشاهير العالم، د. نبيل موسى، دار الصداقة العربية، ط1، 2002م، 432/2.

(6) موسـوعة الفلسـفة، 560/2، الأدب ومذاهبه، ص93.

تجد البعض يعتبر أن قمة الواقعية هي في التعامل بين البشر دون قيم أخلاقية أو دينيـــة؛ لأنها في اعتقاده غير ضرورية لبناء الإنسان، بل إنها تساهم في تأخره، وإن القيم الإنسانية مـــا هي إلا أمور مثالية لا حاجة للمجتمع بها.

يذهب دعاة الواقعية إلى التعامل مع الواقع البشري دون اعتبار لمُثُلٍ أو قيم أصيلة ثابتـــة نقيس بها أفعالنا، فالواقع هو المقياس لسلوك الإنسان، والحقيقة أنه لا يصح اعتبار الواقعِ معياراً لسلوك الإنسان؛ لأن الواقع معيار متغير غير ثابت، فربما يكون واقعاً منحلاً منفلتاً، تنتشر فيـــه الفاحشة أو الرذيلة، فنصبح نتابع الفساد أو الرذيلة بحجة الواقعية ومتابعة الواقع، فقد نبذ القـــرن التاسع عشر القيم التي سماها مثالية –بمعنى غير واقعية– واعتبرها ترفاً عقلياً لا تطيقه طبيعـــة الحياة، فكانت نتيجة ذلك هي القرن العشرين، قرن التفلت من القيود كلها، والهبوط إلـــى الحمـــأة التي يستعفف عنها الحيوان[1].

لقد أصبحت الدعوة صريحة إلى الفجور والفاحشة في الأدب الواقعي، بعد عبـــادة اللـــذة والجمال في الرومانسية، وتظل صورتها تكبر وتسفل وتهبط حتى تصل إلى الأدب المكشوف[2].

إن الواقعية مذهب أدبي فكري مادي ملحد؛ يقتصر في تصويره للحياة والتعبيـــر عنهـــا على عالم المادة، ويرفض عالم الغيب والإيمان بالله[3]، وينبذ القيم، ويرى أن واقع الحياة شرير، ولا يتدخل في سلوك الإنسان سوى شهواته وأهوائه، ولا يوجه سلوكه وحي أو شريعة ســـماوية، وأن الميزان الحقيقي للحكم على سلوك الإنسان هو الواقع، وإن كان واقعاً مـــنحلاً أو هابطـــاً أو مخالفاً للدين أو القيم.

المطلب الرابع: وجود الإنسان وغايته في مذهب العبثية:-

أولاً: نشأة مذهب العبثية:

إن مفهوم العبثية ودلالتها قديمٌ يرجع إلى أعماق التاريخ لدى الفلاسفة والأدباء، وقد عبر العديد من الأدباء عن تجربة العبث، أو تجربة اللامعنى الكامل للحياة، فشكسبير مثلا يقول فـــي مسرحية مكبث[4]:"الحياة قصة يرويها معتوه، مليئة بالضجيج والغضب وتخلو من كل معنى"[5].

---

(1) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص484.

(2) انظر العلمانية، ص476.

(3) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 874/2.

(4) أشهر مسرحيات شكسبير، وتمثل مأساة رجل غير أخلاقي في عالم أخلاقي، انظـــر الموســـوعة العربيـــة العالمية، 224/14.

(5) الموسوعة الفلسفية العربية، 579/1.

لقد ظهرت العبثية مع الوجوديين قبل الحرب العالمية الثانية، وتطورت بعدها كثورة على المعتقدات الأساسية والقيم الموروثة من الحضارة والأدب التقليدي، وكان قوامها أسس الفلسفة الوجودية، حتى أن كيركجارد المؤسس الفعلي للفلسفة الوجودية، يؤكد على أنَّ المسيحية عبث؛ لأنه ليس من إنسان يستطيع أنْ يدَّعي تبرير مبادئها عقلياً، ويبدو الإنسان في عصر العبث تائهاً وضائعاً، وتبدو كل تحركاته في الحياة عابثة وبلا جدوى، وحياته خالية من أي معنىً، ولا يمكن تفسيرها أو إخضاعها للمبادئ والقوانين العقلية، فالإنسان يحاول تخطي ذاته وتخطي الآخرين باستمرار، وذلك بتمرده ورفضه لكل مألوف، والثورة ضد كل ما يعارض حريته، وقد ظهر ذلك من خلال أدب اللامعقول، الذي جاء ظهوره رداً على أحداث الحرب العالمية الثانية وويلاتها[1].

ينشأ العبث عادةً من انتشار الظلم، فإذا عاش الإنسان في مجتمع مستبد وظالم، فإنه يتمرد أو يثور، رفضاً لكل ما يكبحه بتمرد قوي يؤدي إلى الفوضى والعبث، فيصبح العبث والمُجُونُ تعويضاً عن غياب الحياة الحقيقية، بل يصبح هو نفسه الحياة[2].

ثانياً: العبثية لغة واصطلاحاً:-

أ- العبثية لغة:

العبث مشتق من الفعل عبِث يَعْبَث عَبَثاً فهو عابث، أي لاعب بما لا يعنيه وليس من باله، فهو بمعنى اللَّعِبَ وعمل ما لا فائدة فيه[3]، فالعبث ارتكاب أمر غير معلوم الفائدة أو الاشتغال عما ينفع بما لا ينفع، ويقال لما ليس فيه غرض صحيح عبث، والعبث أيضا هو الباطل الذي لا أساس له، ولا نتيجة له ولا نفع فيه[4].

ب- العبثية اصطلاحاً:

العبثية رؤية لبعض المفكرين الغربيين مفادها أنه لا يوجد مبرر للوجود الإنساني في هذه الحياة، ومن ثم فعلى كل إنسان أن يجد سبباً للحياة خاص به، وفق ما يمليه عليه التزامه الشخصي[5].

---

(1) انظر الموسوعة الفلسفية العربية، 579/1، بتصرف، مجلة الرسالة، 1995م، مسرح العبث ومسرحية في انتظار جودو، صلاح محاجنة، 92/4، بتصرف.

(2) الثابت والمتحول، أدونيس، دار العودة، ط2، 1979م، 114/2.

(3) انظر تهذيب اللغة، 323/2.

(4) انظر التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر، ط1، 1990م، ص500، المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 52/2.

(5) انظر مجلة الآداب، العبثية أو تجريد الحياة، د.أحمد فلاق عروات، 1995م، عدد2، ص149، نقلاً عن كتاب الأدب الأوروبي، حسام الخطيب.

أو هي مدرسة أدبية فكرية، تدَّعي أن الإنسان ضائع لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، ولم يعد لأفكاره مضمون ومعنى؛ لأنه فَقَدَ القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي، ومجهوداته لإدراك معنى الكون تنتهي بالفشل الحتمي؛ لذلك فهي عبثية وغير ممكنة[1].

يظهر أن دلالة العبث الفلسفية لا تكاد تبتعد كثيراً عن الدلالة اللغوية، إذ يصدر العبث من الإنسان حين يحس بعجز فعله الإنساني، وتتأتى فلسفة العبث من خلال صراع الإنسان مع أنماط القسر التي تحيط به وتكتنفه، إذ يعيش الإنسان قَدْراً من التمزق إزاء واقعه[2].

يتجلى مفهوم العبث بخلو الحياة من أي معنى، وعدم خضوع الوجود لقوانين عقلية ثابتة، فليس هناك انسجام بين طموحات الإنسان وواقع الحياة[3]، وهذا التصور يتجلى عند الوجوديين مثل كيركجارد وسارتر، ويتبلور عند البيركامو[4] الذي وصل مفهوم العبث لديه إلى درجة من النضج، بحيث أخذ يدل على البطلان المنطقي لأي فكرة كانت[5].

ثالثاً: العلاقة بين العبثية والوجودية:

يلتقي كُتَّابُ اللامعقول[6] كأوجين يونسكو[7] الذين ركزوا في نتاجاتهم الأدبية على عرض صور الاغتراب واللاجدوى وعبثية الحياة، في ظل بؤس الإنسان وامتهانه وتحطم القيم

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 894/2، بتصرف.

(2) الموسوعة الفلسفية العربية، 579/1.

(3) المرجع نفسه، ص579.

(4) صحفي وكاتب مقالات ومؤلف مسرحي فرنسي، ولد في الجزائر، عاش ما بين(1913م–1960م)، كان على اتصال بالحركة الوجودية، كان يكتب عن حرية الفرد وتحمله للمسؤولية واغترابه عن المجتمع، وصعوبة مواجهة الحياة دون الإيمان بالله أو بمعايير خلقية خالصة ومطلقة، وتبدو هذه الموضوعات في روايات: الغريب، الطاعون، السقوط، وغيرها. انظر الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة، 1980م، 1434/2.

(5) المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، يوسف الصديق، ص28.

(6) حركة أدبية يهدف كُتَّابها المسرحيون إلى محاولة إظهار ما يعتقدون أنه طبيعة الحياة، التي هي بالضرورة لا معنى لها، ويعد صمويل بيكيت الأيرلندي وأوجين يونسكو الروماني زعيمي هذه الحركة. انظر الموسوعة العربية العالمية، 196/20.

(7) كاتب مسرحي فرنسي معروف، وُلد في رومانيا عاش ما بين(1912م– 1994م)، تتسم مسرحياته بالخواء، ولا حياة فيها، ويبدو كثير من شخصياته وكأنه فقد القدرة على التفكير، ولما كانت هذه الشخصيات تتحدث بعبارات لا معنى لها أحياناً وعبثية، فقد افتقدت أسباب التواصل فيما بينها، وفي مسرحيتيه المغنية الصلعاء والكراسي، ومسرحية الدرس. انظر الموسوعة العربية العالمية، 419/27.

والمبادئ الإنسانية، مع كُتَّابِ الوجودية حول أغلب المفاهيم، كالاغتراب وعدمية القـيم وانعـدام المعنى من الحياة وفقدان الطهارة[1].

البحث عن الذات الضائعة وسط عبثية الحياة، وانعدام الطهارة والقيم، وحلـول النفـاق والزيف والضياع محلها، وظهور مفاهيم القلق والاغتراب، هو محور اهتمـام الأدب الوجـودي وأدب اللامعقول، الذي هو من إفرازات الحربين العالميتين الأولى والثانية[2].

ترتبط العبثية ارتباطاً وثيقاً بتيار الوجودية؛ لأن آراء الوجوديين تؤدي إلى العبثية إضافة إلى أن بعض رواد الوجودية لهم آثار مأثورة تتعلق بمذهب العبثية، منهم سـارتر إذ يقـول:"لا يوجد سبب للحياة، فسبب مذهب العبثية هو الآراء الوجودية الإلحادية"[3].

رابعاً: موقف العبثية من وجود الإنسان:

يكشف مالرو[4] معاناة الإنسان وقلقه في خضم الجبرية الكونية بقوله:"إن القدر هو كـل ما يدفع الإنسان إلى إدراك مأساة وجوده، وإلى الإحساس بأن مصيره هو الفناء والعـدم، إلا أن الإنسان حينما يدرك هذه الحقيقة يجد نفسه مدفوعاً إلى رفض هذا المصير"[5].

يظهر مما ذهب إليه مالرو أنه ما دام القدرُ هو المتحكم في سـلوك الإنـسان، وأنـه لا اختيار له ولا حرية -حسب ما تذهب له الواقعية- فيستشعر الإنسان بأن مصيره محتوم بالفنـاء والعدم وعدم الانتقال للحياة الآخرة، فحياة الإنسان مليئة بالقلق والمعاناة، ووجوده في هذا الكون أسىً وحزن ومأساة، فعند إدراك الإنسان لمعنى هذا الوجود وذاك المصير المؤلم، فإنه يندفع في هذه الحياة إلى الإباحية والحرية المنفلتة والعبث، وعدم إعطاء الحياة أي معنـى؛ رفـضاً لهـذا المصير وتمرداً على هذا الهدف من وجوده.

---

(1) مجلة الكاتب الفلسطيني، أزمة الإنسان المعاصر ومسرح العبث، صالح سميا، 1990م، عدد20، ص192، بتصرف.

(2) مجلة الكاتب الفلسطيني، عدد20، ص192، بتصرف.

(3) انظر مجلة الآداب، العبثية أو تجريد الحياة، د.أحمد فلاق عروات، 1995م، عدد2، ص149، نقـلا عـن كتاب الأدب الأوروبي، حسام الخطيب.

(4) أندريه مالرو، كاتب فرنسي عاش ما بين(1901م-1976م)، جمع بين الثقافة والنشاط السياسي، وُلِـدَ فـي باريس، تعكس رواياته معارك انخراطه في النضال من أجل الحرية، ومن أفضل الروايات التـي كتبهـا: الطريق الملكي، مصير الإنسان، أيام الغضب، أمل الإنسان. انظر الموسوعة العربية العالمية، 114/22.

(5) مجلة الآداب، العبثية أو تجريد الحياة، د. أحمد فلاق عروات، عدد2، ص150.

إن سبب الإحساس بعبثية الحياة؛ يكمن في التكرار اليومي للحوادث اليومية الكثيرة، وفي معرفة الإنسان بمرور الوقت وانقضائه، وتحقق الموت في نهاية الحياة، والإحساس بالعزلة عن العالم والشعور بالغربة.

إن العبثية ليست فكرة ذهنية مستقلة عن الوجود الإنساني وأفعاله، ولكنها جزء من ممارسته في الحياة؛ لأنها تهدف إلى تجاوز الذات إلى حد إنكارها بالانتحار، كما يؤكد ذلك البيركامو في قوله:"فإذا كنا لا نؤمن بشيء، وإذا لم يكن هناك معنى لأي شيء، وإذا كنا لا نستطيع تأكيد أية قيمة؛ أصبح كل شيء ممكناً ولا أهمية لأي شيء"[1].

يذهب العبثيون إلى أنه من العبث التفتيش عن معنى للسلوك الإنساني؛ فقد سيطرت الآلة التي اخترعها عليه، وأصبح ترساً فيها، مما أدى إلى إحساسه بالعبث والضياع المضحك المؤلم؛ نتيجة الفراغ الروحي، والابتعاد عن الإيمان الذي لا يكون للحياة معنىً وغايةٌ بدونه[2].

يذهب العبثيون إلى أن العدم داخل في نسيج الوجود الإنساني، والإنسان مهدد بالسقوط في العدم في كل لحظة؛ لذا يقول ميرلوبونتي[3]:"إننا مثل برتقالات خضراء، الزمن ينضجها للقطاف، كذا ينضجنا الزمن للموت"[4].

إن الإنسان في مسرح اللامعقول يعبر عن أزمته تعبيراً مباشراً، بترسيخه لحالات العبث واللاجدوى، فتَستخدِمُ العبثية الأسلوب الساخر في مسرح العبث -غير الواقعي- المتبني لمذهب العدمية[5]؛ لنقد زيف العلاقات الاجتماعية والوضع الاجتماعي؛ وذلك يرجع إلى سخافة الحياة وعبثيتها التي تحول الوجود إلى شيء مضحك، ويبتعد مسرح العبث عن القيم، ويكتفي بالتعبير عن القلق والضياع والشعور بالمرارة والخوف من الوجود والخيبة؛ مرسخاً عبثية الوجود الإنساني، على أنه حالة ثابتة وغير قابلة للتغير، للوصول لمعرفة بوضع الإنسان في الوجود

---

(1) الانسان المتمرد، البيركامو، ترجمة: نهاد رضا، دار عويدات، ط3، 1983م، ص10.

(2) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 894/2.

(3) موريس ميرلي بونتي فيلسوف فرنسي، وهو فيلسوف المعنى، ولد في روشغو وتوفي في باريس عاش ما بين (1961م- 1908م)، من مؤلفاته: بنية السلوك، المعنى واللا معنى، الإنسية والرعب، يرى أن السلوك ليس شيئا ولا فكرة، تُمثِّل فلسفته محطة جوهرية في تطور الفينوفنيولوجيا، أول المفكرين الذين ألقوا الضوء على الجدلية المتحركة الموجودة بين المعنى المنطوق به وبين ما يظهر في الأشياء خلال سلوكنا. انظر أعلام الفلسفة، روني إيلي ألفا، مراجعة: جورج نخل، دار الكتب العلمية، ط1، 1992م.

(4) مجلة الآداب، العبثية أو تجريد الحياة، عدد2، ص155.

(5) نزعة تقوم على النفي والإنكار في الفلسفة والأخلاق والسياسة، فتنكر أية حقيقة ثابتة، وتذهب إلى أن القيم الأخلاقية مجرد وهم ولا داعي لإنشاء دولة أو تنظيم سياسي يسلب الفرد حريته. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص118.

دون الاهتمام بمشكلاته السلوكية والأخلاقية، والكوميديا في مسرح العبث تعبر عن أولئك الـــذين أصبحوا ضحايا الوجود اللاروحي، الذين تسحقهم المادية تحت عجلاتها، فالإنسان المقذوف فـــي عالم تسود المادية كل جوانبه، وتقطع الطريق أمام كل ومضات الروح لابد أن يواجـــه بحقيقـــة الوجود الإنساني العبثي المادي(1).

نجد في العبثية أو أدب الضياع المعاصر، أن البطل هو الصعلوك أو المتــشرد، أو هـــو ذلك الإنسان الذي مصيره الخيبة والدمار(2).

خامساً: مناقشة مذهب العبثية:

يتضح أن العبثية تمثل مرضاً من أمراض الفكر في القرن العشرين؛ لأنها حالة ينتهـــي فيها تفكير الإنسان إلى أنه ليس في هذا العالم إلا الفوضى والعبث واللامعنى، ومن ثم الانحراف والضياع(3).

إن حرية الإنسان التي خلقها الله للناس، ليست كما يظن العبثيون أنها مطلقة، فلا يجـــوز أن يخلق الله للإنسان حرية إله فعال لما يريد، ولا يخلقُ للناس حريـــة المـــساواة فـــي الأقـــدار والأعمال؛ لأن الأول محال والثاني يتعارض به قوام الموجودات في العالم المحدود، فإذا لم تكن حرية الإنسان حرية إله، أو حرية فوضى وتناقض، لم يبق إلا الواقع وهـــي حريـــة الحظـــوظ المختلفة التي نراها في الحياة(4).

ومما يَرُدُّ به القرآن على العبثيين، أن حياة الإنسان مع إنكار البعث تكون عبثاً لا معنـــى لها، فلابد من وجود حياة أخرى وراء هذه الحياة، تكون أكمل وأبقى، يَلقَى فيها الإنسان الجـــزاء على أعماله، فحياتنا الدنيوية ليست غايةً في ذاتها بل وسيلة لغاية أبعد، قال تعـــالى:﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة المؤمنون:115]، وقـــال تعـــالى:﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**﴾ [سورة القيامة:36]، قال أيضا:﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ**﴾ [سورة العنكبوت:64]، وإن لم ير الإنسان لحياته معنى أو غاية، وقع في التـــشاؤم وتحلـــل مـــن

---

(1) انظر الكاتب الفلسطيني، أزمة الإنسان المعاصر ومسرح العبث، صالح سميا، 1990م، عدد20، ص193-194، بتصرف.

(2) انظر العلمانية، ص481، انظر مجلة الكاتب الفلسطيني، أزمة الإنسان المعاصر ومسرح العبـــث، صـــالح سميا، 1990م، عدد20، ص194.

(3) دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ص47، بتصرف.

(4) حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم ص96-97.

القيم، وتخطى إنسانيته أو المعنى الذي كرَّمه الله من أجله، فلا يَعقِلُ شيئاً مما حوله، ولا يبدو له أيُّ أمر من أمور حياته مقبولاً[1].

لقد اشتمل قول الله تعالى:﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [سورة القيامة:36]، وقوله ﷻ:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون:115]، على لفتات عميقة وحقائق كبيرة، أُولى هذه اللفتات؛ تلك اللفتة إلى التقدير والتدبير في حياة الإنسان، فلقد كانت الحياة في نظر من لا يؤمن بالآخرة أنها حركة لا علة لها ولا هدف ولا غاية، أرحام تدفع وقبور تبلع، وبين هاتين لهو ولعب وعبث، وزينة وتفاخر، ومتاع قريب من متاع الحيوان[2]، فرد القرآن عليهم بأنهم مخلوقون لهدف وغاية، وهو أمر لازم لحكمة الله تعالى، فمن فعل شيئاً بلا هدف ولا غاية فهو ليس حكيماً، وهو محال على الله تعالى.

إن ما يذهب إليه الكفار من مزاعم ضالة، في بيان الهدف من وجود الإنسان لا يسنده أي دليل؛ لذلك يقول الله تعالى:﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية:24]، وهذه الآية ترد على الدهريين ومن يأتي على شاكلتهم، حين يذهبون ظناً وتخميناً بلا علم، إلى أن الحياة الإنسانية ليس وراءها حياة إلا دهر يمر، هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان وأشعارهم ناطقة بشكوى الزمان[3].

لا علاقة للإنسان بنظام الكون في تيار العبثية، فلا سنن لله تعالى؛ تسيِّر الكون وتحكم حركته، ولا طائل من البحث والتفكير في الغاية من الخلق؛ بهدف تغيير الواقع السيء، وهو أمر مخالف لصريح القرآن الكريم، الذي أمر بالتفكر والتدبر في الأنفس وفي الآفاق، فقال الله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت:53].

إن عبادة الله هي الغاية العظمى والمهمة العليا من خلق الإنسان، وقد بيَّن هذا قوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:56]؛ فالإنسان خلق لعبادة الله؛

---

(1) الإنسان والكون في الإسلام، ص81.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، دار الشروق، 2003م، 2773/6.

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري جار الله تحقيق:عادل عبد الموجود وعلي عوض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998م، 488/5.

ولتحقيق أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض، فهذه الآية تدحض عبثية الوجودية التي تقول بعبثية الخلق، وأنَّ الإنسان مادام سيموت فلا هدف من حياته، ولا قيمة لأي عمل يعمله.

إن المسلم العاقل يدرك بما منحه الله تعالى من عقل، وبما أودع فيه من فطرة سليمة أن الله تعالى لم يخلق الحياة عبثاً، ولم يُوجد الإنسان هملاً، قال تعالى:﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة المؤمنون:115]، وأن الله تعالى خلق الكون كله على نظام دقيق محكم، لا مكان فيه للعبث والاضطراب، قال تعالى:﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**﴾ [سورة الفرقان:2]، وقال أيضا:﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى،الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى**﴾ [سورة الأعلى:1-2].

والمسلم الذي يدرك هذه الحقائق، لابد أن يجعل لكل وقت من حياته هدفاً، ولكل عمل غاية، وأن يجعل حياته كلها على هذا الأساس، فلا وقت لديه قابل للضياع، أما العبثي فيضيِّع واجباتِهِ ويفرِّط في كل شيء، فلابد أن تضطرب حياته، ويخفق في تحقيق أهدافه، ويصاب بالإحباط واليأس والقلق؛ عندما يرى الآخرين من حوله قد قطعوا شوطاً بعيداً في الحياة، وهو ما زال في مكانه.

إن الوقوع في الذنوب والمعاصي من أهم الأسباب المؤدية للعبث، فالإنسان إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي والذنوب ضاع عمره وذهبت حياته باطلاً، وجاء يوم القيامة خاسراً محروماً، قال الله تعالى:﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [سورة طه:124]، ومن الأسباب أيضا، نشأة الإنسان في بيئة عبثية، فقد ينشأ الإنسان في أسرة لا تراعي للوقت حرمة، ولا تعطي للنظام والترتيب رعاية، فيتأثر الإنسان بهذا الوسط.

المبـــحـــث الثـــالـــث

الإنســـان فـــي المذهـــب الإنـــســـاني

المطلب الأول: نشأة مذهب الإنسانية:-

تعريف الإنسانية لغة:

الإنسانية ترجمة للمصطلح الغربي (Humanism)، بمعنى فلسفة تعلي قيمـــة الإنـــسان ومكانته، وتَبْرُز بإحياء الآداب القديمة خاصة الآداب اللاتينية والإغريقية[1]، أو جملـــة الـــصفات التي تميز الإنسان[2].

تعريف الإنسانية اصطلاحاً:

الإنسانية هي تيار ثقافي ساد في عصر النهضة الأوروبية، يركِّز على أهميـــة الإنـــسان ومكانته في الكون، ويدعو إلى الاهتمام بالفكر الإنساني، ومقاومة الجمود والتقليد، هادفـــاً إلـــى التخلص من سلطة الكنيسة وقيود القرون الوسطى[3].

تُعَرَّف الإنسانية أيضا بأنها الاحتفاء بالبشر وشؤونهم الدنيوية، في مقابل الاهتمام السابق بمعيار الدين وإعلائه للتمييز بين الناس[4]، فالاهتمام بالإنسان كإنسان ورفع مكانته، دون النظـــر لعقيدته ودينه أو مذهبه، هو لب مذهب الإنسانية.

محور مذهب الإنسانية:

يتخذ مذهب الإنسانية من الإنسان محوراً له؛ فالنزعة الإنسانية هي كل فلـــسفة تخـــص الإنسان بمكانة ممتازة في هذا العالم، وتعزو إليه القدرة على المبادرة الحرة والإبداع، وتعتبـــره متحلياً بالوعي والإرادة، وبالتالي مسئولاً عن أفعاله وعن تحرره[5].

تقوم فكرة الإنسانية على الاكتفاء برابط وحدة الأصل الإنساني، والاشتراك فـــي الـــصفات العامّة التي يختص بها هذا النوع، مع نبذ كل الفوارق القومية والوطنية والدينيـــة وغيرهـــا -مـــع اختلافٍ في المبادئ والمذاهب والعقائد- أو الترفُّع عنها، والاستعلاء عليها بنزعة إنسانية عالمية[6].

---

(1) انظر موت الإنسان، د.عبد الرازق الدواي، دار الطليعة، ط1، 1992م، ص189.

(2) انظر المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص25.

(3) انظر المرجع نفسه، ص174، انظر موسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.عبد الوهاب الكيالي، 360/1، انظر الموسوعة العربية العالمية، 309/25، بتصرف.

(4) انظر مجلة البيان، الإنسانية، أ.د. محمد يحيى، سنة16، 2001م، عدد166، ص123.

(5) موت الإنسان، ص191.

(6) كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص276.

يظهر أن مذهب الإنسانية ينطلق من معرفة الإنسان ومكانته في الوجود، وموضـوعها تقديم الإنسان وتقييمُه، واستبعادُ كلِ ما من شأنه أن يمتهنه، سواء بإخضاعه لحقائق وقوى خارقة للطبيعة البشرية، أو قوى خارجية عالية على الكون، أم بتشويهه من خلال اسـتعماله اسـتعمالاً دونياً دون الطبيعة البشرية(1).

نشأة مذهب الإنسانية:

يتميز عصر النهضة بأيديولوجية جديدة هي النزعة الإنسانية، أي ذلك التيـار الفكـري والثقافي الشامل الذي اهتم بدراسة التراث القديم وإحيائه، فشمل ميادين الفنون والآداب والفلسفة، وقد تحول هذا التيار إلى موقف فكري وثقافي شامل، تميز أساساً بالاهتمـام الكبيـر بالإنـسان، فمجَّد وجوده وأعلى من قيمته، في مقابل التصور اللاهوتي للإنسان، على أنـه دنـس ومكبـل بخطيئته الأصلية(2).

لقد ترك أتباع تيار الإنسانية منجزات حضارية جديدة خالدة، وقاموا بـدور كبيـر فـي تحطيم اتجاهات ومعتقدات العصور الوسطى، كما ساهموا بشكل فعال في إقامة الدولة الحديثـة، وهيئوا بيئة اجتماعية وفكرية لتقدم العلوم(3).

انتشرت دعوة الإنسانية انتشاراً كبيراً بين المفكرين في النصف الأخير من القرن الثـاني عشر، لاسيما في ألمانيا، بتخطيط من اليهود، حيث أصبحت النزعة السائدة فـي عـالم الفكـر والفلسفة، فكان معظم الفلاسفة والأدباء يقولون بها، ويدعون إليها(4).

نشأت النزعة الإنسانية في أوائل عصر النهضة باكتشاف كتابات الإغريـق والرومـان، وهي كتابات لم تكن معروفة في أوروبا منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية، أو كانـت معروفـة في صور ناقصة وغير دقيقة، فقد ازدهرت كحركة تاريخية في أوروبا، من القرن الرابع عـشر وحتى السادس عشر الميلاديين، وانطلقت من إيطاليا، منتقلة إلى البلدان الأوربية الأخرى، حيث كان منطلقها الأساسي –دراسةَ الإنسانية، وتحليل وفهم طبيعة الإنسان وأهميته، ودوره المتعاظم في العالم والوجود– الجوهرَ الفكري للحركة الثقافية التي عُرِفت بـالنهـضة، وظـل الموقـف الإنساني من الحياة مستمراً إلى الوقت الحاضر(5).

---

(1) انظر موسوعة لالاند الفلسفية، 569/1.

(2) الفلسفة والإنسان، ص142.

(3) انظر المرجع نفسه، ص145.

(4) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص278.

(5) انظر الموسوعة العربية العالمية، 309/25، بتصرف، الفلسفة والإنـسان، د.فيـصل عبـاس، دار الفكـر العربي، 1996م، ص141.

أدى تسلط الكنيسة إلى التركيز على المذهب الإنساني، بدلاً مـن اللاهـوت ومـا وراء الطبيعة، وساعد تطور الطباعة في أوروبا الغربية على انتشار هذا المذهب، ثـم اشـتد التيـار الداعي إلى تحرير العقل من تزمُّت الكنيسة[1].

إن مما يميز عصر النهضة، اتفاق المفكرين على مناهضة فلسفة العـصور الوسـطى، التي أعاقت رغبة العقل الإنساني في معرفة أصول الأشـياء ومـصادرها، وتكـوين الطبيعـة وقوانينها، وصفات الإنسان الجسدية والأخلاقية، بل إن الفكر في تلك الحقبة لـم يهـتم ببحـث المسائل الدنيوية المُلِحَّة، بل انخرط في إطار النتائج المسلم بها، غير أن التحـول فـي عـصر النهضة يتمثل في أن العقل لم يحصر تفكيره في الاهتمام بأمور الآخرة فحسب، بل بـدأ النـاس يهتمون بالعالم المحيط بهم، كما اهتموا بالتفكير في الأمور الدنيوية[2]، وهذا مما يتفق مع الدين، وهو بالطبع مما يسُرُّ؛ ولكن الأمر صار إلى خلاف ذلك، فقد اشتد الإنكار على الدين، ثـم نـشأ الإلحاد وقوي الداعين إليه، فنبذ الناس الدين، بدعوى تعارضه مع العلم الحديث.

اهتم دعاة مذهب الإنسانية بالآداب؛ لأنها كانت مُرْشِداً لهم في فهم الحياة، وكـان هـذا الفهم مناقضاً لما أكده كثير من مثقفي وعلماء القرون الوسطى الذين قالوا: إن الحياة على وجـه الأرض يجب ازدراؤها واحتقارها، إذ نظر أمثال هؤلاء إلى الكائن الإنساني على أنـه مخلـوق آثم[3].

رفض أنصار مذهب الإنسانية هذه الصورة الآثمة للإنسان، وانبثقت طريقتهم الجديدة في النظر إلى الحياة أثناء هذا الإحياء المعرفي في القرن الرابع عشر، وانتقلت إلى فرنـسا وألمانيـا وإنجلترا، وكانت النزعة الإنسانية أساس صلة دولية وثيقة وحميمة بين العلماء والدارسـين فـي القرن السادس عشر[4].

يُعتبر مذهب الإنسانية أولَ طلائع المادية الحديثة، فقد ركزوا في كتبهم وفنـونهم علـى الفردية الإنسانية وحرية الفرد في التفكير والحكم على الأشياء، وامتاز عصر النهـضة بـشعور الإنسان فيه بشخصيته المطلقة وبمعارضته للسلطة، واعتبار العالم كله وطناً لـه، ولقـد أعلـت النهضة شأن الطبيعة الإنسانية والحياة الدنيوية مخالفة في ذلك طريقـة التفكيـر فـي القـرون الوسطى؛ ولذلك يُسمى العلماء الذين خصصوا أنفسهم لدراسة آداب اليونان والرومـان والعلـوم عند القدماء بالإنسانيين، كما تُسمى عقائدهم ومثلهم العليا بالإنسانية، ومما أحدثه الإنسانيون هـو

---

(1) انظر موسوعة السياسية، 360/1.

(2) انظر الفلسفة والإنسان، ص141.

(3) انظر الموسوعة العربية العالمية، 309/25، بتصرف.

(4) انظر المرجع نفسه، 309/25، بتصرف.

نمو الفردية، أي الرأي القائل بأن الإنسان ينبغي أن يفكر بنفسه لنفسه، وهو رأي كان قد أهمل في عصر عبودية العقل[1].

جهل الناس بدينهم هو أكثر ما يجذبهم لقبول الإنسانية، ثم جهلهم بما تهدف إليه دعوة الإنسانية، ثم انخداعهم بذلك الشعار الأجوف، الذي ينادي به دعاة الإنسانية، وهو الاجتماع على الإنسانية بغض النظر عن أي اعتبار من دين أو لون أو وطن، فالكل تتسع لهم مظلة الحرية والإخاء والمساواة التي يوفرها لهم مذهب الإنسانية[2].

نشأة الديانة الإنسانية:

وضع أوجست كونت[3] ديانة إنسانية مسخ بها الديانة المسيحية، ونصَّب نفسه كاهنها الأكبر، ووضع لها شعار المحبة كمبدأ، والنظام كأساس، والتقدم كغاية، وكان له أشياع في فرنسا وانجلترا والسويد وأمريكا الشمالية والجنوبية، تبعوا في كل بلد كاهناً أكبر وأقاموا لها معابد[4].

تمثلت ديانة الإنسانية باعتبارها الموجود الأعظم، بعبادة الإنسانية التي تشارك فيها الموجودات الماضية والحاضرة والمستقبلية، المساهمة في تقدم بني الإنسان وسعادتهم[5]، وعبادة الإنسانية مشتركة وفردية، فالعبادة المشتركة تكون بأعياد تذكارية للمحسنين إلى الإنسانية، والعبادة الفردية باتخاذ الأشخاص الأعزاء على الفرد نماذج للمثل الأعلى، ولما كانت كرامة الفرد تتمثل في أنه جزء من الموجود الأعظم –عبادة الإنسانية– كان واجبه أن يوجه جميع أفكاره وأفعاله إلى صيانة هذا الموجود وإيصاله حد الكمال[6].

يزعم دعاة الإنسانية أنه يجب أن يكون الهدف الذي يصل إليه الإنسان ويضحي بفرديته من أجله، هو خدمة الآخرين وإخضاعُ نزعاته الفردية كلِّها لخدمة النوع الإنساني أجمع، تحت شعار(الحياة لأجل الغير)، وقد صاغه كونت وسماه الموجود الأعظم، وأحله محل الإله في

---

(1) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، إعداد: أحمد العوايشة، إشراف: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، 1400هـ، ص50، بتصرف.

(2) المذاهب الفكرية المعاصرة، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية، ط1، 2006م، 829/1.

(3) فيلسوف فرنسي، مؤسس الفلسفة الوضعية والمؤسس الحديث لعلم الاجتماع، عاش ما بين (1798م-1857م)، من مؤلفاته: محاضرات في الفلسفة الوضعية. انظر موسوعة الفلسفة، 311/2.

(4) تاريخ الفلسفة الحديثة، ص328.

(5) انظر المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص159/1.

(6) تاريخ الفلسفة الحديثة، ص328.

التقديس، وجعل لمذهبه كهنة وطقوساً، تُقدَّم للرجال الذين أسهموا في خدمة الإنسانية في أعيـــاد تُخصَّصُ لهم؛ ليشعرهم بأنهم على شيء(1).

إن شعار ديانة أوجست كونت المحبة والنظام والتقدم، والدعوة لخدمة النـــوع الإنـــساني عامة دون النظر لدينه وعقيدته، هو شعار علماني قائم على إبعاد الدين وإقصائه عـــن منـــاحي الحياة، وإنَّ تنصيبَ نفسه كاهناً لهذه الديانة وإنشاء معابد لها، لهو دليل على وثنية هـــذه الديانـــة ومخالفتها حتى لتعاليم النصرانية، وهي أيضاً مخالفةٌ تمـــام المخالفـــة لأحكـــام الإســـلام، قـــال تعالى:﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [سورة الشورى:21]، ولما كانت العبادة الفردية في هـــذه الديانـــة المفتراة والمختلقة، تتمثل باتخاذ الأشخاص الأعزاء على الفرد نماذج للمثل الأعلى؛ فهي ديانـــة باطلة وفاسدة؛ لأن الشخص قد يتخذ أشخاصاً ظالمين أو طواغيت من حوله ومن أعـــز النـــاس عليه، ويقلدهم في أفعالهم المنكرة، ثم يدعي أنه متَّبع لهم وهم قدوة له، وهم الـــذين وصـــفهم الله تعالى بقوله:﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً**﴾ [سورة الفرقان:3]، وهذا الإتباع يمثل عبادة لديـــه، والله تعالى أنكر على هؤلاء الظالمين قولهم الشنيع وتوعدهم بعذابـــه، فقـــال:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾ [سورة البقرة:165]، ولقد أحلَّ أوجست كونت ديانته الفاسدة المفتراة؛ بدلاً من الإله الحق واجب العبادة سبحانه وتعالى، وسمَّاها الموجود الأعظم، ومعلوم أن الإنسان مفطور على العبودية فقط لله تعالى، بينما عبادة غيـــر الله وإتبـــاع ديانات فاسدة ووثنية؛ ناشئٌ من إتباع الأهواء وظلم النفس، ومن تـــأثير البيئـــة الفاســـدة علـــى الإنسان، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْـــرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِـــسُّونَ فِيهَـــا مِـــنْ جَدْعَاءَ**)، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة الروم:30](2).

---

(1) انظر المذاهب الفكرية المعاصرة، 1/829-830.

(2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب مَعْنَى كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَـــالِ الْكُفَّـــارِ وَأَطْفَـــالِ الْمُسْلِمِينَ، حديث رقم:6926.

مبادئ الديانة الإنسانية:

لقد شاعت ديانة الإنسانية في الغرب، وصار لها في كل بلد كاهنٌ أكبر، وجعلوا لها معابدَ وطقوساً وسدنة، وقد برزت عند الأمريكيين، حيث جعلوا الإنسانية ديناً، وقد صيغ المذهب الإنساني عام 1333م في بيان الإنسانيين الذي تضمن الأفكار الرئيسية التي تقوم عليها هذه الديانة وهي كما يلي:

1- إنكار وجود الله تعالى، وإنكار خلقه لهذا الكون، واعتقاد أن الكون موجود بذاته وليس مخلوقاً، وإنكار النبوة والرسالة.

2- الإنسان جزء من الطبيعة، وهو نتيجة عمليات مستمرة فيها، وثقافة الإنسان الدينية ليست إلا نتاجاً للتطور التدريجي الناشئ من التفاعل بين الإنسان والبيئة الطبيعية والوراثة الاجتماعية.

3- لقد ولَّى الزمن الذي كان يعتقد الناس فيه بالدين وبالله، والدين متركِّب من الأفعال والتجارب والأهداف التي لها دلالات في نظر الإنسان، ومن هنا زال التمييز بين المقدس والمادي، ويعبَّر عن الانفعالات الدينية بالإحساسات الشخصية والجهود الجماعية التي تحقق الرفاهية الاجتماعية .

4- التحقيق التام للشخصية الإنسانية هو هدف الإنسان(1).

وهذا الكلام محض دعوى لا دليل عليه، فالإنسان مفطور على الدين ومرتبط بالله تعالى، والدين ليس نتاج تجربة وليس مجرد انفعالات شخصية؛ ولكنه أمر مركوز في النفس وتُتَعلمُ أحكامه بطريق الوحي للرُسل، بينما الانفعالات والتجارب الشخصية تنطبق على الخرافات والأساطير الكاذبة وليس الدين، ودعاوى الديانة الإنسانية يكذبها العقل والواقع.

الإنسانية في نظر الإسلام هي كل ما هو مناسب لفطرة الإنسان، التي لا تتحقق إلا بالعبودية لله ﷻ، ولذلك فإن إنسانية الإنسان لا تتحقق في أي سياق يخرجه عن عبوديته لله، كحقيقة مرتبطة بوجوده، وإن الدين الذي هو مجموع العقائد والشرائع والقيم والأخلاق التي شرعها الله لعباده هي ما يناسب فطرة الإنسان وهي ما يحقق إنسانيته، وإن كل دعوة للإنسانية لم تنبع من صميم الإسلام معرِّفة مكانة الإنسان وغاية وجوده لهي دعوة مكذوبة.

---

(1) المذاهب الفكرية المعاصرة، 832/1-833، بتصرف.

المطلب الثاني: الإنسان وجوده ومنزلته في مذهب الإنسانية:

أدركت أفكار النزعة الإنسانية أوجاً عظيماً في نظريات مفكري وفلاسفة عصر التنوير في القرن الثامن عشر، أولئك الذين أعلنوا مبادئ الحرية وسيادة العقل البشري، وحق الإنسان في تطوير قدراته وقواه وإمكانياته الذاتية، والاهتمام بسعادته[1].

لقد ظهر في عصر النهضة الأوروبية أدباء وعلماء وفنانون وضعوا الأساس لحضارة إنسانية جديدة، والمبدأ الرئيس لهذه الحضارة الجديدة هو مبدأ الشخصية الحرة، والمستقلة، والنشيطة ذاتياً، والقادرة على الإبداع الحضاري، ووفْق هذا التصور تصبح الحضارة ليست نتاجاً للعمل الإلهي، بل نتاجاً للإنسان وعملاً إنسانياً، تُجَسِّد قدرات الإنسان وقواه الذاتية وإمكانياته الإبداعية[2].

حرص مفكرو النهضة في بعثهم للتراث اليوناني والروماني القديم ودراستهم له، على إظهار ما فيه من تأكيد لوجود الإنسان وقيمته، بما يتوافق مع نظرتهم الإنسانية الجديدة، ولهذا أصبح الإنسان قادراً على كل شيء، فقد يكون فناناً أو أديباً أو شاعراً متمسكاً بالفضائل والمبادئ الأخلاقية الخيرة[3].

تبنَّى مفكرو المذهب الإنساني تصوراً مثالياً سامياً لطبيعة الإنسان، وجمعوا بين النظرة الواقعية والنظرة المثالية إلى الحياة، نجدها في التصوير التشكيلي والنّحت[4].

إن المذهب الإنساني يقيم للإنسان وزناً وقيمةً، ويجعله ميزان كل شي، والأصل فيه هو مصيرُ الإنسان ووجودُه وميولُه وغايتُه وطبيعتُه المادية، ولا شيء فوقه، ويرى أن على الإنسان أن يصنع معايير الخطأ والصواب والخير والشر بنفسه، والإنسان هو سيد نفسه وسيد مصيره، بل وسيد الكون، ولا مكان لأي سيد آخر في هذا الكون سواه، فالإنسانية باختصار هي تأليه الإنسان، ولا مكان لإله آخر غير الإنسان، ولا سلطة فوقه أقوى منه.

خصائص مذهب الإنسانية:

كانت معارضة النزعة الإنسانية للاستبداد السياسي في أواخر القرن الثامن عشر ذاتَ أثر مهم في الثورتين الأمريكية والفرنسية، فكلٌ من إعلان الاستقلال الأمريكي، والإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان، يؤكدان شرف الإنسانية وكرامتها؛ ولذا فهما وثيقتان إنسانيتان[5].

---

(1) الفلسفة والإنسان، ص144.

(2) المرجع نفسه، 144.

(3) انظر الفلسفة والإنسان، ص141-142.

(4) الموسوعة العربية العالمية، 309/25.

(5) انظر موسوعة لالاند الفلسفية، ص571، بتصرف.

يعتقد كثير من التربويين والفلاسفة أن الإنجازات العلمية قد ضاعفت كثيراً من معرفتنا وقوتنا، ولكنهم يؤمنون أيضاً بأن على النزعة الإنسانية أن تُعلّمنا كيف نستخدم هذه المعرفة وهذه القوة بطريقة أخلاقية وإنسانية[1].

إن مما يختص به مذهب الإنسانية عن غيره من المذاهب:

1- تأكيده على رفع كرامة الفكر الإنساني وجعله ذا قيمة، وذلك بوصل الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة.

2- الانبهار بالقدامى وتقليدهم ومحاكاتهم، وتبني نماذجهم كاللغة والآلهة وغيرها[2].

3- إنه عقيدة تقول إن على الإنسان أن يتمسك بما هو إنساني من الناحية الأخلاقية، وتقوم على الاعتقاد بخلاص الإنسان بالقوى البشرية وحدها، وليس تدخُّل القوى العالية عن الكون، وإلا لكان في ذلك قضاء على الفردية، فالعقل الإنساني هو الذي يُشرِّع القيم، أو إن الناس هم الذين يشرعوها، ويجب أن يخضع لها الجميع، وتدافع عن الأخذ بالمنهج العلمي في حل المشكلات الإنسانية، بما لا يتعارض مع القيم الإنسانية ذاتها، وهو اعتقاد يتعارض مع الدين القائل بخلاص الإنسان بقدرة الله وحده[3]، وهو مذهب ينبذ الدين والوحي، ويُوْكِل الإنسان إلى نفسه؛ لأن الإنسان عندهم سيد العالم لا ارتباط له بإله، أو وحي يوجهه ويرشده.

4- يشدد على التعارض في الإنسان بين غايات طبيعته الإنسانية، وغايات طبيعته الحيوانية[4].

5- يعني مذهب الإنسانية بدايةَ تمردٍ على الأسلوب الزائف، في الحياة والتفكير والتعامل بين البشر، كان يعتبر مهيناً للإنسان، حيث كانت ثقافة العصور الوسطى تكرسه وتعتمده، ولقد اهتم هذا المذهب بالإنسان كفرد، واهتم بكل ما يثبت ذاته ويعيد إليه الثقة في قدراته، ويغني حياته وشخصيته وفكره[5].

6- من أبرز المآثر لمذهب الإنسانية إعادة اكتشاف الفرد، والإقرار باهتمامات الإنسان وحقوقه، مما أدى إلى ظهور الشعور بالنزعة الفردية، التي عبرت عن ضرورة تحرير الإنسان من

---

(1) الموسوعة العربية العالمية، 310/25.

(2) موسوعة لالاند الفلسفية، ص566، بتصرف.

(3) انظر المرجع نفسه، ص569، بتصرف، مجلة كنعان، ما هي الأنسنية؟، د.حازم خيري، السنة السابعة، 2007م، العدد1242، ص7.

(4) موسوعة لالاند الفلسفية، ص570.

(5) انظر موت الإنسان، عبد الرازق الداوي، ص190.

قيود النظام الكنسي الاستبدادي المحرَّف[1]، فآمن الإنسانيون بأن الإنسان معيار كل شـــيء، وأن كل إنسان معيار ذاته أيضا، إذ ساهموا في تحطيم عالم العصر الوسيط، وقدَّموا الكثيـــر من أعمال الفن التي تشكل جزءاً كبيراً من تراث الإنسانية المعاصر[2].

7- الإنسانية تؤكد عدم مشروعية إجبار الإنسان على اعتناق ديانة بعينها، وعـــدم مـــشروعية السعي لفرض الاعتناق القسري لبعض الديانات الرئيسية في العالم على الآخرين؛ اســـتناداً لكونها صالحة لكل زمان ومكان، فتعترف بحق الإنسان في الاختيـــار الحـــر لعقيدتـــه أيَّـــاً كانت[3].

8- تثمن الإنسانية الخيال والإبداع الفني، وتعترف بدور الفنون والآداب في تطـــوير الملكـــات الخلاقة، وتؤمن بارتباط الفنون على اختلافها وتنوعها بما يحرزه الإنسان من تطور وتقـــدم في مناحي الحياة المختلفة، وقد بَعُد الإنسانيون عن تعاليم العصور الوسطى التي دعت إلـــى نبذ هذا العالم وملذّاته، وأكدوا على الاعتناء والاهتمام بحقائق الطبيعة البشرية[4].

والملاحظ من خصائص هذا المذهب هو مشابهته الكبيرة لغيره من المـــذاهب الغربيـــة، الداعية إلى التركيز على الجانب الحيواني والمادي في الإنسان، وإغفـــال جانبـــه الروحـــي أو الديني، الذي هو في الحقيقة مصدر قوته وعزته ورفعته، بل لا يجوز إجباره على ديـــن بعينـــه، ولو لم يكن محرفاً كالإسلام؛ لأنه إذا أجبر على اعتناق دين بعينه قُضي على فرديته وشخصيته، وأصبح أسيراً لقوىً خارجة عنه، وفي ذلك كما لا يخفى هدم كبير للقيم والفـــضائل والأخـــلاق، وفتح الباب على مصراعيه لنشأة العلمانية المنتشرة بقوة في البلاد الغربية، بل وانتشار الإلحـــاد، بل الأسوأ من ذلك إعلاء شأنه؛ ليصل لأن يكون مقياس كل شيء، ورفعه لمرتبة الإلوهية، وهو أمرٌ منافٍ للعقل والفطرة السليمة.

---

(1) انظر الفلسفة والإنسان، ص143.

(2) المرجع نفسه، ص144.

(3) مجلة كنعان، ما هي الأنسنية؟، د.حازم خيري، السنة السابعة، 2007م، عدد1242، ص7.

(4) انظر الموسوعة العربية العالمية، 309/25، بتصرف.

المطلب الثالث: علاقة مذهب الإنسانية بالديمقراطية والعلمانية:-

أولا: علاقة مذهب الإنسانية بالديمقراطية:

إن كل نظام سياسي يعتبر إرادة الشعب مصدراً لسلطة الحكام هو نظام ديمقراطي[(1)]، إلا أن إرادة الشعب في الواقع هي إرادة الأغلبية، وفي ذلك -كما لا يخفي- مجال لسيطرة طبقة على أخرى لا يمكن اتقاؤها إلا بمراعاة أحكام القانون[(2)].

الديمقراطية إما أن تكون سياسية تقوم على حكم الشعب لنفسه بنفسه مباشرة، أو بواسطة ممثليه المنتخبين بحرية تامة، وإما أن تكون اجتماعية، أيْ أسلوب حياة يقوم على المساواة وحرية الرأي والتفكير، وإما أن تكون اقتصادية تنظم الإنتاج، وتصون حقوق العمال، وتحقق العدالة الاجتماعية، وإما أن تكون دولية توجب قيام العلاقات الدولية على أساس السيادة والحرية والمساواة، ولكن الديمقراطية الكاملة لا تبلغ غايتها إلا إذا جمعت بين هذه الجوانب كلها في وزن واحد من الاتساق[(3)].

الناظر لنشأة الإنسانية يرى أنها تساند الديمقراطية، فالديمقراطية ثمرة من ثمار الإنسانية، وهدفها بلوغ الإنسان أقصى تطور ممكن، وأن الديمقراطية حقٌ له، وتهيمن المبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان على علاقات الإنسان، فلا للحكومات والأنظمة والدين والقوى الخارجية سلطة عليه، بل ينظم حياته بما يراه من قوانين مناسبة لرقيه، والإنسانية تؤكد أن إلحاد الإنسان هو موقف ديمقراطي وأخلاقي تجاه الحياة؛ لأنه يرى أن كل إنسان لديه الحق ليعطي شكلاً ومعنىً لحياته الخاصة، وهذا يدل على بناء مجتمع أكثر إنسانية، ويؤمن الإنسانيون بأن الخبرات الإنسانية هي المصدر الوحيد للمعرفة، رافضين أي معرفة موحى بها من الله تعالى، فالهدف من الإنسانية هو مجتمع حر وعالمي بعيد عن الدين والقيم الأخلاقية الثابتة.

نتيجة التركيز على الإنسان نما التحسس بالفرد كقيمة، وبحرياته كحقوق وإرادته كشيء هام، وقَوِيَ مذهبُ الإنسانية؛ للتخلص من سيطرة الكنيسة ووحدانية السلطة، وقد رافق ذلك نشوء الرأسمالية والبروتستانتية والعديد من الاتجاهات الفلسفية في عصور النهضة والفترة المعاصرة[(4)]، وانبثاق النظام الديمقراطي؛ كان نتيجة الصراع الاجتماعي بين الطبقات الحاكمة،

---

(1) الديمقراطية هي نظام سياسي اجتماعي، يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأي المساواة بين المواطنين، ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، أساسها المبدأ القائل بأن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية. موسوعة السياسة، 751/2.

(2) انظر المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 569/1-570.

(3) انظر المرجع نفسه، 569/1-570.

(4) موسوعة السياسية، 360/1.

وقد تزامن هذا النظام مع بروز مذهب الإنسانية الداعي إلى أن يكون الإنسان مقياس كل شـــيء، وليس لقوة خارجة عن الإنسان –كالوحي أو الإله– أيَّ سلطة علـــى إرادتـــه وحريتـــه، فنظـــام الكنيسة قبل عهد النهضة كان تسلطياً بينما بعد نشأة مذهب الإنسانية أصبح النظام ديمقراطياً.

الإنسانية دعوة باطلة؛ لأنها تساوي بين الحق والضلال، وبين دين الإسلام وغيره مـــن الأديان الباطلة، وبين التوحيد والشرك، وبين المسلمين والمشركين والكافرين، معارضـــة بـــذلك الرؤية الإسلامية، حيث يقول الله تعالى:﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [سورة القلم:35–36]، وقال سبحانه:﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص:28][1].

ثانيا: علاقة مذهب الإنسانية بالعلمانية:

كان الناس في العصور الوسطى عازفين عن الدنيا عاملين لليوم الآخر، وفي مقاومة هذا العزوف أخذت العلمانية[2] تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس فـــي عصر النهضة يُظهِرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية، وبإمكانية تحقيق مطـــامحهم في هذه الدنيا القريبة[3]، وظل هذا الاتجاه يتطور باستمرار، خلال التاريخ الحديث كله، باعتباره حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.

نشأت العلمانية إبان عصور النهضة في أوروبا، كمفهوم سياسي واجتمـــاعي، عـــارض ظاهرة سيطرة الكنيسة على الدولة وهيمنتها على المجتمع، وتنظيمه علـــى أســـس الانتمـــاءات الدينية والطائفية، ورأت أن من شأن الدين أن يُعنى بتنظيم العلاقات بين البشر وربهم، وبفـــصل الدين عن الدولة، وتنظيم العلاقات الاجتماعية على أسس إنسانية، وتقوم على معاملة الفرد علـــى أنه مواطن ذو حقوق وواجبات، وبالتالي إخضاع المؤسسات والحيـــاة الـــسياسية لإرادة البـــشر، وممارستهم لحقوقهم وفق ما يرون وما يحقق مصالحهم وسعادتهم الإنسانية[4].

هناك علاقة وطيدة بين مذهب الإنسانية والعلمانية، فقد انطلق مفهوم العلمانية من النظرة الإنسانية(Humanism) التي مجدت الإنسان كمحور للكون، ونظرت إليه على أنه ســـيد نفـــسه

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة، ص591.

(2) اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص، يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألاَّ تتدخل فـــي الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً، فهي تعني مثلاً الـــسياسة اللادينيـــة البحتـــة فـــي الحكومة، العلمانية، ص23، نقلا عن المعجم الدولي الثالث.

(3) انظر العلمانية، ص22.

(4) موسوعة السياسية، 179/4.

وحر الإرادة، ونادت بالعقلانية كوسيلة للتنظيم الاجتماعي، ولتسخير كافة الإمكانيـــات لتحقيـــق حاجات الإنسان وسعادته، وبالديمقراطية كأساس لعلاقة الفرد بالدولة والمجتمع، وتَعتبِر العلمانيةُ الممارسة الدينية ممارسة شخصية[1].

مذهب الإنسانية القائم على أن الإنسان مركز الوجود، هو ركن من أركان العلمانية، فلا قيمة للفضائل والأخلاق ما لم ترتبط بالإنسان وعمله وتؤول إليه، فـــالقيم الأخلاقيـــة والأوامـــر والنواهي وأسلوب الحياة والفضائل والرذائل لا ينبغي تعلمها من الوحي، وحسْبُ الإنـــسان فـــي تنظيم شؤون حياته ومجتمعه أن يعتمد على توافق أفراد مجتمعه، والتخطيط العلمي والعقلانـــي، فالعقل قادر بمفرده على أن يميز بين الحسن والقبيح والفضيلة والرذيلة، والعلمانية تؤكـــد علـــى الاستغناء عن الدين وتعاليم الوحي، معتقدة أن بالإمكان تنظيم شؤون العالم جميعها بالعقل وحده، إذن فالعلمانية تقود للإعراض عن الدين وعن الله والوحي والغيب بكل وضوح، وتدعو الإنسان إلى أن لا يطيع غير عقله وان لا يتبع سواه، فنبذ الدين والوحي والغيب منطلقـــات جوهريـــة للـــدعوة العلمانية، وهنا يكمن تعارض هذا الاتجاه مع الشرائع السماوية، وخطره على الفكر الديني[2].

الاهتمام بالإنسان منبعه ما شعر به مفكرو الغرب من اهتمام الفتـــرات الـــسابقة بالـــدين وشؤونه، والعقيدة والآخرة، على حساب الأمور الدنيوية –حسب تـــصورهم– فكانـــت النزعـــة الإنسانية مرتبطة بتوجه علماني دنيوي يبعد الدين، وتطورت تلك النزعة في العـــصور التاليـــة، وتلقت الدعم من حركات العقلانية والتنوير في القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ حيث وضعت العقلانية العقل البشري موضع التأليه[3]، ليحل محل الوحي الإلهي عند الغرب، وجاءت حركـــة التنوير لتعمق توجه العقلانية، وترسخ النزعة الإنسانية بما وجهته إلـــى الـــدين المـــسيحي مـــن ضربات قاصمة، مست عقائده وهدمتها، ولم يتبق إلا الإنسان وعقلـــه مـــصدراً وحيـــداً للغايـــة والاهتمام، وبهذا ارتبطت النزعة الإنسانية بالتدرج، ليس فقط بالإقلال من أهمية الدين ومكانتـــه، أو حتى بالعلمانية؛ وإنما بالتوجه الإلحادي المفارق للدين، وليس من قبيل المصادفة أن جمعيـــات الملحدين وروابطهم في الغرب، أصبحت تعرف في العقود الأخيرة بـــروابط الإنـــسانيين، فـــي محاولة لتجنب لفظ الإلحاد الذي ما زال يصدم المشاعر حتى في البلدان التي اعتمدت العلمانيـــة منذ عقود، والواقع أن النزعة الإنسانية كانت سمة الفكر الغربي على مدار القرن التاســـع عـــشر ومعظم القرن العشرين[4].

---

(1) موسوعة السياسية، 4/179-180.

(2) الإنسية: http://www.islamicfeqh.com/almenhaj/Almen26/min26003.htm .

(3) مجلة البيان، الإنسانية، أ.د. محمد يحيى، سنة16، 2001م، عدد166، ص123.

(4) المرجع نفسه، ص124.

كان الإنسانيون ينشدون طريقاً وسطاً بين النصرانية والعلمانية الحديثة، ونتيجة لتحرير العقول من العبودية التي فرضتها الكنيسة عليها، فُصلت الفلسفة عن الدين وأصبحت علماً دنيوياً مستقلاً[1].

يظهر أن الدعوة الإنسانية هي دعوه لتحرير الإنسان من كل سلطة خارج حدود الإنسان، وتحريره من سلطان الدين ومقدسات القيم والأخلاق، أو من العبودية لله تعالى.

إن الإسلام لا يفصل الرابطة الإنسانية عن الرابطة الدينية، فمن يفصلها يعمل بخلاف فطرته وبخلاف خلق الله تعالى له، قال الله تعالى:﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾ [سورة الأعراف:172].

يجب على كل مسلم أن يتذكر قول الله تعالى:﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ [سورة البقرة:120]، ثم ينظر في الواقع كيف أن دعاة الإنسانية يعادون كل مسلم، حتى يرجع إلى أقوالهم ويسايرهم في سلوكهم، ثم كيف بعدها يكيلون له المدائح المختلفة، ويُحكِمون عليه الشِّباك بأنواع المساعدات المادية والمعنوية، ليبقى أسيراً لهم، إنهم يبغضون الإسلام؛ لتخوفهم من عودته لسابق مجده، فرموه بسهم الإنسانية؛ كي تكثر السهام العلمانية عليه؛ وينالوا منه، وأنى لهم وقد تكفل الله بحفظ دينه[2].

نقد مذهب الإنسانية:

مذهب الإنسانية هو دعوة للإنسان ليعيش حياته قوي الأمل، صامداً في مواجهة الأخطار، جاعلاً نصب عينيه أن يعيش حياته المادية بكل ما يجده، ضارباً بالقوانين التي تحد من ارتكاب الشهوات جانباً، وأن لا ينظر إلى الأمور الروحية والغيبية، ولا يتأثر بما يقال له من أنه سيحاسب على كل أعماله الدنيوية أمام الله تعالى، فليس له إلا ما تمتع به قبل موته، فلا بعث ولا حساب ولا جزاء، إنهم يغالطون أنفسهم وهم يعلمون أنه لا يمكن أن تكون الحياة كذلك، قال تعالى:﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [سورة النمل:14]، وهم متأكدون أن حياتهم لا تختلف عن حياة سائر البهائم، ولولا الظلم والاستكبار

---

(1) موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، ص50.

(2) المذاهب الفكرية المعاصرة، 842/1، بتصرف.

وحب العلو؛ لرجعوا إلى الحق ونظروا إلى ما هم فيه، بأنه عبث وفوضى لا تقرها العقــول ولا الفطرة السليمة[1].

وهذا زعم باطل وإنكار لوجود الله وكفر بالأنبياء والمرسلين أيضا، وإنكار للغايــة مــن وجود الإنسان، وإسناد خلقه إلى الطبيعة، وهضم لنعمة التفكير التي خص الله بها الإنــسان، دون غيره من المخلوقات.

إن من يروج لهذا المذهب في بلاد المسلمين يوهمنا بأنه مدافع عن الإنسان وعن العقل، وهي أمور من صميم ديننا؛ إذ أكرم الإسلام العقل والإنسان في آيــات قرآنيــة عديــدة، وهــذه الخدعة تأتي من الخلط بين مفهوم الإنسانية بوصفها دعوة للخير ومحبة البــشر وبــذل العــون، وبين المعنى الحقيقي لتيار الإنسانية في الفكر الغربي، من الإعلاء المطلق لمفــاهيم وتوجيهــات الدنيوية والعقلانية المادية المتشككة، والإنسان المنفصل عن الوحي الإلهــي وعــن أي ديــن أو توجيه سماوي[2].

لقد اتضح أن النزعات القومية والوطنية أقوى من الإنسانية، أو دعوة الأخوة البشرية، إذ قامت الحروب والصراعات القومية، فاضمحلت فكرة الإنسانية، وممــا يؤكــد ضــعف مــذهب الإنسانية، أنها أضعفت لدى مواطنيها الألمان روح المقاومة ضدّ أعدائها الطــامعين بهــا، فلمــا غزاها نابليون لم يثبتوا أمامه؛ إذ لم تكن لديهم روح المقاومة، فكان الجنود يهزمون من ســاحة القتال تاركين أسلحتهم فيها، دون أن يحاولوا استعمالها لصد غارة العدو الزاحف إلــى بلادهــم؛ نتيجة تأثير انتشار فكرة الإنسانية فيهم[3].

رابطة الإنسانية هي رابطة مشتركة بين البشر، وليس الإنسان كائناً ذا مقوِّم واحد حتــى يكفيه رابط واحد؛ هو رابط الإنسانية، بدليل أنه لا يمكن إقامة الأمة الحيوانية برابط الحيوانيــة، الذي هو دون رابط الإنسانية بمرتبة واحدة، فمن الجهل بطبائع الأشياء الاكتفاء بمجرّد الاشتراك في رابط الإنسانية؛ لتكوين الأمة الإنسانية التي يراد لها الثبات والدوام، فدعوة الإنسانية دعــوة باطلة وفكرة ساقطة[4].

---

(1) المذاهب الفكرية المعاصرة، 834/1.

(2) مجلة البيان، الإنسانية، أ.د. محمد يحيى، سنة16، 2001م، عدد166، ص125.

(3) كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، ص279، بتصرف.

(4) انظر المرجع نفسه، 281-282.

يدعو أنصار تيار الإنسانية إلى نبذ المبادئ والمذاهب والمعتقدات التي تسبب الفرقة بين الناس، والدين أهم ما يجب نبذه، فإذا ترك الناس أديانهم ومبادئهم ومذاهبهم ونظمهم، تهيأت لأصحاب المكيدة الفُرَصَ المواتية للسيطرة على البشرية كلها، فيتحكّمون فيهم كما يشتهون، ويستعبدونهم ويذلّونهم ويسخّرونهم لمصالحهم، ولخدمة شعب الله المختار كما يزعمون[1].

إن الإنسان ليتساءل قائلاً: أين تطبيق مفاهيم الإنسانية على المسلمين في الحبشة وأريتريا؟ وعلى المسلمين في الفلبين وفي الهند؟ وعلى جماهير المسلمين المطالبين بحقوقهم في أفغانستان، والجيش الأمريكي يقتل الرجال والنساء والأطفال بوحشية قذرة ؟ أين تطبيق اليهود لمفاهيم الإنسانية على الفلسطينيين الذين سُلِبُوا أرضهم وديارهم؟[2] أليس دعاة الإنسانية هم الذين يحكمون على الإسلام والمسلمين بأنهم إرهابيون، يجوز قتلهم وسجنهم وتشريدهم دون رحمة؟

إن فلسطين ظلت أربعة عشر قرناً من الزمان أرضاً إسلامية، ثم جاء اليهود ليقيموا عليها دولة يهودية، ولم يستنكر أحد من الإنسانيين طرد السكان الأصليين وإجلاءهم عن أرضهم، فما بالهم لا يتحركون؟ ما بالُهم لا يصرخون في وجه الظالم الكافر الذي لا قلب له ولا ضمير؟ إنما توجه دعوى الإنسانية فقط ضدَّ المسلمين، الذين يحارَبون اليوم بدعوى الإنسانية الكاذبة[3].

إن من يستمع لدعوة الإنسانية يُخَيَّل إليه أنها تدعوه للارتفاع فوق كل الحواجز التي تفرق بين البشر، وتدعوه ليكون واسع الأفق، كريم المشاعر ينظر بعين إنسانية ويفكر بفكر عالمي، ويعطي من نفسه الرحمة لكل البشر على السواء، بدافع الحب الإنساني الكبير[4]، ولكن قد يخدع البعض بها؛ لما فيها من بريق، فيؤمنون بها أو يدعون إليها، غافلين عن الحقيقة التي تنطوي عليها، وقد لا يصدقون أنها دعوة إلى التحلل من الدين، يبثُّها الشياطين في الأرض لأمر يراد، ولكن ما رصيدها في العالم الذي تجتاحه القوميات من جانب، والعصبيات العرقية والدينية والسياسية والاجتماعية من كل جانب؟[5]، ولا أدل على ذلك من وقوع الحروب الأهلية والدولية والنزاعات المستمرة، الأمر الذي يشكل صفعة في وجوه دعاة الإنسانية والقومية والوطنية وسائر الدعوات الجاهلية.

---

(1) انظر كواشف زيوف، ص284، بتصرف.

(2) المرجع نفسه، ص285.

(3) مذاهب فكرية معاصرة، ص593، ص598، المذاهب الفكرية المعاصرة، 839/1.

(4) مذاهب فكرية معاصرة، ص589.

(5) المرجع نفسه، ص592.

إن مذهب الإنسانية من أسلحة الحرب الموجهة ضد روح الجهـاد عنـد المـسلمين[1]، ودعاوى الإنسانية والعالمية والتسامح في كل النظم مجرد شعارات لا رصيد لها مـن الواقـع، بينما هي في الإسلام واقع حقيقي، لا دعاوى ولا شعارات[2].

الإنسانية مذهب هدَّام ودعوة خادعة من قِبَل دهاة أعداء الـدين، وفـي خـضم انتـشار المذاهب الباطلة قيل لها إنسانية نسبة إلى الإنسان، وقيل لها عالمية أو أُمميَّة لدخول كثيـر مـن المفكرين من مختلف البلدان الأوربية وغيرها فيها، ونادت بأن يتفق ويتآلف جميع الناس تحـت اسم الإنسانية؛ بسبب اشتراك جميع الناس في أصل الخلق مع إغفال كل الفوارق بيـنهم، مهمـا كانت تلك الفوارق دينية أو غيرها، فلابد أن يكون التجمع على الإنسانية وحدها بدلاً من الكنيسة وتعاليمها، وأن الدين أمر شخصي بين الله والإنسان، فالوطن للجميع، ولا قيمةً حقيقيـةً لتجزئـة الأرض أو فصل بعضها عن بعض، بحجة اختلاف الناس في دينهم وسلوكهم، فإن هذه الأمـور تحث على التعالي، وتثير جذوة الخلافات والأحقاد، بخلاف ما لو اتفقوا على أن تكـون الأرض وطناً للجميع وتجمعهم الإنسانية، وعلى أن يوجد دين موحد للكل تحت راية واحدة، بعد أن تسقط جميع الأديان والقوميات والوطنيات، فتأتي حينئذ الحياة السعيدة القائمة على المحبة الإنـسانية – حسب خداع الماسونية العالمية– فالفارق بينها وبين الإنـسانية فـارق لفظـي؛ ولكنهـا دعـوة خادعة[3].

---

(1) مذاهب فكرية معاصرة، ص598.

(2) المرجع نفسه، ص604.

(3) انظر المذاهب الفكرية المعاصرة، 827/1، مذاهب فكرية معاصرة، ص591، بتصرف.

الفصل الثالث

حقوق الإنسان بين الإسلام والمذاهب الفكرية

ويتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول: حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية.

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم حقوق الإنسان في الإسلام .

المطلب الثاني: سمات حقوق الإنسان في الإسلام.

المطلب الثالث: منزلة حقوق الإنسان في المنظور الإسلامي .

المبحث الثاني: حقوق الإنسان في المذاهب الفكرية المعاصرة.

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: التفسير الغربي لحقوق الإنسان.

المطلب الثاني: حقوق الإنسان في المذهب الديمقراطي.

المطلب الثالث: حقوق الإنسان في الفكر الليبرالي.

المطلب الرابع: قصور المواثيق الدولية في حماية حقوق الإنسان.

المبحث الأول

حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية

المطلب الأول: مفهوم حقوق الإنسان في الإسلام:-

حقوق الإنسان لغة:

الحقوق جمع حق، والحق له معان كثيرة، وهو مصدر قولنا: حَقَّ الشيء، أي وجب وثبت[1]، والحق يدل على إحكام الشيء وصحته، والحق نقيض الباطل[2]، والحق أيضا هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، قال الراغب: أصل الحق المطابقة والموافقة[3]، فحقوق الإنسان تتضمن معنى الواجب والثبات، والصحيح المتعلق بالإنسان.

حقوق الإنسان اصطلاحاً:

عندما نود توضيح مفهوم حقوق الإنسان، يجب مراعاة خصوصية المجتمع الذي يحيا فيه الإنسان؛ لأن هناك حقوقاً عند مجتمع ما ليست حقوقاً عند مجتمع آخر، وهو ما يفسر اختلاف الحضارات والمجتمعات والتيارات الفكرية.

وقد ذكر أهل العلم تعريفات للحق، نذكر بعضاً منها:

أولا: يقول الجرجاني:"الحق هو الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك"[4].

ثانيا: يقول العيسوي:"الحق هو مصلحة ثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستئثار يقررها الشارع الحكيم"[5].

---

(1) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية، 1988م، مادة: حقق، ص306-309.

(2) انظر لسان العرب، 49/10-53، مادة: حقق، معجم المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، 1998م، ص44، مادة: حقّ.

(3) التوقيف على مهمات التعريف، ص287.

(4) التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: د. عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، 1991م، ص110.

(5) الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، د.محمد رأفت عثمان، دار الضياء، ط4، 1991م، ص14، الإسلام وحقوق الإنسان، د. القطب محمد القطب طبليه، دار الفكر العربي، ط2، 1984م، ص38.

يتضح من التعريفين السابقين أن الحق هو خلاف الباطل، ومن الحقوق حق التعبير وحق الاعتقاد، وقد أثبت الشرع هذه الحقوق للإنسان وخصه بها.

إن حقوق الإنسان في الإسلام: هي المبادئ التي جاء بها الإسلام، حفاظاً علـــى كرامـــة الإنسان واحترامه، وحماية للكليات الخمس، على جهة الوجوب والإلزام[1].

تتضمن حقوق الإنسان القواعد والمبادئ المستمدة من النصوص الشرعية، التـــي تـــنظم علاقات الناس ببعضهم، وهي واجبة الالتزام والتطبيق؛ ليعيش المجتمع فـــي انـــسجام وتوافـــق نفسي.

ولقد تناولت تشريعات الإسلام كثيراً من واجبات الإنسان على أخيه الإنسان، وقد سميت حقوقاً، وذلك مثل حق المسلم على المسلم، وحقوق الرعية على الراعي، وحقوق الراعي علـــى الرعية[2].

العلاقة بين التكريم وحقوق الإنسان:

إن حقوق الإنسان في الإسلام منحةٌ من الله تعالى للإنسان، بمقتضى فطرته التي فطـــره الله عليها؛ ليكون خليفة في الأرض، ويمارس جميع ما وهبه الله له في الحياة، وينعم بالمـــصالح التي تعود عليه بالنفع والخير، وتدفع عنه السوء والشر، فهي حقوق شخصية للإنـــسان، وهـــي مطلب مصون ومقدس للناس جميعاً، على مستوى الأفراد والجماعات[3]؛ وهي ناشئةٌ عن تكريم الله تعالى للإنسان[4]، سواء أكان ذكراً أم أنثى، كبيراً أم صغيراً، غنياً أم فقيراً، أبيض أم أســـود، وألزم الجميع باحترامها طبقاً للضوابط الشرعية[5]، وقد ذكرتُ بعض مظاهر تكـــريم الله تعـــالى للإنسان، التي تؤصِّل لقضية حقوق الإنسان، عند الحديث عن منزلة الإنسان في الإسلام[6].

---

(1) انظر الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقلة، مكتبة الرسالة، ط1، 1991م، ص133، المنهج الأخلاقـــي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، إعداد: د. يحيى بن محمد حسن زمزمي، 1424هـــ، ص34، المـــدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقاء، مطبعة طرابين، ط10، 1968م، 3/9-10.

(2) انظر حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، أسامة الألفي، دار الوفاء، ص39-41.

(3) انظر حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط1، 1992م، ص25.

(4) انظر وثائق حقوق الإنسان في الثقافة الإسلامية، د.غانم جواد، مركز القاهرة لدراسات حقـــوق الإنـــسان، 2000م، ص18، حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، د. محمد أحمـــد مفتـــي، د. سامي صالح الوكيل، دار النهضة الإسلامية، ط1، 1992م، ص12.

(5) انظر حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، أسامة الألفي، ص72، بتصرف.

(6) انظر صفحة24، من هذه الرسالة.

إن القيام بهذه الحقوق هو جزء من العبودية لله تعالى، وهو أمر مستقر في فطرة الإنسان التي فطره الله عليها[1]، وتختلف الحقوق باختلاف التكريم؛ لأن الإنسان مكرَّم بمظاهر التكريم العامة، التي تعم المسلم وغيره، ولكن المسلم مكرَّم بأمور زائدة عن الكافر، بخضوعه لله تعالى والتقرب إليه وطاعته، وهو مكرَّم بالإيمان، ومكرَّم بالحياة الطيبة البعيدة عن الضنك في الدنيا، ومكرم بالثواب الجزيل في الآخرة، قال الله تعالى:﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ [سورة التين:4-6]، وفي ذلك دلالة على سلب التكريم في بعض الأحيان للإنسان؛ وذلك بسبب كفره وبعده عن منهج الله تعالى.

تنطلق حقوق الإنسان في الإسلام من احترام الإنسان ذاته، دون النظر لظروف ألمت به، فالإنسان مكرَّمٌ تكريماً جعله يكون خليفة في الأرض، قال الله تعالى:﴿**وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [سورة البقرة:30]، وأسجد الله له الملائكة وسخر له الكون، فالتكريم والاحترام أمر فطري وطبيعي، لا يسلبه من الإنسان إلا طغيانه وتمرده على شريعة الله تعالى[2].

إن حقوق الإنسان في الإسلام لَترتقي لتكون واجبات شرعية ملزمة، فهي عبادات يؤجر الإنسان على فعلها ويحاسب على تضييعها، وهي تُنَظِّم علاقات الناس ومعاملاتهم وحياتهم الاجتماعية[3].

فالحق مصلحة أو منفعة تثبت لإنسان ما، أو لشخص طبيعي أو اعتباري، أو لجهة على أخرى، ولا يعتبر الحق إلا إذا قرره الشرع والدين، أو القانون والنظام، وبالتالي يكون الحق مصلحة ومنفعة قرَّرها الشرع؛ لينتفع صاحبها ويتمتع بمزاياها، وفي المقابل تكون واجباً والتزاماً على جهة لأدائها، ويكون الحق مقرراً وثابتاً بشرع، أو بقانون أو بنظام[4].

حقوق الإنسان في الإسلام أصيلة في فطرته، والبحث فيها لا يكون إلا في إطار ما يُوجِدُه الإنسان من عوائق تهدد هذه الحقوق، فالحرية صفة أصيلة فطرية لا تتقدم الحياة ولا

---

(1) انظر حقوق الإنسان في الإسلام: http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/2.htm

(2) انظر مجلة كلية الدعوة الإسلامية، حقوق الإنسان في الإسلام، محمد فتح الله الزيادي، سنة2005م، 48/22-49، بتصرف.

(3) المرجع نفسه، ص27.

(4) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، 64/1-ص65.

تزدهر بدونها، ولا تَسقط إلا حينما يتنكر الإنسان لحريات الآخرين ويعتدي عليها، ويَصدُقُ ذلك على جميع الصفات البشرية الأخرى، كالعدل والمساواة وغيرها[1].

ارتباط حقوق الإنسان بالإيمان:

لقد ارتبطت حقوق الإنسان بالإيمان وبينت ذلك كثير من الآيات والأحاديث النبوية؛ لتكون حقوقاً وواجباتٍ راسخةً بعيدة عن الامتهان؛ ولتبين أن الإيمان لا يكتمل إلا بها، كحقوق الله تعالى في المال، وحقوق الأقارب وحقوق الفقراء والمساكين والضيفان والجيران وغيرهم، حيث يقول الله تعالى:﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:177]، ويقول النبي ﷺ:**(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)**[2]، ويقول النبي ﷺ:**(والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قالها ثلاث مرات قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الجار لا يأمن الجار بوائقه، قالوا وما بوائقه؟ قال: شره)**[3].

إن من حق المسلم لاسترداد حقه، أن يحتكم إلى الشرع، ومن يرفض ذلك فليس بمؤمن؛ لارتباط حقوق الناس بالإيمان بالله وبالاحتكام إلى شرعه، قال تعالى:﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [سورة النساء:65].

إن التفريط في حقوق الإنسان وفي الدفاع عنها وفي حمايتها، تفريط يمس حقيقة الإيمان، قال تعالى:﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [سورة الأنعام:116-117][4].

---

(1) انظر مجلة كلية الدعوة الإسلامية، سنة 2005م، 22/52-53.

(2) صحيح البخاري، كتاب الْأَدَبِ، باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، حديث رقم:6018.

(3) مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم:16419، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(4) حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، ص38.

ولما ربط الإسلام حقوق الإنسان بقواعد الإيمان وبالجزاء الأخروي، التي تُلزم الوفاء بهـا اعتقاداً وسلوكاً، فلم يسمح بانتقاصها، فضلاً عن الحيلولة دون الوفاء بها، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة:8]، وهذا الضمان هو ما تفتقده الدساتير الوضعية؛ لغلبة الأهواء والعصبيات عليها، فلا يشعر الشعب بقدسيتها ولا ينقاد طواعية لها[1].

إن ممارسة حقوق الإنسان في الإسلام وتطبيقها والدفاع عنها ورعايتهـا؛ تعتمـد علـى الوازع الديني الموجِّه لتصرفات الناس في جميع الأحوال، والإسلام يجعل رعايـة هـذه الحقـوق واجباً على المجتمع، كما هو واجب على صاحبها، ويتعامل الإسلام مع هذه الحقوق، مـن خـلال الأحكام التي تفضي إلى تفعيلها وتطبيقها؛ ليتمتع الإنسان بها[2]، والإيمان هو الذي يحرسها أيـضا ويضمن تحقيقها[3].

تنوع حقوق الإنسان في الإسلام:-

أولاً: حق الله تعالى:

تنوعت حقوق الإنسان في الإسلام، فشملت حق عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، حيـث يقول سبحانه:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:23]، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَـلٍ قَـالَ: **كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ:(يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُـولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ، يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُـمَّ سَـارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَـى الْعِبَادِ، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُـشْرِكُوا بِـهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ)**[4].

---

(1) انظر التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، ص348-349.

(2) التعايش السلمي في الإسلام، محمد سلطان ذوق الندوي، 2006م، ص28.

(3) حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، ص20.

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرُمَ عَلَـى النَّـارِ، حديث رقم:152.

ثانياً: حق الوالدين والأبناء:

ومن تنوع الحقوق أن شرع الله سبحانه واجب الإحسان إلى الوالدين، وجعله بعد توحيده وعبادته، فقال تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [سورة الإسراء:23]، وقال أيضاً:﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [سورة الإسراء:24]، وشرع حق الطفل في الحب والرعاية والرضاعة، فقال تعالى:﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [سورة الطلاق:6]، وقال سبحانه:﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [سورة البقرة:233]، إضافة إلى حقه في الحياة، فقال ﷻ:﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام:140]، وقال تعالى:﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [سورة الممتحنة:12]، وقال أيضا:﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [سورة الأنعام:151].

ومما أمرنا الله تعالى به، وألزمَنا إياه من حقوق في العبادة، وحقوق للوالدين والأولاد، وحق الحياة، وحق حفظ النفس التي حرم الله إلا بالحق وغيرها، يظهر في قوله تعالى:﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام:151].

ومن تنوع الحقوق أيضا، اشتمالها على حقوق الأفراد والجماعات، وحقوق الوالدين والأقارب والضيفان والجيران، قال تعالى:﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ [سورة النساء:36]، وشملت أيضا حقوق أهل الكتاب وغيرهم، ولم تقتصر على المسلمين فحسب؛ لحفظ حقوقهم من الاعتداء، والإحسان إليهم والعدل بينهم، فقال سبحانه:﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي

﴿الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة:8].

ثالثاً: حق العدل والمساواة:

ومن حقوق الإنسان أيضا المساواة والعدل بينه وبين غيره من الناس، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات:13]، وقال أيضا:﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء:58]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة النساء:135]، **وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِى سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النبي ﷺ فِى غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُتِىَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ اسْتَغْفِرْ لِى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِىُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخْتَطَبَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنِّي والذي نفسي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**[1].

ومن الأدلة التي تحض على احترام حقوق الإنسان، وحفظ عرضه، وعدم أخذه بالتهمة التي لا دليل عليها، قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات:6]، ويظهر حق الإنسان في الاحترام والبعد عن انتقاصه واحتقاره، حفاظاً على كرامته في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ﴾ [سورة الحجرات:11]، ومما يبين حقه في رعاية ماله وحقه في الحياة، قوله ﷺ:**(إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا)**[2].

---

(1) صحيح مسلم، الحدود، باب قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ وَالنَّهْىِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِى الْحُدُودِ، حديث رقم:4506

(2) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حَجَّةِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم، حديث رقم:3009.

رابعاً: حق حفظ كرامة المسلمين:

وقد شرع الإسلام أحكاماً تبين تنوع حقوق الإنسان، منها النهي عن سب المسلم والتنابز بالألقاب، فقال تعالى:﴿**وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾ [سورة الحجرات:11]، ويقول النبي ﷺ:(**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**)[1]، ومنها تحريم الغيبة، فقال سبحانه:﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً**﴾ [سورة الحجرات:12]، وكذلك تحريم ظن السوء بالمسلمين، والتجسس عليهم وكشف عوراتهم،، فقال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾ [سورة الحجرات:12[2].

وعَنْ مُعَاذٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:(يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: أَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[3]، وقد اشتمل هذا الحديث على جميع الحقوق، منها حق الله تعالى، وحق المكلف، وحق الناس، فحق الله تعالى أن يُخشى ويُتقى، وحق الناس أن تكون معاملتهم بأخلاق وقيم رفيعة، وحق الإنسان أن لا يظلم نفسه، ويُتبِع السيئة بالحسنة، ويحرصَ على ما ينفعه ويبتعد عن المعاصي؛ لينال رضى الله وثوابه.

العلاقة بين حقوق الإنسان وحفظ الضرورات الخمس:

ترتبط حقوق الإنسان في الإسلام بالضرورات الخمس، التي جاءت الشرائع والرسالات السماوية بحفظها، وهي الدين والنفس والنسل والعقل والمال؛ لأن مصالح الناس الدنيوية والأخروية، إنما تكون بحفظ مقاصد الشريعة ومنها هذه الضرورات، المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحقوق الإنسان في الإسلام[4]، فشرع الإسلام لحمايتها من الانتهاك حدوداً شرعية، للمحافظة على حقوق الأفراد، وتحقيق العدالة المطلقة التي أوجبها الله على عباده[5].

يجمع الإسلام بين حقوق الإنسان وبين حفظ الضرورات الخمس، ففي حفظ الدين إعطاء لحق التدين والعبادة، وفي حفظ النفس منح لحق الإنسان في الحياة، وفي حفظ النسل تأكيد لحق

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، حديث رقم:48.

(2) التعايش السلمي في الإسلام، ص24.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم:22059، قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(4) انظر المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، ص39.

(5) انظر حقوق الإنسان في الإسلام، تصدير: د.إبراهيم مدكور، شرح: د.عدنان الخطيب، دار طلاس، ط1، 1992م، ص32-34، بتصرف، حرمات لا حقوق، ص33.

الإنسان في التزوج، وحفظ المال يتضمن حق الإنسان في التملك والسعي في الأرض، وممارسة أنواع المعاملات، كالبيع والشراء ونحو ذلك، وحفظ العقل فيه حق الحرية في التفكير والتدبر[1].

حقوق الإنسان في الإسلام، تتميز بأنها حقوق من جانب، وواجبات وضرورات ومسؤوليات مطلوب إنفاذها، والحفاظ عليها والمجاهدة في سبيل تحقيقها من جانب آخر، فحق الحياة ليس حقاً ممنوحاً ومستباحاً، يحق للإنسان التصرف فيه على هواه، بل هو حق يجب على المسلم الحفاظ عليه، لذلك حرّم الإسلام إزهاق الإنسان روحه، فقال سبحانه:﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [سورة النساء:29]، وقال أيضا:﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ﴾ [سورة الإسراء:33]، وحرَّم الاعتداء حتى على الجنين قبل الولادة، فقال تعالى:﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً﴾ [سورة الإسراء:31]، وحرم الانتحار، وجعل من مقاصد الجهاد الدفاعَ عن حق الحياة، ورفع الذل والاستضعاف، واسترداد كرامة الإنسان، وتحقيق حرية الاختيار.

ارتباط حقوق الإنسان بالثواب والعقاب:

إن للعبادة دور مهم في مجال حقوق الإنسان، فمن حقه أن يتعلق بخالقه ويُخْرِج نفسه من العبودية لغير الله تعالى، ويعمل على تزكية نفسه، ورفْعِها عن إيذاء الآخرين، فحقوق الإنسان في الإسلام جزء من العقيدة، وممارستها نوع من العبادة، التي وعد الله من طبقها وأقامها والتزَمَها؛ الجزاء الأوفى والثواب الجزيل، وأوعد من تركها أو استهان بها؛ العقاب والعذاب؛ لأنها واجبات ملزمة؛ لذا يقول النبي ﷺ:**(لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)**[2]، وقال جل شأنه في عقاب من ينتهك حقوق الآخرين ويمتهنها:﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الشورى:42]، فمن استهان أو استخف بحق صلة الرحم –الذي هو نموذج من حقوق الإنسان– أو استهان بحق من حقوق الله تعالى؛ فقد توعده الله بالعذاب والعقاب، قال سبحانه:﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة الرعد:25].

---

(1) انظر المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، ص40.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم:6745.

المطلب الثاني: سمات حقوق الإنسان في الإسلام:-

السمات التي تُمَيِّز حقوق الإنسان في الإسلام كثيرة، ومصدرها مبني على سيادة شرع الله ﷻ وسيادة حكمه، قال الله تعالى:﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [سورة الأنعام:57]، وقال ﷻ:﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنعام:62]، فينظرُ الإسلام للحقوق حسب النظرة الإلهية لهذا المخلوق ومدى ما يصلحه[1]، فمن سمات حقوق الإنسان في الإسلام ما يلي:-

أولا: ربانية المصدر:

حقوق الإنسان في الإسلام ذات مصدر رباني، ومنحة من الله تعالى لعباده، وقد اقتضتها رحمته تعالى بالناس كافة، والله تعالى هو الحق لا يأمر إلا بالحق والعدل، ولا ينهى إلا عن الباطل والظلم، وكل ما أعطاه لخلقه أصبح لهم حقاً لا ينزعه منهم أحد، فهي ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمن بها عليه ويسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قررها الله للإنسان، فهي حقوق متميزة عن مثيلاتها في غير الإسلام، من حيث شمولها للبشر كافة مسلمهم وكافرهم، وهي حقوق كاملة؛ لأنها من رب موصوف بالكمال المطلق، في حين أن مصدر حقوق الإنسان عند غير المسلمين هو العقل البشري، الذي صدرت عنه المذاهب الإنسانية المختلفة، من فردية أو اجتماعية أو غيرها، وهي قاصرة عن الوفاء بسعادة البشر؛ لأنها متأثرة بقصور واضعيها وجهلهم وأهوائهم[2]، فبعدما ذكر القرآن حق الله في إخلاص العبادة له وعدم الإشراك به، وحقوق الوالدين والأولاد، عقَّب بقوله تعالى:﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام:151]، ولما ذكر حق الآباء والأبناء والنساء في أمر الميراث، قال:﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ﴾ [سورة النساء:11]، ولما ذكر شأن الوالدين من برهما ووجوب الإحسان إليهما، وخفض الجناح لهما، قال:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [سورة الإسراء:23]، وغيرها من الآيات كثير، وكل ذلك ليبين أن مصدر الحقوق هو من عند الله، وأنها واجبات ملزمة.

---

(1) مجلة البيان، حقوق الإنسان في المنظور الغربي، علاء الدين صبحي، سنة 16، 2001م، عدد165، ص47.

(2) انظر موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، ص38-39، بتصرف، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، محمد فتحي عثمان، دار الشروق، 1402هـ، ص16، تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي، فرج محمود أبو ليلى، ط1، 1994م، ص23.

إن أداء حقوق الإنسان طاعة لله تعالى، فيحقق المسلم بأدائها انسجاماً مع الغاية من وجوده وفي هذا ضمان لاستمراريتها، كما أنه يضفي عليها النقاء والصفاء، فلا يقصد الإنسان عند أداء حق الإنسان نفعاً مادياً، فهي بذلك تبعد عن الأنانية[1].

مصدر الحقوق هو الشريعة الإسلامية، قال تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد:25][2]؛ لأن الشريعة الإسلامية بحكم كونها تشريعاً سماوياً، فإنها تنظر إلى الحقوق نظرة واقعية منسجمة مع الفطرة البشرية، أساسها أن الإنسان باعتباره عبداً مخلوقاً لله جل شأنه، فإنه لا يملك حقاً من الحقوق، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يمنحه بعض الحقوق نعمة منه وفضلاً؛ لتكريمه وتفضيله على معظم المخلوقات، وعلى هذا فالحق في الشريعة الإسلامية هو منحة يمنحها الخالق جل وعلا للأفراد، وفق ما يقضي به صالح الجماعة، ومن ثم فقد قيدت الشريعة استعمال الأفراد لحقوقهم بمراعاة مصلحة الغير، وعدم الإضرار بالجماعة، فليس للأفراد مطلق الحرية[3].

حقوق الإنسان في الإسلام متعلقة بالأوامر والنواهي الإلهية، التي جاء بها الوحي من الله تعالى، والثابتة في الكتاب والسنة، وإقامة تلك الحقوق في واقع الحياة، وفي الممارسات، يتم عن طريق التزام الفرد المسلم بها؛ بدافع الإيمان بالله، والذي يفرض على المسلم الانصياع لأوامر ربه تعالى ورسوله ﷺ حتى لو خالفت مصلحته الفردية ورغباته، كما تقام تلك الحقوق عن طريق السلطان الإسلامي، الذي أناط به الإسلام إقامة العدل بين الناس، ومنع الظلم، وإيصال الحقوق إلى أهلها، ورعاية شؤون الرعية، ولا يعتمد في نيل الحقوق بالقوة والسيادة البشرية[4].

ثانيا: الثبات:

حقوق الإنسان في الإسلام حقوق أصيلة أبدية ثابتة؛ لا تقبل الإلغاء ولا التبديل ولا التغيير، فلا تتغير بتغير الزمان وتَبَدُّل الظروف والأحوال؛ لأنها جزء من الدين؛ ولأنها فرض من رب العالمين، ومرجعيتها وهو الوحي، فلا أهواء ولا تعديلات تتبعها، بينما وثائق البشر عرضة للنقض والتعديل في كل وقت وحين[5]؛ لأن الحقيقة فيها نسبية وليست مطلقة[6].

---

(1) انظر موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، ص40، النظام السياسي الإسلامي، د.منير حميد البياتي، دار البشير، ط2، 1994م، ص111-112.

(2) انظر مجلة دعوة الحق، السنة السادسة، 1987م، 13/62، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، ص16.

(3) انظر الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، ص17.

(4) حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص14.

(5) انظر حرمات لا حقوق، د.علي جريشة، دار الاعتصام، 1986م، ص71، بتصرف.

(6) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، ط2005م، ص41، بتصرف.

حقوق الإنسان في الإسلام ثابتة لا تتغير؛ مما يجعل النفوس مطمئنة إلى حقوقها المضمونة الثابتة، وهذا الثبات لا يعني الجمود؛ بل يسمح بالتطور، مواكبةً لكل ما هو لازم من تطورات الحياة، فقد أضفى الله تعالى عليها ضماناً ربانياً، فقال جل ذِكْره:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر:9]، وقال أيضا:﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [سورة فاطر:43][1].

حقوق الإنسان في الإسلام لا تتأثر بتغير الزمان والمكان، فالإنسان له حقوق تستمر الحياة بها حين المحافظة عليها، وتنتكس بانتهاكها والاستخفاف بها[2]، فهي منسحبة على غير المسلمين المسالمين، وليس المحاربين، بطريق التبع[3].

ثالثا: الانسجام والتكامل:

حقوق الإنسان في الإسلام متكاملة ومنسجمة مع الفطرة البشرية، فالإسلام لم يترك الحقوق مجردة، بل جعلها في إطار الأحكام والمقاصد الشرعية، وقَرَنها بآداب وأخلاق شرعية أيضا، وجعل الإخلال بتلك الآداب إخلالاً بهذه الحقوق، وربَطها بالدين معتبراً مصدرها إلهياً، فكان بناء الحقوق في الإسلام بناءً متكاملاً منسجماً مع طبيعة هذا الدين[4]، ومنسجماً مع الفطرة الإنسانية، حيث حدد الحقوق بأوامره ونواهيه الشرعية، وحدد الضمانات التي يتم بها تأكيد تلك الحقوق وبيَّن الأداة التي تقام بها[5].

إن اهتمام المسلمين بحقوق الإنسان؛ ليس في مدى تطبيقهم لحقوق الإنسان الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بل بمدى تطبيقهم للحقوق وأدائهم للواجبات الواردة في الشرع الإسلامي الحنيف، ففي شرعنا الكفاية والتمام والتأصيل والضمان لحقوق الإنسان، ولسنا بحاجة للأخذ من هنا أو هناك، فالإسلام راعى حقوق الإنسان وواجباته كاملة، وساوى بين الناس في الحقوق مسلمهم وكافرهم إن لم يكن محاربا، فإن كان محارباً أهدرت حقوقه وأمواله؛ بسبب أذاه، ولكن الغرب ينادي بحقوق من يحارب الإسلام، دون النظر لواجباته تجاه بني الإنسان،

---

(1) انظر التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، إعداد: سور حمن هدايات، إشراف: أ.د. محمد الرحمن مندور، دار السلام، ط،201م، ص349.

(2) انظر مجلة كلية الدعوة الإسلامية، سنة 2005م، عدد22، ص55.

(3) الإسلام وحقوق الإنسان، د.محمد خضر، 1977م، ص8 .

(4) مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص25.

(5) حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص14.

فيحارب الإسلام والمسلمين قتلاً وتدميراً وإيذاءً باسم حقوق الإنسان، ويريد أن يسوي بين الضحية والجلاد في الحقوق، وهو أمر مخالف للفطرة والعقل والدين.

رابعا: الأسبقية:

حقوق الإنسان في الإسلام سابقة لغيرها من الحقوق عند الغرب، فقد شهد التاريخ للإسلام بسبقه وتفوقه في مجال حقوق الإنسان[1]، فلم تتحقق بعد صراعات فكرية، أو ثورات ومطالبات -كما في تاريخ حقوق الإنسان في النظم الديمقراطية في فرنسا وبريطانيا وغيرها- بل استقرت مبادئها وأحكامها وحياً من الله ﷻ، دون سابق حديث عنها أو تطلع إليها، أو كفاح في سبيلها، فقد أقَرَّ الإسلام هذه الحقوق قبل كل التشريعات الحديثة، واعتبر هذه الحقوق أصيلة ومنحة إلهية، لا يحق لأحد الاعتداء عليها أو تعطيلها، أو التنازل عنها[2].

خامسا: الواقعية:

حقوق الإنسان في الإسلام حقوق واقعية تتسم بالوسطية والاعتدال؛ لأنها ترتبط بالحياة وتناسب حاجة الإنسان، وتراعي واقع الحياة التي يعيش فيها الإنسان، وتتصف بالوضوح، ومعالمها محددة، والوصول إليها معروف، والضمانات التي تحول دون تعطيلها بينة، بخلاف الحقوق في القوانين الوضعية، أو الحقوق الفلسفية المثالية التي تحلق في عالم الخيال بعيداً عن الواقع؛ لأنها لم تلب حاجات البشرية ولم تسعدها[3]، فمن واقعية الحقوق في الإسلام أنه لما شرع حق الإنسان في التملك؛ حرَّم عليه الاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل والتعامل بالربا، فقد راعى الإسلام حق المالك وحق الناس.

سادسا: حقوق إنسانية شمولية:

حقوق الإنسان في الإسلام هي حقوق إنسانية عامة، فهي ليست حقوقاً لشعب دون شعب ولا لأمة دون أمة، ولا لعرق دون عرق، ولا لدين دون دين، وإنما هي شاملة لجميع الجنس البشري على اختلاف الألوان واللغات والأديان، ولكن للمسلمين على غيرهم بعض الامتيازات، كقول النبي ﷺ:**(وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ)**[4]، وهي إنسانية؛ لأنها توفق بين مصلحة الفرد

---

(1) انظر مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص48، وثائق حقوق الإنسان في الثقافة الإسلامية، ص13، بتصرف.

(2) حقوق الإنسان في الإسلام:http://otman70.jeeran.com/archive/2009/2/813483.html، بتصرف.

(3) انظر موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، ص41، بتصرف.

(4) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم:111.

والجماعة، فلا مجال لبروز الفردية وهيمنتها على مصلحة الجماعة، وهي إنسانية؛ لأنها تتصف بالحياد، فهي للضعيف والقوي، والمرأة والرجل، والصغير والكبير والغني والفقير؛ ولأنها لا تستغل كوسيلة ضغط لابتزاز سياسي أو اقتصادي[1].

إن حقوق الإنسان في الإسلام شاملة للجنس الإنساني كله، لا ترتبط بجنس الفرد أو عنصره، وهي حقوق شاملة لجميع الحقوق الاجتماعية والمالية والسياسية والشخصية وغيرها؛ لأن الإسلام لم يدع مجالاً من مجالات الحياة إلا وبيَّن ما يجب للإنسان فيه من حقوق، سواء المسلم أو الذمي، وسواء حقوق الوالدين والأولاد أو حقوق الجيران، والمسافرين والمقاتلين والأسرى، والنساء، والصغار والكبار، والأحياء والأموات وغيرهم[2].

كما أن هذه الحقوق عامة لكل الأفراد الخاضعين للنظام الإسلامي دون تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة[3]، فحينما يختار الإنسان عقيدة معينة بإرادته، ويمارس تصرفاته وفقها، فإنه يحدد لنفسه بذلك حقوقاً وواجبات معينة في المجتمع الإسلامي[4]، وهي حقوق أعمق وأشمل من حقوق الإنسان في القوانين الوضعية؛ لأن مصدرها شامل وتام.

تكتسب حقوق الإنسان في الإسلام بعداً إنسانياً يرتقي فوق الفوارق التي يصنعها البشر، وتكتسب صفة القداسة باعتبارها عطاءً إلهياً، والمساس بها أو انتهاكها يعتبر انتهاكاً للدين ومساساً به، مما يؤكد سبق الإسلام كلَّ تصور بشري، ولقد جاءت السنة المطهرة لتعضِّدَ الاتجاه الفطري لحقوق الإنسان وتؤكد على قداستها[5]، فعن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق، فقال:**(يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلَّغتُ؟ قالوا: بلَّغ رسول الله ﷺ ثم قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، ثم قال: أي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: أي بلد هذا؟ قالوا بلد حرام، قال: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم، قال: ولا أدري قال أو أعراضكم أم لا، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في**

---

(1) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، 1/40-41، بتصرف.

(2) المرجع نفسه، ص41، بتصرف.

(3) النظام السياسي الإسلامي، ص113.

(4) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص13، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، د. محمد أحمد مفتي، د. سامي صالح الوكيل، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر، ط1، 1410هـ، ص37.

(5) مجلة كلية الدعوة الإسلامية، سنة 2005م، 53/22.

بلدكم هذا، أبلَّغتُ؟ قالوا: بلَّغَ رسول الله ﷺ قال: ليبلغ الشاهد الغائب)[1]، وعَــنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال:(**أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَــا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[2].

حقوق الإنسان في الإسلام تعم البشر عامة فلا تخص المسلمين فقط؛ لذا **فعَنِ ابْنِ أَبِــى لَيْلَى أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَقَالاَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ إِنَّهُ يَهُودِىٌّ، فَقَــالَ:(أَلَيْــسَتْ نَفْسًا)**[3].

ومما يبين شمول حقوق الإنسان في الإسلام، ارتباطها ارتباطاً وثيقاً بجوانــب متعــددة، كالعقيدة والعبادات والمعاملات والعلاقات الاجتماعية ونحوها، قال الله تعالى:﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ [سورة الإسراء:23]، وقال أيضا:﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ [سورة النساء:36].

وإذا كانت المواثيق البشرية قد ضُمِّنَت بعض الحقوق للإنسان، فإن الإسلام قــد شــمل جميع أنواع الحقوق التي تفضل الله بها على خلقه[4].

سابعا: حقوق فطرية:

حقوق أخلاقية فطرية، فلا حق لإنسان أن يتصرف بماله أو وقته أو جسده كيفما يــشاء، حتى لو لم يلحق الضرر بالآخرين، فلا حقَّ فيها لمن يريد زواج المثل، وكــون هــذه الحقــوق فطرية وأخلاقية، فهي سبيل لتحقيق الكرامة الإنسانية؛ لأنه لا كرامة للإنسان في ظل التخلي عن الفطرة الصحيحة والأخلاق القويمة، ولو أقرت ذلك قوانين حقوق الإنسان المعاصــرة[5]، فمــن اتصاف الحقوق في الإسلام بعدم التصادم مع الفطرة، تشريعه للزواج، ومنعه للإباحية وتحــريم الشذوذ والانحراف.

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم:23536، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(2) سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب فِى تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا اخْتَلَفُوا بِالتِّجَارَاتِ، حديث رقــم:3054، قــال الألباني: حديث صحيح.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الْقِيَامِ لِلْجَنَازَةِ، حديث رقم:2269، انظر مجلة كلية الــدعوة الإســلامية،، سنة 2005م، 54/22.

(4) حقوق الإنسان في الإسلام: http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/4.HTM .

(5) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، 42/1، بتصرف.

ثامنا: حقوق لا تتصادم مع حقوق المخلوقات الأخرى:

حقوق الإنسان منسجمة مع حقوق المخلوقات الأخرى، ومع مظاهر البيئة، فلا ظلم ولا إفساد ولا تخريب في الأرض؛ بدعوى أن للإنسان حق التمتع كيفما يشاء، فحقوق الإنسان في الإسلام هي وحدها الكفيلة بتحقيق التناغم والانسجام الكوني بين الإنسان وأجزاء الكون؛ ليتحقق استخلاف الإنسان كما أراد الله تعالى[1]، فقد كره الإسلام أن تحبس الطيور من غير حاجة، بل نهى عن إيذاء الحيوانات أو قتلها، وقطع الأشجار عبثاً أو ضرراً، فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً)**[2]، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:**(لَعَنَ اللَّهُ مَنْ مَثَّلَ بِالْحَيَوَانِ)**[3].

تاسعا: محاطة بضمانات لحمايتها:

حقوق الإنسان في الإسلام فريضة تتمتع بضمانات جزائية؛ لحمايتها والمحافظة عليها، وليست مجرد توصيات أو أحكام أدبية، فللسلطة العامة في الإسلام حق الإجبار على تنفيذ هذه الفريضة، خلافاً لمفهوم هذه الحقوق في المواثيق الدولية، التي تعتبرها حقاً شخصياً، مما لا يمكن الإجبار عليه إذا تنازل عنه صاحبه[4].

وهي حقوق مكفول إيصالها لأصحابها، مضمون تحقيقها على أرض الواقع؛ لدخولها في إطار الشريعة وارتباطها بالعقيدة؛ ولكفالة السلطان المسلم تفعيلها وإلزام الجميع بها، فقد جمع تحقيقها في الواقع بين الطاعة الاختيارية للأفراد، وإلزام السلطان لمن لا يريد الالتزام بها، وقد جمعت بين الراعي والرعية على احترامها[5].

إن حقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من ملك أو حاكم، بل هي حقوق مُلزِمة بحكم مصدرها الإلهي، لا يُسمح بالاعتداء عليها، ولا يجوز التنازل عنها[6]، فارتباط الحقوق بالشرع يزيد من ضمانها وتوثيقها وتأكيدها، فهي مقررة من قِبَل الله تعالى، وحمايتها واجبة على المؤمنين.

---

(1) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام ، 42/1.

(2) سنن النسائي، كتاب الضحايا، باب النهي عن المجثمة، حديث رقم:4455، قال الألباني: حديث صحيح.

(3) المصدر نفسه، كتاب الضحايا، باب النهي عن المجثمة، حديث رقم:4454، قال الألباني: حديث صحيح.

(4) حقوق الإنسان في الإسلام: http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/4.HTM .

(5) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، 42/1، بتصرف.

(6) انظر مجلة دعوة الحق، المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان، د. محمد صادق عفيفي، السنة السادسة، 1987م، 226/62، الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق، د.محمد عمارة، عالم المعرفة، 1985م، ص15.

ولقد اهتم الإسلام بأداء الواجبات قبل منح الحقوق والحريات؛ لأن النهوض بهذه الواجبات يعد ضماناً لتحقيق وصيانة هذه الحقوق والحريات، أن يُعْتَدَى عليها أو تُهدرَ أو يُساءَ استعمالها[1].

إن الحقوق في الإسلام مُسَلَّمةٌ تبلغ درجة الحرمات، وتدعمها الواجبات، وتحميها الحدود والعقوبات، فالدماء مثلاً يحميها القصاص، والأعراض يحميها حد القذف وحد الزنا، والأموال يحميها حد السرقة وحد الحرابة، وباقي الحدود يعزر فيها القاضي أو الإمام حسب ما يراه[2].

المطلب الثالث: منزلة حقوق الإنسان في المنظور الإسلامي:-

تظهر أهمية حقوق الإنسان في الإسلام ومكانتها من خلال ارتباطها بما يلي:-

أولا: ارتباط حقوق الإنسان بالغاية من وجوده:

لقد خلق الله الكون والجن والإنس لغاية واحدة، وهي توحيده تعالى وعبادته وطاعته، قال تعالى:﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [سورة الذاريات:56]، وقد ارتبطت كرامة الإنسان وحقوقه بهذه الغاية، فهو مخلوق لغاية نبيلة وعظيمة، لذا جعل الإسلام له حقوقاً تعينه عليها، وتسهل له مهمته لإدراكها والقيام بها، فارتبطت حقوق الإنسان به منذ خلقه، وأولها حرية الإرادة والاختيار، فكانت هذه الحقوق على علاقة وثيقة بالمهمة العظمى التي خلق الله من أجلها الإنسان[3].

ثانيا: ارتباط حقوق الإنسان بمصلحته الشرعية:

لقد نص الإسلام على الحقوق وحمايتها لتحقيق المصالح، فلا حكم شرعي إلا ويراد به جلب منفعة للإنسان أو دفع مفسدة عنه، بالإضافة إلى الغاية الأساس من تشريع كل حكم وهي الابتلاء والاختبار، وأعظم ما في الإسلام توحيده سبحانه؛ الذي اقتضى إقامة العدل في الأرض، بإيصال الحقوق إلى مستحقيها، فكان العدل قيمة عظيمة من قيم الإسلام، ومبدأ أساسياً من مبادئه، قال تعالى:﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾ [سورة النساء:58]، وقال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ**﴾ [سورة النساء:153]، وقال تعالى:﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى**﴾

---

(1) دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، د. فتحي الدريني، دار قتيبة، 1988م، 89/1، بتصرف.

(2) انظر حرمات لا حقوق، ص39-41.

(3) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، 20/1.

[سورة النحل:90]، ولئن كان العدل -وهو إيفاء الحقوق لأصحابها- أعظم قيم الإسلام بعد التوحيد، فإن الظلم -وهو منع الحقوق عن أصحابها أو الاعتداء عليها- من أسوأ الأفعال بعد الشرك، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:**(اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[1].

ثالثا: ارتباط حقوق الإنسان بعفو صاحبها:

حقوق الإنسان لا تؤتي ثمارها حتى تُؤَدَّى لأصحابها، بغض النظر عن دينهم وجنسهم ولونهم، وهي حقوق لا تَسقُطُ ما لم تُرَدُّ المظالمُ لأصحابها، كما أنها لا تُغفَر إلا بعفو وصفح صاحبها[2].

ومما يدل على أهمية حقوق الإنسان في الإسلام، أن الحقوق المشتركة بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده، كحد القذف والقصاص، لابد فيها من العفو أو الاستيفاء، ولجلالة قدر حقوق الإنسان وعظيم شأنها، جاءت النصوص تحذر الولاة -بما لهم من سلطة على الرعية، ولما لهم من امتيازات الطاعة والخضوع، ولما عليهم من مسؤولية إقامة العدل بين الناس- من ظلم الرعية[3]، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**(ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً يفكه العدل أو يوبقه الجور)**[4]، ويقول ﷺ:**(مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ)**[5].

لذلك حذر الإسلام من منع الحقوق عن ذويها أو مطلهم إياها، فإن ذلك يقضي على حوافز الخير فيهم، وينمي جانب الحقد والشر، فللمظلوم نفسية تحول دون إخلاصه وعطائه، والشعور بالمرارة والإجحاف لا يمنع الخير وحسب، بل يؤدي إلى الشر، ذلك أن الدوافع النفسية دور كبير في حياة الإنسان، يفوق في كثير من الأحيان دور الدوافع الحيوية، كالجوع والعطش والحاجة إلى الهواء، فشعور الفرد باستيفائه كامل حقوقه؛ يطلق طاقاته وإمكاناته للإبداع والإنجاز، واستغلال إمكانات الإنسان استغلالاً أمثل لا يمكن أن يتم في إطار الظلم، وعلاقة

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم:6741.

(2) انظر موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، 21/1.

(3) انظر المرجع نفسه، ص24، بتصرف.

(4) مسند أبي يعلى الموصلي، حديث رقم:6614، قال الألباني: صحيح.

(5) صحيح البخاري، كِتَاب الْأَحْكَامِ، بَاب مَنْ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَنْصَحْ، حديث رقم:7150.

حقوق الإنسان بأمن المجتمع علاقةَ تعانقٍ وترابط، فإذا احتُرِمت الحقوق الإنسانية تَحَقَّقَ الأمن، وإذا أُهدِرت ضاع الأمن[1].

رابعا: ارتباط حقوق الإنسان بالمسؤولية:

لقد حمى الإسلام الحق لصاحبه من الاعتداء، بالمسؤولية أمام الله، والمسؤولية المدنية أمام المجتمع، ومن ذلك: تقرير حق التقاضي، وحفظ الحق لصاحبه، وعدم الاعتداء عليه، ومعاقبة المعتدي، فإن لصاحب الحق استيفاءَ حقِّه بكل الوسائل المشروعة، وذلك بأخذه من المكلف به باختياره ورضاه، فإن امتنع من تسليمه، يباح له أخذه عنوةً -ديانة لا قضاء- إن لم يترتب على أخذه فتنة أو ضرر[2].

تقوم أيضا حقوق الإنسان في الإسلام على مبدأ التقوى، ومن ثم تكون ممارستها عبادة وخلقاً وأداءً للتكليف المبني على المسؤولية، فأساس ممارسة الحقوق وتطبيقها ورعايتها، هو الامتثال والطاعة لله تعالى في التكاليف، والوفاء بالأمانة التي حملها الإنسان[3].

خامسا: ارتباط حقوق الإنسان بمبدأ العدل والإحسان:

ترتبط حقوق الإنسان بمبدأ العدل، فيقول الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِّ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [سورة المائدة:8][4]، وتنطلق من مقام الإحسان؛ فالحقوق في الإسلام تنبع من المقام الذي يكون فيه العبد تحت مخافة الله ﷻ، وهو المقام الذي قال عنه النبي ﷺ:**(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[5]، ويجاوز المسلمون الالتزام بالحق إلى مرتبة الإيثار والإحسان، قال الله تعالى:﴿**وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سورة التغابن:14]، وقال أيضا:﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [سورة الحشر:9][6].

---

(1) انظر موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، 26/1.

(2) المرجع نفسه، ص26-27، بتصرف.

(3) التعايش السلمي في الإسلام، ص28.

(4) المرجع نفسه، ص7.

(5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب مَعْرِفَةِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالْقَدَرِ وَعَلاَمَةِ السَّاعَةِ، حديث رقم:102.

(6) حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، ص26.

نماذج من حقوق الإنسان في الإسلام:-

أولاً: حق الكرامة:

لقد ضَمِنَ الإسلام حفظ كرامة الإنسان، ذلك الحق الذي هو من أهم الحقــوق، وترتكــز عليه جميع الحقوق والحريات، وقد جعله القرآن الكريم حقاً لصيقاً بكل شخص لا بد من تمتعــه به، بقوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [سورة الإسراء:70]، ولقد نعى القرآن الكريم على أقوام يرتضون لأنفسهم التمتع بحق الحياة دون حق التكريم، فقال تعالى واصفاً اليهود وحرصهم علــى الحياة مع الذل:﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**﴾ [سورة البقرة:96]، فحق التكــريم حــق يُرَتِّبُ التزاماً إيجابياً، مظهره القيام بأفعال يظهر فيها إعزاز الفرد واحترامه، وإزالة كل ما مــن شأنه إذلالُه وإهانتُه[1]، فلا يجوز لأحد انتهاك حرمة الإنسان بأي طريقة كانت، مهما كان عرقــه ولونه وجنسه وجاهه ومواهبه وثراؤه، فقد خلقه الله من أصل واحد، قــال الله تعــالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [سورة النساء:1]؛ وحرصاً على حفظ كرامة الإنسان، فقد حث الإسلام على ستر العورات والعيوب، والذب عن أعراض الناس[2]؛ لذلك قــال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سورة الحجرات:12]، وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَــانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[3].

ثانياً: حق الحياة:

لقد ضمن الإسلام للإنسان حقوقه الأساسية، وأول هذه الحقوق حق الحياة، وهو أن يتمتع الإنسان بالأمان والاطمئنان على حياته واحترامها وصيانتها وعدم الاعتداء عليها، وهو من أهــم الحقوق الطبيعية الإنسانية، وهو منحة ربانية لكل نفس بشرية، ينبغي أن يصونها الفرد والمجتمع والدولة، وهو حق مكفول في جميع الشرائع السماوية ثم القوانين الوضعية، وما ذُكِــرَت قــصة ابني آدم إلا للاعتبار والتذكير بحرمة قتل النفس بغير حق، وضرورة احترام النفس الإنــسانية،

---

(1) النظام السياسي الإسلامي، ص121-115.

(2) انظر التعايش السلمي في الإسلام، ص22.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم:27576، قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

وإن لكل نفس حقا في الحياة، بل إن منع القتل هو مسؤولية الجميع أفرادا أو جماعات[1]، ولقد منع الإسلام إتلاف الجسد؛ لأن حق الحياة هو المقصد الأول الذي ترتد إليه سائر المقاصد الأساسية، بعد المحافظة على الدين؛ فإزهاق النفس عمداً وعدواناً -في الإسلام- جريمة عظمى في حق الإنسانية، قال تعالى:﴿**مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ [سورة المائدة:32]، وقال النَّبِيِّ ﷺ:(**مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**)[2]، فيجب استئصال هذه الجريمة من المجتمع المسلم؛ لأن حفظ الحياة حق وواجب معا، فحياة الإنسان ملكا لباريها، والإنسان لا يملك إسقاط حقه في الحياة بإتلاف نفسه، أو إتلاف عضو من أعضاء جسمه دون مقصد شرعي[3]؛ لذا يقول الشاطبي:"ونفس المكلَّف داخلة في حق الله تعالى إذ ليس له التسلُّطُ على نفسه ولا على عضو من أعضائه بالإتلاف"[4].

ثالثاً: حق الملكية:

حق الملكية من أبرز الحقوق التي منحها الله تعالى للإنسان، على ما مَلَّكَه إياه من متاع الحياة الدنيا، وخوَّله حق التصرف فيما يملكه، ووضع له الحماية اللازمة لصيانته من وقوع التعدي عليه، فملكية الله سبحانه هي ملكية ذاتية تصدر عنه؛ لأنه الموجد والخالق والرازق، وهي ملكية تامة مطلقة لا يُسأل عن تصرفه فيها، وملكية الإنسان ليست ذاتية وإنما هي اكتسابية، وهذا الاكتساب لا يتم إلا بتقدير من الله سبحانه الذي يسر له هذا التمليك، وهذا التمليك ليس تمليكاً مطلقاً، وإنما محدوداً ومقيداً بما يسَّره الله له[5]، فموقف الإسلام من هذا الحق ليس موقف الحارس فحسب، بل موقف المعترف والحامي من جهة، والمقَيِّدُ والمُنظم من جهة ثانية، فقيد الإسلام الملكية بأن تنشأ عن سبب شرعي، كالبيع والهبة والوصية والميراث وغير ذلك،

---

(1) انظر التعايش السلمي في الإسلام ، ص22، حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، أسامة الألفي، ص15.

(2) صحيح البخاري، كِتَاب الطِّبِّ، بَاب شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالْخَبِيثِ، حديث رقم:5778.

(3) انظر دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، 1/93-95، مجلة دعوة الحق، الحريات والحقوق في الإسلام، محمد رجاء حنفي عبد المتجلي، السنة السادسة، عدد69، 1987م، ص15-18.

(4) الموافقات في أصول الأحكام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، دار الفكر، 224/2.

(5) انظر التعايش السلمي في الإسلام، ص22.

وقيدها أيضا بالاعتدال في الإنفاق دون إسراف أو تقييد، قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾ [سورة الفرقان:67][1].

لقد حمى الإسلام حق الملكية، واعتبر من قُتِل دفاعا عن حقه ومِلكه شهيدا، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:**(مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)**[2].

(1) انظر النظام السياسي الإسلامي، ص114-115.

(2) حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، أسامة الألفى، ص35، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، بَاب مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ، حديث رقم: 2480.

المبحث الثاني

حقوق الإنسان في المذاهب الفكرية المعاصرة.

المطلب الأول: التفسير الغربي لحقوق الإنسان:-

لم تظهر الدعوة لحقوق الإنسان بشكل رسمي عند الغرب إلا في القرن الثالث عشر الميلادي؛ نتيجة ثورات طبقية وشعبية في أوروبا[1]، ثم في القرن الثامن عشر في أمريكا لمقاومة التمييز الطبقي، أو التسلط السياسي، أو الظلم الاجتماعي[2].

تعريف حقوق الإنسان عند الغرب:

عرَّف لويس هنكلين حقوق الإنسان عند الغرب بقوله:"حقوق الإنسان هي تلك الحريات والحصانات والمزايا التي -طبقاً للقيم المعاصرة المتفق عليها- يستطيع كل فرد أن يطالب بها كحق من المجتمع الذي يعيش فيه"[3].

وقد عَرَّفها رجل القانون النيجيري يوموزوركي في الرؤية الغربية بأنها:"مطالب تساندها الأخلاقيات، ويجب أن يساندها القانون تجاه المجتمع، وخاصة تجاه الحكام الرسميين من جانب الأفراد أو الجماعات، على أساس إنسانيتهم، وهي تطبق بغض النظر عن الجنس أو اللون أو النوع، أو أي خصائص أخرى، ولا يمكن الرجوع فيها أو إنكارها من جانب الحكومات أو الناس أو الأفراد"[4].

تصور الغرب لحقوق الإنسان:

من خلال دراستنا لتصور الغرب لحقوق الإنسان، تبين أنها تقوم على عدة أسس، منها ما يلي:

أولا: أساس نظرية الحقوق الطبيعية:

تقوم حقوق الإنسان عند الغرب على أساس نظرية الحقوق الطبيعية[5]، المستمدة من ذات الإنسان باعتباره إنساناً، وكونه يتمتع بها منذ نشأته الأولى، فليس القانون عند الغرب هو أساس الحق، بل الحق هو أساس القانون، والفرد هو محور القانون وغايته[6].

---

(1) انظر العلمانية، ص176.

(2) حقوق الإنسان في الإسلام: http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/5.htm .

(3) مجلة مجمع الفقه الإسلامي: http://sh.rewayat2.com/fkh_3am/Web/2971/076.htm .

(4) المرجع نفسه.

(5) الحقوق الطبيعية هي الأصول الطبيعية السائدة على الناس بمقتضى فطرتهم، قبل سيادة أي قانون عليهم. دائرة معارف القرن العشرين، 217/6.

(6) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، د. فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ط2، 1977م، ص40.

ويرى الفكر الغربي أن الحقوق الطبيعية تنبع من السيادة المطلقة للإنسان، التي لا تعلوها سيادة، ينالها مهما كان مرتكباً للسوء، طافحاً بالإثم والرذيلة، كما يربط الفكر الغربي بين حقوق الإنسان، وبين سيادته وحريته الفردية؛ مما يؤدي إلى قيام نظام ديمقراطي مستمد من نظرية العقد الاجتماعي(1)، المؤكدة على أسبقية الحقوق الفردية للوجود السياسي، وينتج أيضاً مبدأ الحرية الاقتصادية، الذي يقوم عليه التنظيم الاقتصادي للمجتمع، بغض النظر عن الجوانب الأخلاقية أو الدينية المتعلقة بذلك(2).

ثانيا: أساس مبدأ النسبية:

تعتمد حقوق الإنسان عند الغرب على مبدأ النسبية(3)، الذي يرفض الاعتقاد بثبات القيم والأخلاق والعقائد الدينية؛ فما كان بالأمس عملاً تُدينُه التقاليد وترفضه الأعراف، وتحاربه القوانين السائدة، قد يتحول في العالم الغربي في زمن ما إلى عمل مشروع، ويُصبح حقاً من حقوق الإنسان التي يوفِّرُ لها الغربُ المشروعية والحماية الدولية -كالشذوذ الجنسي مثلاً- وما يصدر ضده من قوانين هي بمثابة انتهاك لحقوق الإنسان(4)، فالمعيار الذي تتحدد على أساسه حقوق الإنسان عند الغرب معيار نسبي، قابل للتغيير بحسب الزمان والمكان والمجتمعات، وبحسب اختلاف موروثات المجتمعات الدينية والثقافية، وقابل للجدل والمناقشة والإقرار أو الإنكار، بحسب اختلاف ظروف المجتمع(5)؛ لذا تقول المادة الثامنة عشر من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: إن لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر بالممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة(6).

---

(1) هو اتفاق يَفترِض تخلي الناس عن حالة الفوضى؛ لتكوين المجتمع الذي يعيشون فيه، والسلطة الشرعية الوحيدة ناشئة عن اتفاق بين الفرقاء في المجتمع، والشعب ليس مصدر السلطة وحسب، بل هو الذي يمارسها؛ فتصبح الطاعة للقوانين المتفق عليها في هذا العقد، انظر موسوعة السياسة، 2/128-129.

(2) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص12، موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، خديجة النبراوي، ص4، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، ص26-28.

(3) مذهب يرى أن المعارف والقيم الإنسانية ليست مطلقة، بل تختلف باختلاف الظروف والأحوال. انظر المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص180، المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 2/465.

(4) مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص72، بتصرف.

(5) حقوق الإنسان في الإسلام، د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 1419هـ، ص18.

(6) مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص58.

ثالثا: نظريات وضعها البشر:

إن حقوق الإنسان عند الغرب -كما يزعم مفكروه- مستمدة من العقل الإنساني، ومن الطبيعة[1]، ومن مبادئ العدالة الموجودة في الضمير الإنساني، وما نتج عنها من حرية فردية، كما هي مستمدة من نظرية العقد الاجتماعي، وفق المبدأ العلماني السائد في الحياة الغربية، منذ القرن السابع عشر الميلادي، والذي عمل على استبعاد فكرة وجود قوانين إلهية واضعة لحقوق الإنسان.

يعتمد تفسير حقوق الإنسان عند الغرب على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي تبنته الأمم المتحدة -وهو وثيقة غربية متحيزة- استجابة لرغبات وشهوات الإنسان الغربي، الناظر للإنسان على أنه مخلوق نفعي، ينزل منزلة تجعله أكثر قرباً من الحيوانية، التي أدانها الله تعالى في قوله:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [سورة محمد:12]، وهي وثيقة مناقضة للإسلام الذي ينظر إلى الإنسان بأنه مخلوق مكرم مسئول، ومكلف بإعمار الأرض بالإيمان والعمل الصالح، والدفاع عن الحق[2].

مناقشة التفسير الغربي لحقوق الإنسان:

إن أساس حقوق الإنسان عند الغرب هو صراع الجميع ضد الجميع، وممارستها تعتمد على الصراع بين الحقوق نفسها أيضا، فحقوق المرأة مثلاً؛ لم تتأسس ولم تتحقق إلا عبر صراعها مع الرجل، وهكذا[3]، بخلاف أساسها في الإسلام، فهي نابعة من الشرع، لا صراع فيها بين الأفراد، وأساسها الإيمان بالله تعالى، الذي يفرض على المسلم الالتزام بأوامر الله تعالى.

ويظهر أن أساس حقوق الإنسان عند الغرب هو أساس مادي علماني، ساد الفكر الأوروبي منذ مطلع السابع عشر، لم يُولِ جوهر الإنسان قيمته المطلوبة، ولما كانت العلمانية والحق الطبيعي مرجعاً أساسياً لقياس الحقوق والواجبات في المجتمع، لم يعد للدِّين مجال يذكر في الظواهر المتعلقة بالتنظيم الاجتماعي والسياسي؛ مما أدى إلى أن صارت المواثيق الدولية

(1) انظر حقوق الإنسان والسياسة الدولية، دافيد ب. فورسايث، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، الجمعية المصرية، 1993م، ص209.

(2) انظر مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص71-72.

(3) مجلة مجمع الفقه الإسلامي: http://sh.rewayat2.com/fkh_3am/Web/2971/076.htm .

تجعل الإنسان مصدراً للحقوق في المجتمع، كامتــدادٍ للحقــوق الطبيعيــة والقــانون الطبيعــي الوضعي، الذي جعل الإنسان غاية في حد ذاته[1].

إن ارتباط حقوق الإنسان عند الغرب بالطبيعة؛ يجعلها خاضعة لاعتبارات ذاتية تــرتبط بمصلحة الدولة أو بمصالح الحكام، دون النظر إلى الاعتبارات الموضــوعية المتعلقــة بــإقرار الحقوق والواجبات؛ لذلك قُيِّدَت نصوصُ المواثيق الخاصة بهذه الحقوق، بالحماية التــي كفلتهــا دساتير الدول، وهذا يفسر التصريحات المتناقضة بشأن حقوق الإنسان في الغرب، وسياسة الكيل بمكيالين، وعدم احترام الغرب لحقوق الإنسان في غير بلاده[2].

لذا يذهب جيريمي بنثام[3] إلى أن فكرة الحقوق الطبيعية فكرة حمقاء، فيقول:"إن الحقوق الطبيعية هراء على أرجل خشبية"[4].

ولما كانت الحقوق في الإسلام ليست حقوقاً طبيعية، بل هي منحة من الله تعالى؛ ترتَّــبَ على ذلك أن الشريعة هي أساس الحقوق، وليست الحقوق هي أساس الشريعة، بخلاف أساســها عند الغرب، والحقوق في الإسلام ليست غاية، بل وسيلة للغاية التــي شُــرِعت الحقــوق مــن أجلها[5]، كما لا تُبْنى على أساس الرابطة الوطنية، وليست ذات مفهوم متحيز كما فــي الحقــوق الإنسانية الطبيعية عند الغرب، بل هي حقوق شمولية للإنسان، تختلف فــي مــصدرها ومقــصد واضعها[6].

(إن حقوق الإنسان في الإسلام ترتبط بتحقيق العبودية لله ﷻ، وحفظ مقاصد الشريعة في الوجود الإنساني، والتي هي المحافظة على ضروريات وجود الإنسان، وهي حفظ الدين، والنفس والعقل، والمال والعرض؛ ولهذا يظهر خطأ القائلين بالتشابه بين حقوق الإنسان الطبيعيــة فــي

---

(1) انظر حقوق الإنسان في الإسلام قيم إلهية وتنظيم بشري، د.عبد الرحمن بن زيد الزنيــدي، 2006م، ص7، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، ص30-31، بتصرف.

(2) انظر النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، ص33، بتصرف.

(3) فيلسوف إنجليزي ومؤسس مذهب الفلسفة المعروف بمذهب المنفعة، عاش مابين(1748-1832م)، يرى أنه يجب تقويم الأفكار والمؤسسات والأعمال على أساس مدى منفعتها وفائدتها، وقد حدّد المنفعة بأنها القــدرة على تحقيق السعادة. انظر الموسوعة العربية العالمية، 464/5، موسوعة الفلاســفة، ص164، موســوعة مشاهير العالم، 85/2، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص128.

(4) حقوق الإنسان والسياسة الدولية، ص208.

(5) انظر الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، ص22.

(6) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص13، النظرية السياسية الإسلامية فــي حقوق الإنسان الشرعية، ص38.

الغرب، وحقوق الإنسان في الإسلام[1]؛ لأن منطلق حقوق الإنسان في الغرب هو الحق الطبيعي، المرتبط بذاتية الإنسان من الناحية الطبيعية، بغض النظر عن الفكر والمنهج، بينما حقوق الإنسان في الإسلام، تستند إلى التكريم الإلهي للإنسان، وهي منحة من الله تعالى، وترتبط بعبودية الإنسان لله تعالى، وانصياعه لشرعه، وإتباعه لهدي رسله، بالإضافة إلى المقاصد والآثار المترتبة عليها[2].

ويتضح من اعتماد حقوق الإنسان عند الغرب على مبدأ النسبية، ورفضه لثبات القيم والعقائد، أن لكل شخص الحق في تغيير دينه، وله أن يسب الأنبياء وينتهك الشرائع ويكفر بالله، وله أن يخترع لنفسه ما يشاء من الأديان والمعتقدات، ولو كانت نسيجاً من الخرافات والأساطير، الأمر الذي يتعارض مع الإسلام ومع مقصده في حفظ الضرورات الخمس، ومنها حفظ الدِّين، وأن للجماعات التي تؤمن بمعتقدات شاذة في العالم، كعبدة الشيطان وغيرهم، الحق في ممارسة أنشطتهم وعباداتهم الشاذة أمام الملأ دون عقاب[3].

إن الإسلام يحدد حقوق الإنسان بمفاهيمها الصحيحة، وضوابطها الشرعية، التي تحقق كرامة الإنسان، وتحفظ مصالح الفرد والمجتمع، وهي مضمونة بالشرع وأحكامه، لكل بني الإنسان على اختلافهم[4]، وليست خاضعة للقوة المادية، ولا يعتمد تفسيرها على المصالح الآنيَّة، والرغبات الخاصة للأفراد أو الشعوب؛ لذا فحق الشعوب في إزالة الاستبداد والظلم السياسي حق ثابت؛ لاعتماده على عدم جواز العبودية لغير الله، أو الخضوع لغير شرعه سبحانه[5]، وللضعيف والمسكين حق في الحياة الكريمة، ولا يحول ضعفه وقصور قوته دون نيل ذلك الحق، كما يكون الاحتكام عند تضارب المصالح لأحكام الإسلام، التي لا تتبدل باختلاف الأماكن والعصور[6].

يقر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، حق المرأة –أياً كان دينها– أن تتزوج بمن تحب، بغض النظر عن دين الزوج، وتزوِّج نفسها بنفسها، بينما الإسلام يُحَرِّمُ على المرأة المسلمة الزواج من غير المسلم؛ لما لهذا الزواج من أثر سيء على عقائد وقيم وأخلاق الذريَّة، قال تعالى:﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ

---

(1) حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص16.

(2) المرجع نفسه، ص16.

(3) انظر مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص58.

(4) حقوق الإنسان في الإسلام، د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص43.

(5) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص12.

(6) المرجع نفسه، ص13.

تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة:221]، وفي تحريم الزواج بغير المسلم مصلحة راجحة تعود على الإيمان بالثبات؛ لأن القوامة بيد الرجل، وهو تحريم يعتبره الإعلان العالمي تعدياً على أحد الحقوق الإنسانية للمرأة المسلمة[1].

إن الإسلام في بيانه لمن يعتدي على حق الحياة، قد أوجب الدية أو العفو من قِبَل ولي الدم، وحَفِظَ حق الضحية بالقصاص من القاتل، وإنكار مثل هذا الحق بالنسبة للضحية يكون موالاة للقتلة وإهدار لدم الضحايا؛ لأن الحدود الإسلامية -كما يزعم الغرب- هي نوع من التعذيب المهين ونزع لكرامة الإنسان، فلا ترى المنظمات الحقوقية الغربية نفسها منتقِدةً للشرع الإسلامي، بانتقادها للأحكام والحدود الإسلامية، وإن كانت تردد في كل محفل احترامها للأديان والعقائد، إلا أنها من جهة أخرى، توجه أبلغ الإهانات للإسلام بصورة غير مباشرة[2].

إن القوانين تسن في كل دولة غربية حسب حاجة مجتمعاتها؛ لضمان استقرارها وأمنها، ويعلمُ المسلمون أنه لا يوجد أي قانون وضعي يسلم من الثغرات والأخطاء، ودليل ذلك استمرار التعديلات التي تطرأ على القوانين الوضعية، ويجد المسلمون في الاحتكام إلى كتاب الله تعالى السبيل الوحيد لضمان قوانين عادلة وشاملة لمجتمعاتهم، تضمن حق المسلم وغير المسلم[3].

لقد فُصِّلت حقوق الإنسان في الإسلام بغاية الوضوح، ولم تُتْرَك مبهمة، وجاءت النصوص الشرعية محدِّدَة لها، مانعةً تجاوزها وانتهاكها، كتحريم القتل؛ لحفظ الحياة الإنسانية، ووجوب الجهاد؛ لإزالة الاستبداد وعبودية الإنسان للإنسان، وتحريم الزنا والقذف؛ حماية للأعراض والكرامات، وتحريم الربا والاحتكار؛ لضمان ممارسة حق الكسب الحلال؛ والحيلولة دون سيطرة القوي على الضعيف، وأوجبت على الدولة حماية الحقوق وإقرار قواعد العدالة الشرعية في المجتمع[4].

رتَّب الإسلام على المخالفات التي ينجم عنها ضياع حقوق الإنسان عقوبات زاجرة؛ تحول دون ضياع تلك الحقوق، حيث شَرَعَ عقوبات صارمة للمخالفين، كما رتب نزع الشرعية عن

---

(1) انظر مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص74، حقوق الإنسان في الإسلام: http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/5.htm

(2) مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص59.

(3) المرجع نفسه، عدد165، ص61.

(4) حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص15.

الدولة؛ إن هي أظهرت مخالفة الأحكام الشرعية الصريحة، المنظِّمة لحقوق الإنسان وواجباته، قال تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة:44][1].

إن مما أصدره علماء المسلمين من توصيات بشأن حقوق الإنسان ما يلي:

أولا: يجب الاتفاق على المقصود بمفهوم حقوق الإنسان، والعمل على حمايتها وصيانتها؛ لأن المنظور الذي تتخذه منظمات حقوق الإنسان هو منظور علماني غربي، لا يضع أي اعتبار لأي عقيدة أو دين، وتَبَنِي هذه المنظمات عملها على القوانين الدولية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان[2]، الذي هو صنيع الدول الغربية، التي كانت تهيمن على الأمم المتحدة حين صدور هذا الإعلان؛ ومن ثم فهو يستند إلى المنظور الغربي في معظم مواده[3].

ثانيا: يجب أن يعمل المسلمون على تكوين منظمات إسلامية لحقوق الإنسان، تعمل بأسلوب علمي، وتقوم برصد ما يقع من انتهاكات لحقوق الإنسان في العالم من منظور إسلامي، بالإضافة إلى مساندة الأقليات المسلمة، التي تعاني من انتهاكات لحقوقها في أي بقعة من البقاع، وبذل الجهود لكي تحتل هذه المنظمات الإسلامية مكانة في مواقع صناعة القرار الدولي، كما هو الحال بالنسبة للمنظمات الغربية[4].

ثالثا: لابد أن يُجمِعَ المسلمون كلمتهم على العمل بشكل علمي ومدروس؛ من أجل تعبئة الرأي العام الإسلامي والدولي -الذي يحتكم إلى العقل- لضمان عدم تضارب القوانين الدولية مع أحكام الإسلام، ولضمان حق الدول الإسلامية في التحفظ على كل ما هو منافٍ للشرع الإسلامي؛ ضماناً بعدم إلزام الدول الإسلامية بتطبيق المواد والقوانين المخالفة للشرع الإسلامي[5].

آثار التفسير الغربي لحقوق الإنسان على الفرد والمجتمع:

لقد تضمنت حقوق الإنسان عند الغرب عدواناً على الحقوق، وآثاراً سيئة على المجتمعات وعلى أخلاقها وقيمها، فمن هذه الآثار ما يلي:

---

(1) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي ، ص15، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، ص40.

(2) انظر مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص57-58، بتصرف.

(3) المرجع نفسه، عدد165، ص58.

(4) المرجع نفسه، عدد165، ص61.

(5) المرجع نفسه، عدد165، ص61.

أولاً: الزواج دون شرط الإسلام أو ضابط الأخلاق:

إن حق الزواج دون قيد أو ضابط من خلق أو دين، هو اعتداء على كرامة الإنسان، والإسلام حرَّم نكاح الكافر للمسلمة؛ صيانةً للأعراض، وحفاظاً على فتنة الذرية عن دينهم[1]، وإن اختلاف الدين والفكر؛ يؤدي إلى عدم التكافؤ، وعدم الانسجام بين الزوجين، ثم إلى الاختلاف والافتراق.

ثانياً: الحق في ممارسة الشذوذ الجنسي:

ضَمِنَ الغرب الحق في ممارسة الشذوذ الجنسي، ولمَّا ساوى بين الشواذ جنسياً والمثليين، وبين الأسرة الطبيعية، صار كل من يوجه انتقاداً للجماعات الشاذة يعتبر معادياً للمثلية، ويصبح عرضة للملاحقة القانونية؛ مما أدى إلى تكاثر الجماعات ذات المعتقدات الشاذة، المبنية على السحر والشعوذة وإباحية الجنس؛ لأنها تحظى بالقَبول في الدول الغربية والدول المقلدة لها، ويُسمَح لهم بممارسة معتقداتهم بحرِّية تامة، ويَنظُرُ الغرب لمحاسبة مثل هذه الجماعات أو التعرض لها قانونياً في دول أخرى، على أنه انتهاك لحقوقهم، كما أن رفض المجتمع المسلم لمثل هذه الممارسات ومحاربته لها، يعتبر في نظر الغرب منتهكاً للحريات الأساسية والقانون والمعاهدات الدولية[2].

ثالثاً: حق الزواج المثلي بين الشواذ:

لقد أباحت الكنيسة في عدد من الدول الغربية الزواج المثلي بين الشواذ، وسنت القوانين والتشريعات التي تحفظ الحقوق المترتبة على عقد الزواج في النفقة والميراث وتَبَنِّي الأطفال وغير ذلك؛ نشطت العصابات المنظمة في جلب النساء من دول مختلفة في العالم –لاسيما دول أوروبا الشرقية– وإجبارهن على ممارسة الفاحشة، ولا انتقاد يوجه من قِبَل المنظمات الحقوقية الغربية لمثل هذا النوع من الاستعباد، أو للدول التي يقع في أراضيها مثل هذا الانتهاك؛ الأمر الذي أدى لزيادة نسبة الانتحار، والتباس التمييز بين حقوق الإنسان والدعوة إلى الضياع والانحلال الأخلاقي في المجتمع[3].

---

(1) حرمات لا حقوق، ص74، بتصرف.

(2) مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص58، بتصرف.

(3) انظر المرجع نفسه، عدد165، ص60، 72.

رابعاً: حق حمل النساء سفاحاً:

إن مليون فتاة من المراهقات والقاصرات يحملن سفاحاً كل عام في أمريكا، منهن (300) ألف دون الخامسة عشرة، و(400) ألف يقدمن على الإجهاض، و(50%) من الذكور الأمريكيين قد مارسوا الجنس المثلي (اللواط) في حياتهم، كما أن عدد من يمارس السحاق بين النساء الأمريكيات بلغ(1.5) مليون امرأة وفتاة، كما أن (42%) من سكان النمسا لم يمانعوا من إصدار قانون يسمح رسمياً للرجل بالزواج من رجل، و(40%) من الرهبان يمارسون الشذوذ الجنسي، و(80%) منهم زناة، ولقد اعترف الرئيس الأمريكي السابق كارتر بحقوق (20مليون) أمريكي من الجنسين يمارسون الشذوذ الجنسي بكل أنواعه، وفي عام 1974م وافق البرلمان السويدي على زواج الأشقاء من بعضهم، وباركت الكنيسة هذا العمل[1].

خامساً: حق إهلاك الضعفاء:

ومن آثاره الخطرة، أنه عند تضارب الحقوق الطبيعية للأفراد أو الأمم، يكون الحق لمن يملك القوة المادية، وما دامت الطبيعة هي أصل حقوق الإنسان، فيجوز عند الغرب هلاك الأفراد الذين خلقوا ضعفاء، أو لم يحوزوا على القوة التي تمكنهم من نيل حقوقهم الطبيعية، ومن المشروع عندهم أيضا أن يتركز الفقر والتخلف لدى الأقليات، ويتحكم الرأسماليون في السلطة السياسية، وتُفنى شعوب كاملة بالحروب؛ لأن الشعب ذا السيادة والقوة، أقدر على نيل تلك الحقوق الطبيعية من غيره، وهذا ما حصل من نهب خيرات الشعوب الأخرى واستعمارها[2]، وليس أدل على ذلك من قراءة سريعة للاستعمار الأوروبي في أفريقيا وآسيا[3]، القائم على نظرية دارون التي تنص على أن البقاء للأقوى.

إن ما تقرر عند الغرب من ربط مصدر الحقوق وتشريعاتها بمبدأ الحرية، وترك الأمر لكل قادر على نيل حقوقه بناءً على ما يراه من مصلحة له، ثم تقييدها بالقيود الخيالية، كالتأكيد على أن الحقوق والحرية الفردية تنتهي حين تبدأ حقوق الغير، أو التأكيد على عدم تدخل الدولة إلا عند انتهاك الحريات؛ يجعل الحقوق في الغالب أمراً نظرياً، لا أثر له في الواقع؛ نظراً لعدم إمكانية الاتفاق حول المصلحة، ولوجود الأثرة لدى الكثير؛ مما يؤدي إلى سيطرة القوي على الضعيف، كما تظهر نتيجة التناقض البيِّن عند الغرب، حيث يرى بعضها حماية القاتل من عقوبة القصاص بالإعدام، وحماية السارق من عقوبة القطع؛ دفاعاً عن حقوقه الإنسانية أو الطبيعية،

---

(1) المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، ص70-71.

(2) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص12.

(3) حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص18.

دون النظر لما ينجم عن ذلك من ضياع حقوق سائر أفراد المجتمع، كما ظهرت التشريعات التي تتيح للفرد مزاولة كل ما يحقق رغباته، وحقوقه الطبيعية دون أي قيد من دين أو خلق؛ ولهذا فالربا والاحتكار أمر مشروع، والإباحية الجنسية والإلحاد من حقوق الفرد، بغض النظر عما يترتب عن ذلك من نتائج مدمرة في حياة الأمة[1].

(إن التعاطي مع المرجعية الغربية لحقوق الإنسان إما أن يرفعها إلى مرتبة التقديس؛ لتفوق الغرب مادياً وعسكرياً على العرب والمسلمين، وإما مواءمة المفاهيم الإسلامية في ذلك الشأن مع الطرح الغربي لحقوق الإنسان، ولعل المنحى الأخير يعد أكثر الخيارين خطراً على نقاء العقيدة وصفاء الفكر)[2].

سادساً: إشاعة القيم الغربية وفق النهج العلماني:

إن هدف حقوق الإنسان عند الغرب هو تقرير القيم الغربية للحياة، المستندة إلى مبادئ العدالة والحرية الفردية، وتسويقها عن طرق الدعاية وفق الفكر العلماني، وعن طريق الحرب تجاه الشعوب الأخرى، أو تهديد الدول بوضعها في قائمة الدول المساندة للإرهاب والمنتهكة لحقوق الإنسان كما يتصورها الفكر الاستعماري الغربي[3]؛ مما نتج عن ذلك تدمير الأخلاق والقيم، وإشاعة الفوضى والإباحية، وتفكيك الأسرة، فحقوق الإنسان في الغرب لا تعمل على تحقيق أهداف إنسانية للبشرية جميعاً؛ لأنها نشأت وفقاً للحضارة الغربية المادية وفلسفتها العلمانية[4].

سابعاً: ابتزاز الدول وإخضاعها لسياسات الغرب:

(تُستخدم الدعوة لحقوق الإنسان في الغرب بهدف إخضاع الدول لإملاءات الغرب، ومن ثَمَّ فرض الحصارات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والعلمية عليها، إن لم تستجب لذلك، مستمدةً شرعيةَ ذلك بقرارات تصدر عن المؤسسات والهيئات الدولية، فتحارب الدول التي تمنع أي نوع من الممارسات غير الأخلاقية، والمنافية للفضيلة والقيم بالنسبة لمجتمعاتها)[5].

---

(1) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص14، مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص59، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، ص39.

(2) مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص73.

(3) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص15، بتصرف.

(4) انظر المرجع نفسه، ص15–16، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، ص41.

(5) مجلة البيان، سنة16، 2001م، عدد165، ص49، بتصرف.

المطلب الثاني: حقوق الإنسان في المذهب الديمقراطي:-

حقوق الإنسان عند الغرب مرتبطة بالحرية الفردية، وبقدرة الأفراد على الحصول عليها واقعياً، وليحمي منظّرو السياسة الديمقراطية الغربية حقوق الإنسان داخل مجتمعاتهم دَعَوا إلى تقييد سلطة الدولة؛ لئلا تتحول أجهزتها إلى أداة قمعية، وأهملوا حقوق الشعوب غير الغربية؛ مما جعل حقوق الإنسان في الديمقراطية هي حقوق الإنسان الغربي فقط، وحقوق من تتركز لديه الثروة والقوة المادية، وليست حقوقاً عالمية شمولية للإنسان[1].

العلاقة بين النظام الديمقراطي وحقوق الإنسان:

إن الناظر لمفهومي الديمقراطية وحقوق الإنسان، يجدهما مفهومين مختلفين، فالديمقراطية تهدف إلى منح القوة للشعب بصورة جماعية، بينما تهدف حقوق الإنسان إلى منح القوة إلى الأفراد[2]، ولكن بعض حقوق الإنسان مرتبطة بقواعد ديمقراطيه، وفصلها عن الديمقراطية يُضْعِفُ فُرَصَ تطبيقها[3]، ولا يمكن التعرف عليها في ظل نظام غير ديمقراطي.

تشترك حقوق الإنسان عند الغرب مع الديمقراطية في كثير من الحقوق، كحق التحرير وأمن الإنسان، وحق المساواة وعدم التمييز -خصوصاً للجماعات المهمشة- واحترام التنوع والتعددية، ويقوم النظام الديمقراطي بحماية الحقوق المتعلقة باللغة والدين والعِرق[4]، فالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عند الغرب؛ تتطابق مع مفهوم الديمقراطية[5].

تقوم الديمقراطية الغربية على تقرير الحقوق والحريات للأفراد، ووجوب صيانتها وحمايتها، وعلى أن غاية الهيئة السياسية صيانة حقوق الإنسان الطبيعية، كحق الحرية وحق التملك وحق الأمن، وحق مقاومة الظلم[6].

لقد أعطت الديمقراطية -كنظام سياسي- جملة من الحريات السياسية، كحرية الترشيح وحرية التفكير والتعبير، وحرية الاجتماع، وحرية الاحتجاج، كما أعطت جملة من الضمانات

---

(1) انظر حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، ص13، موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، خديجة النبراوي، ص7، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، ص37.

(2) انظر الديمقراطية وحقوق الإنسان:
http://www.phrmg.org/arabic/monitor2005/democracy.htm

(3) انظر المرجع نفسه، ما الديمقراطية، آلان تورين، ترجمة:عبود كاسوحة، وزارة الثقافة، دمشق، 2000م، ص111.

(4) الديمقراطية وحقوق الإنسان: http://www.phrmg.org/arabic/monitor2005/democracy.htm

(5) ما الديمقراطية، ص132.

(6) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص724.

المانعة من الاعتداء على الأفراد وحرياتهم، كضمان الاتهام وضمان التحقيق، وضمان التنفيذ وضمان الدفاع[1].

يقرر الديمقراطيون الغربيون حقوقاً وحريات منها: المساواة المدنية أمام القانون والقضاء والوظائف العامة، دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين، وحق كل فرد في الحياة والحرية والأمن الشخصي على نفسه وماله، وحرية التنقل، والمساواة في الكرامة والحقوق، وحرية التفكير والعقيدة والتعبير عن الرأي، وحق حرية تكوين الجمعيات والجماعات والانضمام إليها، ولا يجوز إلزام أحد بالانتماء إلى أية جمعية أو جماعة أو تنظيم أو حزب، والحرية الاقتصادية مصونة للجميع، وكل فرد حر في اختيار العمل الذي يريد، ولكل فردٍ الحق بأن يتملك ما يشاء من أدوات الإنتاج، أو المواد الاستهلاكية، وملكيته هذه حق مقدس لا يجوز المساس به، أو الاعتداء عليه، وله أن يوظف ملكيته كما يشاء، وبالطريق التي يريد، وحق الانتخاب والترشيح ومراقبة الحاكم، والتصويت على عزل رئيس الدولة، وتولي الوظائف العامة وتكوين الأحزاب، متى توافرت فيه الشروط القانونية[2].

الديمقراطية من أبرز الحقوق السياسية التي نص عليها النظام السياسي الغربي[3]، والديمقراطية بوصفها حقوق سياسية داخل كل دولة، فهي لها صفة دولية، يشرف على تطبيقها القانون الدولي داخل الدول، عبر منظمات حكومية وغير حكومية، تتولى متابعة تطبيق الحقوق السياسية[4].

وقد يلاحَظ أن بعض الحقوق والحريات السابقة، لم تأخذ بها بعض الدول الديمقراطية الغربية؛ مراعاةً لأحوال مجتمعاتها وتدرجها في التطور[5].

موقف الديمقراطية من حرية الاعتقاد:

إن الديمقراطية تعطي لكل فرد حرية الاعتقاد والتفكير، فيحق له أن يؤمن بما يشاء ويكفر بما يشاء، وله أن يبدل دينه حسب هواه ورأيه، وهو أمر مخالف للإسلام، حيث يقول النبي ﷺ:**(مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)**[6]؛ لما في ذلك من تلاعب واستهزاء بعقائد المسلمين وثوابتهم.

---

(1) انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص196-197.

(2) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص724-725.

(3) انظر القانون الدولي لحقوق الإنسان، د.عروبة جبار الخزرجي، دار الثقافة، ط1، 2010م، ص287.

(4) المرجع نفسه، ص294.

(5) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص725.

(6) صحيح البخاري، كِتَاب اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَاب إِثْمِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حديث رقم:6922.

إن الديمقراطية لا ترضى أن ترتد أمة أو شعب عنها إلى أي نظام آخر، ولو حدث ذلك؛ فسرعان ما يعلن زعماء المذهب الديمقراطي ودعاته الحرب، ويفرضون الحصارات الاقتصادية والسياسية وغيرها، ولو أدى ذلك لإبادة هذا الشعب.

مصدر التشريع في الديمقراطية هو الشعب، وليس الله تبارك وتعالى، وذلك عن طريق اختيار الشعب لممثلين ينوبون عنه، وإن أي نزاع أو اختلاف بين الحاكم والمحكوم يُرَدُّ إلى الشعب، وليس إلى الله ورسوله.

إن مصدر التشريع في الديمقراطية يتناقض مع لازم من لوازم الإيمان، وهو رد أي نزاع إلى الله والرسول، قال الله تعالى:﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [سورة النساء:59]، وقال أيضا:﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ [سورة الشورى:10]، ويقول سبحانه:﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [سورة يوسف:40]، ويقول ﷻ:﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**﴾ [سورة الشورى:21]، أي أنهم لا يتبعون ما شرع الله لهم من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم[1]، **فعَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سورة بَرَاءَةٌ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**[2].

مناقشة مذهب الديمقراطية وعلاقته بحقوق الإنسان:

إن الحرية في الإسلام التي هي حق رئيس من حقوق الإنسان، تنبثق من العبودية لله تعالى، بينما في الديمقراطية فتنبثق من اللاعبودية لله تعالى؛ لأنها مبنية على أن الإنسان سيد الكون، وخالق النظم الإدارية والسياسية وغيرها، وأن لا شأن للدين بالدنيا، بل هو مفصول عن واقع الحياة[3].

(1) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1999م، 198/7.

(2) سنن الترمذي، بَاب وَمِنْ سورة التَّوْبَةِ، حديث رقم:3095.

(3) انظر مجلة دعوة الحق، السنة السادسة، 1987م، 16/62.

الحريات الشخصية في مذهب الديمقراطية هي حريات مسرفة، تطلق حريــات الأفــراد وتصرفاتهم وتنحاز لصالح الأفراد؛ فتفضي إلى شرور كثيرة، وانتشار فواحش خطيرة ومــدمرة في المجتمع[1].

إن الديمقراطية تنادي بأن: "الدين لله والوطن للجميع"، الذي هو شعار مأخوذ –كما يقول بعض العلماء– من فكرة نصرانية قديمة تقول: "ما لقيصر لقيصر ومـا لله لله"[2]، وقـد صـاغه الحاقدون على الإسلام؛ ليبعدوا حكم الله عن شئون الحياة، بحجة الوطن الـذي جعلـوه نـداً لله، فأعادوا بذلك الحكم القيصري والكسروي بألوان وأسماء جديدة[3]، وتنـادي أيـضا بـأن شـأن الأقليات في الدولة، كشأن الأكثرية في الحقوق والواجبات، اتباعاً لأهـواء أعـضاء المجـالس النيابية وغيرهم؛ فتمكن الأقليات من استغلال الوضع الـديمقراطي ضـد الأكثريـة ومبادئهـا وعقائدها؛ والتسلل لمراكز القوة في البلاد، ثم طرد الأكثرية والقضاء عليها[4].

تقوم الديمقراطية أيضا على إسقاط الحق المطلق والباطل المطلق، فـلا أحـد –حـسب مذهب الديمقراطية– يملك الحق المطلق[5]، وهو كما ترى أساس متهافت ساقط مخالف للـشرع، فالحق –كل الحق المطلق– مع الشرع وما خالفه وصد عنه فهو باطـل بـلا نـزاع، قـال الله تعالى:﴿**ذلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سـورة لقمان:30]، وقال أيـضا:﴿**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ [سـورة الإسراء:81]، فلا مكان للباطل واعتباره حقـاً واعتمـاده، بـل لا بـد مـن محاربتـه، قـال تعالى:﴿**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِّ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللهَّ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة البقرة:251]، فيظهر أن الحق مع الشرع، وما خالفه باطل، وهو متعارض مـع الأسـس التي تقوم عليها الديمقراطية، فهي تحتكم لرأي الناس لا إلى الشرع.

فالديمقراطية لا تنظر إلى حقوق الله على عباده، ولا تنظر إلى الحقوق العامة بعدل، ولا لحقوق المجتمع على الأفراد، فهي منحازة لجانب الفرد وإطلاق حريته، فيترتب على ذلـك مـا يلي:

---

(1) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص733، بتصرف.

(2) الموسوعة العربية العالمية، 429/18.

(3) انظر مجلة البيان، سنة6، 1992م، عدد50، ص68.

(4) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص732.

(5) القانون الدولي لحقوق الإنسان، ص302.

أولا: عدم ضبط حرية الأفراد بضوابط الشرع.

ثانيا: الحريات الاقتصادية تفضي إلى عدوان المحتالين على حقوق الشرفاء، ونـشر الاسـتغلال والاحتكار وسلب الأموال، وتحقيق مكاسب مالية بالظلم والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل.

ثالثا: الحق في المساواة السياسية في الحكم، دون شرط الإسلام والعدالـة الـشرعية والأهليـة للمشاركة في الانتخاب أو الترشح؛ يفضي إلى جعل الدولة الإسـلامية دولـة علمانيـة، تُمَكِّـن الأراذل من الحكم، وحق الفرد في ترشيح نفسه للحكم؛ يجعل طلاب الدنيا يتنافسون على الحكم، ويقتتلون من أجله، ويسلكون مسالك غير شريفة للوصول إليه، ويبذلون أموالاً طائلة؛ ليعوضوها إن ظفروا بالحكم[1].

الديمقراطية نظام سياسي اجتماعي تكون فيه السيادة لجميع المـواطنين، ويـوفر لهـم المشاركة الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، ويقوم على حكم الـشعب لنفـسه مباشرة، أو بواسطة ممثلين عنه[2]، وهي تشريعات تخالف تشريعات الوحي؛ لأنها لا تقوم علـى أساس ديني، بل تستند إلى تأليه الإنسان، فلا ضابط يضبطه، ولا شرع ينظم حياته –علـى مـا تذهب إليه الديمقراطية– بل هو الذي ينظم حياته ويضع القوانين والتشريعات لذلك.

تطورت حقوق الإنسان لتشير إلى مجموعة من الحقوق الفردية التي يُطلب مـن الـدول احترامها أو توفيرها لمواطنيها، فمن أسس الديمقراطية وجود انتخابات شـعبية؛ تعتمـد علـى التصويت السري، وحق الناخب في الاختيار والتصويت لمن يستحق ثقته، وفـي ذلـك تجـسيد لحرية التعبير وحرية الرأي[3]، الذين هما حقان من حقوق الإنسان.

تستخدم حقوق الإنسان في المستويات الثقافية والاجتماعيـة والاقتـصادية والـسياسية؛ لتعميم الحضارة الراهنة بكل قيمتها المادية والمعنوية، فتضم المشاركة فـي الـسلطة، وحريـة التعبير والحق في العمل والتعليم والثقافة والأمن والكرامة للجميع دون اسـتثناء، وهـي أوسـع وأكبر من الديمقراطية بمعنى التعددية، والتي تفتح الباب أمام المعارضة؛ كي تشارك في الحكـم مباشرة أو عن طريق الاعتراض، فتطبيق الديمقراطية لا يحتاج إلى تنفيذ برنامج حقوق الإنسان كله ولا إلى تغيير جوهري في بنية النظام الاجتماعي[4]، فقد نـرى دول ديمقراطيـة لا تحمـي

---

(1) انظر كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص731-733.

(2) الحوار المتمـدن: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=86327#.

(3) الطبقة النسطيـه: http://www.iraqalyoum.net/archf/1148/iraq/pag9.html.

(4) مجلة المستقبل العربي، السنة الثالثة عشر، 1990م، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، برهان غليون، 25/135.

حقوق الإنسان ودول غير ديمقراطية تحمي حقوقه، فارتباط الديمقراطية ارتباطا وثيقــا بحقــوق الإنسان قد يؤخر تطبيق هذه الحقوق في بعض البلدان.

المطلب الثالث: حقوق الإنسان في الفكر الليبرالي:-

من خلال دراستي لتعريفات الباحثين لليبرالية، تبين أنها لم تكن تعريفات جامعة مانعــة؛ لاختلاف المفكرين والباحثين في تعريفها؛ لذا فمفهومها ملتبس، ومما يزيد في التباسه وغموضه، استعماله الطارئ في أيامنا هذه، للدلالة على الأحزاب أو النزعات الــسياسيّة[1]، ولأن معناهــا تبدَّل بصورة ملحوظة بمرور السنين[2].

ومن الصعب أيضا تحديد تاريخ معين لنشأة الليبرالية، ولكن يمكن القول أنها نشأت كرد فعل لتسلط الكنيسة والإقطاع في العصور الوسطي بأوربا؛ مما أدى إلى انتفاضة الشعوب وثورة الجماهير، والمناداة بالحرية والإخاء والمساواة، وقد ظهر ذلك في الثورة الفرنــسية، وتبــين أن هناك قوى شيطانية خفية حولت أهداف الثورة وغايتها، من ثورة على مظالم رجال الــدين إلــى ثورة على الدين نفسه[3].

الليبرالية لغة:

الليبرالية مشتقة من اللفظ (Liberate) بمعنى حرية[4]، ومــن اللفــظ (Liberalism)، بمعنى مذهب الحرية أو التحررية[5].

الليبرالية اصطلاحاً:

يتم تعريف الليبرالية بحسب المجال الذي تُعَرَّف مــن خلالــه، كالليبراليــة الــسياسية، والليبرالية الاقتصادية، والليبرالية الأخلاقية، وهكذا[6].

فالليبرالية السياسية هي مذهب سياسي يرى أنه من المستحسن أن تزاد إلــى أبعــد حــد ممكن استقلالية السلطة التشريعية والسلطة القضائية، بالنسبة إلى السلطة التنفيذيــة، وأن يعطــى للمواطنين أكبر قدر من الضمانات في مواجهة تعسف الحكم[7].

---

(1) انظر موسوعة لالاند الفلسفية، 725/2، بتصرف.

(2) الموسوعة العربية العالمية، 247/21.

(3) انظر الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، د. يوســف القرضــاوي، 1971م، ص51، الموســوعة الفلسفية العربية، 1155/2، العلمانية، ص176.

(4) انظر موسوعة السياسة، 726/1.

(5) انظر المرجع نفسه، 734/1، المورد قاموس انجليزي-عربي، ص525.

(6) انظر موسوعة لالاند الفلسفية، 726/2.

(7) انظر المرجع نفسه، 725/2، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص175.

وتُعَرَّفُ الليبرالية السياسية أيضا، بأنها مذهب سياسي يرى أن الإجمـــاع الـــديني لـــيس شرطاً لازماً ضرورياً لتنظيم اجتماعي جيد، يطالب بحرية الفكر لكل المواطنين[1].

وأما الليبرالية الاقتصادية فهي مذهب اقتصادي، يرى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتـــولى وظائف صناعية، ولا تجارية، ولا يحقّ لها التدخل في العلاقات الاقتصادية القائمة بين الأفـــراد والطبقات أو الأمم؛ لأن مصلحة الأفراد متطابقة مع مصالح المجتمع، فتُهمَل مـــصالح المجتمـــع تحت شعار اهتمامها بمصالح الأفراد، وتؤكد على حرية التجارة والعمل والمنافسة التي هي مـــن حقوق الإنسان[2].

يظهر أن الليبرالية هي مذهب يدل على العقائد التي تعتبر ازدياد الحرية الفرديـــة مـــن مُثُلِها، وترى أن الحد من دور الدولة وسيلة أساسية لهذه الحرية[3].

إن إسراف الليبرالية في تقديس الفرد وإعطائه حرية زائدة؛ يؤدي إلى استبعاد رأي الدين ودوره الأمثل في الحياة، كما في الليبرالية السياسية، فينشأ الاحتكار والربا والفساد الاقتـــصادي الظالم؛ لأنه لا دخل للدولة في المعاملات التجارية بين الأفراد أو الجماعات، فالفرد حر لـــه أن يفعل ما يشاء، فلا اعتبار لرأي الدين أو الأخلاق في المعاملات الاقتصادية.

موقف الليبرالية من حقوق الإنسان:

يتفق الليبراليون في كافة العصور مع اختلاف توجهاتهم، على أن الحرية هـــي المبـــدأ والمنتهى، والباعث والهدف، والأصل والنتيجة في حياة الإنسان، والتأكيد علـــى حريتـــه وعـــدم التدخل فيها، والتي يتطلع لها الفرد بطبيعته، والليبرالية هي المنظومة الفكرية الوحيدة التي تهـــتم بوصف حرية الإنسان[4]، فهي تركز على أهمية الفرد وضرورة تحرُّره من كل أنواع الـــسيطرة والاستبداد؛ لذلك نجد الجذور التاريخيَّة لليبرالية في الحركات التي جعلت الفـــرد غايـــة بذاتـــه، معارِضَةً للتقاليد والأعراف والسلطة، رافضةً جعل إرادة الفرد مجرد امتداد لإرادة الجماعة[5].

---

(1) موسوعة لالاند الفلسفية، ص726.

(2) انظر المرجع نفسه، 726/2، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص175، موسوعة السياسة، 566/5.

(3) موسوعة لالاند الفلسفية، 726/2.

(4) مفهوم الحرية، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، ط5، 1993م، ص39، بتصرف.

(5) الموسوعة الفلسفية العربية، 1155/2.

أدّت الثورات الليبرالية[1]؛ إلى قيام حكومات عديدة تستند إلى دستور قائم على موافقة المحكومين، وقد وضعت هذه الحكومات الدستورية العديد من لوائح الحقوق، التي أعلنت حقوق الأفراد في مجالات الرأي والصحافة والاجتماع والدين، كذلك حاولت لوائح الحقوق أن توفر ضمانات؛ ضد سوء استعمال السلطة من قبل الشرطة والمحاكم[2].

يشترك مفهوم حقوق الإنسان مع مجموعة من المفاهيم المترابطة المتكاملة، كالحرية والديمقراطية والإصلاح الدستوري والسياسي، والإصلاح الاقتصادي والمواطنة وحق المرأة، وحق الطفل وحقوق الأقليات وغيرها، وثمة قاسم مشترك يجمع شتى التيارات -بما فيها التيار الليبرالي- وحقوق الإنسان هي أحد تلك المفاهيم التي تلتقي عندها هذه التيارات؛ لتجد مساحة واسعة من الاتفاق رغم بعض التفاوت، فهذه المفاهيم المشتركة من شأنها بلورة الجامع السياسي الذي يضم هذه التيارات في بوتقة واحدة[3].

إن لم يتم الاعتراف بحقوق خاصة للأفراد لا يجوز التعرض لها؛ فقد يتحقق الخطر على الحرية مع الاستبداد والظلم، واستناد الليبرالية إلى الديمقراطية؛ لابد أن يصاحبه اعتراف بحقوق للأفراد لا يجوز المساس بها[4].

الليبرالية من الأسس الفلسفية التي تركز على حقوق الإنسان، وهي معروفة بتشديدها الأساسي على القيمة المتساوية للفرد واستقلاله وذاتيته[5]، وتؤكد الليبرالية على أن أعلى خير أو قيمة هو خير الفرد، الذي يوجد من خلال الحرية والمساواة، ومن أسس الليبرالية المؤثرة على حقوق الإنسان الحديثة، مدرسة القانون الطبيعي، الذي يفترض أن الجنس البشري حر ومتساو بطبيعته[6].

الغرض من الجماعة في الليبرالية، هو حماية حقوق الأفراد من حالة الوحشية والبربرية، التي يتعرض فيها كل فرد للاعتداء من جانب الآخرين -حرب الجميع ضد الجميع-

---

(1) كان حق التمرّد ضد الحكومة التي تُقيِّد الحرية الشخصية أحد المذاهب الرئيسية لليبرالية، وقد أوحت الأفكار الليبرالية بالثورة الإنجليزية عام 1688م، والثورة الأمريكية عام 1775م، والثورة الفرنسية عام 1789م. الموسوعة العربية العالمية، 248/21.

(2) المرجع نفسه، 248/21.

(3) التيار الليبرالي العربي وحقوق الإنسان:
http://www.nhrc-qa.org/ar/files/downloads/NADWA-11052008-Nahid_Izzuddin.doc

(4) عن الديمقراطية الليبرالية قضايا ومشاكل، د.حازم الببلاوي، دار الشروق، ط1، 1993م، ص11-12.

(5) حقوق الإنسان والسياسة الدولية، دافيدب. فورسايث، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، الجمعية المصرية، ط، 1993م، ص200.

(6) المرجع نفسه، ص207.

ونقطة البدء عند هوبز هي حقوق الأفراد وحرياتهم، وعند جون لوك[1] الحقوق الطبيعية للأفراد المستمدة من القانون الطبيعي السابق على القوانين الوضعية، والقوانين الطبيعية تفـرض نفـسها على الجميع، ويستمد الأفراد حقوقهم الأساسية منها[2].

فالفكر الليبرالي ليس فقط دعوة إلى الحرية، ولكنه دعوة إلى الفردية، وذلك بوضع مجال للفرد؛ ليتمتع فيه باستقلاله وحريته دون تدخل أو إزعاج، إلا خضوعه للقانون[3].

التطبيق العملي للفكر الليبرالي يتمثل في الديمقراطية، التي تسعى لإعطاء الفرد حقوقـه فهو فكر فردي، يرفض الأفكار الموروثة والفرد هو اللبنة الأولى والأساس في المجتمعات، وهو مسخر لتحقيق غايات المجتمع، ويسعى إلى تحقيق ذاته وأهدافه الخاصة[4].

عندما تبدأ الليبرالية بالفرد فهي بالتالي دعوة عالمية لحقوق الفرد والإنسان، المجردة من أي اعتبار خاص بالجنس أو العرق أو الدين أو الطبقة، فهي لا تعتـرف بـالفرد إلا باعتبـاره إنساناً، بصرف النظر عن دينه أو لونه أو عرقه أو طبقته، وهو أمر لا يـسهل قبولـه دائمـاً، وجوهرها يستند إلى الاعتراف بحقوق أساسية للفرد[5].

تعترف الليبرالية المعاصرة بدور هام للدولة، مع ضرورة الاحتـرام الكامـل لحقـوق الأفراد وحرياتهم[6]، وتعطي الأهمية الأولى لحرية الفرد، ويقول الليبراليون: "على الحكومـة أن تزيل العقبات التي تواجه التمتع بتلك الحرية"[7]، والهدف الحقيقي من هذه الحريات هـو حمايـة الآراء التي تخدم الأفكار الدخيلة، المعارِضَة لما تواضع عليه الناس من آراء، وما اسـتقر فـي مجتمعهم من نظم[8].

تهدف الليبرالية إلى تقييد السلطة الحاكمة، والتسامح من خصائصها الأساسية، والحريـة قيمتها العليا، وهي رقعة محمية من الحياة الشخصية والدفاع عنها، إذ لا يجوز للسلطة الحاكمـة

---

(1) فيلسوف إنجليزي عاش ما بين(1632م- 1704م)، اشتهر بدعوته إلى التسامح الديني، وبدفاعه عن حقوق الإنسان الطبيعية، عرض نظرية الحق الإلهي، وقال: بأن الاختبار أساس المعرفة، ويعتبر مؤسس المدرسة الحسية الحديثة، معجم أعلام المورد، ص392.

(2) عن الديمقراطية والليبرالية، ص12-13.

(3) انظر المرجع نفسه، ص11.

(4) انظر المرجع نفسه، ص12.

(5) انظر المرجع نفسه، ص16، ص19، بتصرف.

(6) المرجع نفسه، ص15.

(7) الموسوعة العربية العالمية، 248/21.

(8) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، دار الفرقان، 1975م، ص116.

اختراقها أو المساس بها[1]، والليبرالية محمية من تعسف السلطة وطغيان الأكثرية؛ لأنها محصنة بالحقوق والحريات المعترف بها دستورياً، والملزِمة للسلطة الحاكمة، وإذا كانت الحقوق والحريات السياسية لا تتضمن المساواة في السلطة أو التأثير؛ فلا مجال لإنكار دورها وأهميتها في العملية الديمقراطية، فهي تفسح المجال وتوفر الفرص أمام المشاركة والتأثير، وإن كانا بدرجات متفاوتة، ومن بين هذه الحقوق المتساوية، الحق في التصويت والترشيح، وحرية التفكير وحرية التعبير، وحرية وسائل الإعلام، وحرية تدفق المعلومات، وحرية التجمع والتنظيم الحزبي وغير الحزبي، وهناك مجموعة أخرى من الحقوق وعلى رأسها الحق في الحياة، والحق في الملكية الخاصة والأمن الشخصي، التي تساعد على اتساع الرقعة المحمية من الحياة الخاصة للفرد، وهذه الحقوق بمثابة قيود على السلطة الحاكمة، قيود تفرض عليها القيام بأعمال معينة وترك أعمال أخرى[2].

الحرية الفكرية في الفكر الليبرالي هي التي يتيحها المجتمع لحق الاختلاف، والسعي نحو قبول الآخر، والتسامح، والميل نحو تجاوز الموروثات المثبِّطة كالخرافات والعادات[3]، ويدافع بعض الليبراليين عن حرية التعبير دون قيد أو شرط، ويرى أن الاختلاف حق لابد فيه من قبول رأي المخالف واحترامه.

مناقشة موقف الليبرالية من حقوق الإنسان:

يتضح أن الليبرالية تسمح لأي فرد بالتعبير عن وجهة نظره أيًّا كانت، ولو تضمنت موضوعاً استفزازياً، أو تعلقت بموقف مجموعة من الأقليات، بل الأكثر منطقية هو الدفاع عن حرية رأي الأقلية المخالف لرأي الأغلبية السائد والمقبول؛ لأنه الأكثر عرضةً للقمع والرفض، فهو الأكثر احتياجاً للحماية، وهو يثير موضوعات ليست محل إجماع، ولها توجهها التغييري مما يجعل الآخرين في المجتمع يعتبرونها تحمل إهانة لمعتقداتهم وأفكارهم الموصوفة بالثوابت أو المقدسات[4]؛ لذا يقول رونالد دفوركن: "تقتضي المساواة السياسية بأن يكون للأعضاء الأكثر ضعفاً في جماعة سياسية، الحق على حكومتهم في الرعاية والاحترام المُساوي لما يضمنه

---

(1) مجلة المستقبل العربي، السنة الثالثة عشر، 1990م، إطلالة على الديمقراطية الليبرالية، سعيد زيداني، 8/135.

(2) المرجع نفسه، 11/135.

(3) الحريات الفكرية، تقديم: د.إسماعيل سراج الدين، إعداد: د.جابر عصفور، د.محسن يوسف، منتدى الإصلاح العربي، مكتبة الإسكندرية، 2006م، ص149.

(4) التيار الليبرالي العربي وحقوق الإنسان:
http://www.nhrc- qa.org/ar/files/downloads/NADWA-11052008-Nahid_Izzuddin.doc

الأعضاء الأكثر قوة لأنفسهم؛ ذلك أنه إذا كانت لبعض الأفراد حرية اتخاذ القرارات أيّاً كانت نتائجها على النفع العام، فينبغي أن يتمتع كافة الأفراد بالحرية ذاتها"[1].

وهذا يعني أن الليبرالية تَخرجُ عن مقدسات الدين الحق وثوابتِه، فلا تضع اعتباراً لمبادئ الإسلام وعقائد المسلمين الصحيحة الراسخة، وقد يتعدى ذلك إلى الاستهزاء بالقيم والمعتقدات الإسلامية تحت شعار حرية الرأي، وقد تساندِ رأى الأقلية في الدولة المسلمة، أو تَدعَم الحركات أو التيارات الهدَّامة بادعاء التركيز على حرية الأفراد وحرية التفكير.

إذا كانت الليبرالية تعترف بحقوق الأفراد وحرياتهم، وهي قادرة على التسامح والتعايش مع مختلف القيم التي يؤمن بها كل فرد –كما يذهب إلى ذلك الليبراليون– طالما لا يَحُولُ ذلك دون تمتع الغير بحق مقابل، وهذا التسامح في التعايش مع مختلف الآراء والمعتقدات، أعطى لليبرالية نضجاً وعمقاً في عدم الانسياق وراء المُطْلَقات[2]، فإن الليبرالية بذلك تتبنى المنهج العلماني في الدفاع عن حريات التفكير والتعبير والاعتقاد، المنهج الذي لا يضع أي اعتبار للدين والأخلاق والثوابت، فلا مطلقات في الليبرالية، ولا مراعاة للعقائد الثابتة الصحيحة، بل تساوي بينها وبين العقائد الباطلة الفاسدة، وهو هدف تسعى له المذاهب والتيارات الفكرية الإلحادية العلمانية المنحرفة؛ لهدم الدين والعقائد؛ ولتضيْعَ القيم ويصبح الإنسان عبداً لِهواه وشهواته وأفكاره، التي لا يوجهها وحي أو شرع؛ ليسود الطواغيت وعلى رأسهم اليهود.

إن من تناقضات الليبرالية، أنَّه لو صار حكمُ الأغلبيّة لأصحاب المشروع الإسلامي، واختار عامة الشعب الحكم بالإسلام؛ فستنزعج الليبراليّة انزعاجاً شديداً؛ لأن مهمة الليبرالية –كنظام كفري– محاربة الإسلام، قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ**﴾ [سورة الأنفال:36]، وستشن على هذا الاختيار الشعبي حرباً شعواء، وستندِّدُ بالشعب وتزدري اختياره، وستطالب بنقض هذا الاختيار وتسميه إرهاباً وتطرفاً وتخلفاً وظلاميّة ورجعيّة، كما قال الله تعالى:﴿**وإذا ذُكِر اللهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قلوبُ الذين لا يُؤمِنُونَ بِالآخرةِ وَإذا ذُكِرَ الذينَ مِنَ دونِهِ إذا هُم يَستَبشِرُونَ**﴾ [سورة الزمر:45][3].

(1) ما الديمقراطية، ص39.

(2) عن الديمقراطية والليبرالية، ص19، بتصرف.

(3) تعريف الليبرالية: http://www.zmzm.net/vb/showthread.php?t=49396 .

المطلب الرابع: قصور المواثيق الدولية في حماية حقوق الإنسان:-

إن المواثيق الدولية التي هي من وضع البشر، الذين هم بحاجة لمن يوجههم أو يــشرع لهم؛ لاتصافهم بالعجز والضعف والفقر، قد بَعُدَتْ تحقق المأمول منها؛ لوجوه متعددة منها:

أولاً: القصور:

إن كافة المواثيق والمعاهدات والاتفاقيات الدولية، الصادرة عن هيئــة الأمــم المتحــدة، قاصرة عن تحقيق المأمول منها، وهو حماية حقوق الإنسان ومواجهة منتهكيها بجرمهم؛ لاتساع نطاق الاعتداء على الحقوق بشكل لم يسبق له مثيل، ففــي فلــسطين المحتلــة قتــل وتــشريد للفلسطينيين، وهدم ودمار لبيوتهم وممتلكاتهم من قِبَل الصهاينة، وهم يعلمون أن ذلك اعتداء على حقوق الآخرين، فلا يمر يوم دون الإضافة لمأساة الفلسطينيين، وفي بيت المقدس هدم وعــدوان، وفي أفغانستان لا يزال المسلمون يضحون بأرواحهم في سبيل حقوقهم المسلوبة، وإذا كان الأمر هو انتهاك لحقوق الإنسان في أي بقعة من بقاع العالم، فالإشارة بــذلك تــأتي مــن الأمريكــان الغاصبين(1).

إن السبب في عدم جدوى هذه المواثيق؛ هو القصور، والتحيز في تطبيقها، وفــي عــدم إلزامها، والصورة القاتمة التي تسود العالم، من انتهاكات لحقوق الإنسان، هي مــرض أصــاب البشرية وأصبح داءً عضالاً، والمريض لا يستطيع أن يعالج نفسه، خاصــة إذا كانــت أفكــاره الطبية بدائية، وإذا كان المرض قد تمكن من جميع أجزاء جسمه، فلابد أن يلجأ المــريض إلــى خالقه سبحانه وتعالى، فهو العليم بدائه والخبير بدوائه، قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**﴾ [سورة ق:16]، أما إذا تركنا المريض وشأنه، يحاول تطبيب نفسه -كمــا هو حادث الآن- فإن المرض سيستمر وسينتشر، وتكون عاقبته الموت؛ لأنه لم يلجأ إلى خالقــه سبحانه وتعالى(2).

من أوجه قصور قوانين واتفاقيات حقوق الإنسان، أن نصوصها قابلة للتعديل والتبــديل والحذف والإضافة، طبقاً لأهواء القائمين على وضعها ومصالحهم المتغيرة، وهذا غير موجــود في الشريعة الإسلامية؛ لأنها شريعة كاملة، ونعمة أتمها الله ورضيها لعباده ديناً، قــال تعــالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ [ســورة المائدة:3]، ولا يستطيع أحد أن يمسَّها بتبديل أو تغيير؛ لأن حافظهــا هــو الله ســبحانه، حيــث

---

(1) انظر حقوق الإنسان وواجباته في القرآن، حسن أحمد عابدين، ص29.

(2) انظر المرجع نفسه، ص30.

يقول:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر:9]، وهي موجودة في كتابٍ كما قال تعالى:﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:42]، ولا مجال فيها لإضافة أو تعديل؛ لأنها من عند الله الذي خلق الإنسان، وعَلِم ما يصلحه وما يفسده[1].

إن قواعد القانون الداخلي والإعلانات العالمية، التي تُشِيد بحقوق الإنسان وتدعو إليها، تفقد الأساس الفكري لنظام الحقوق والحريات، الموجود في الإسلام، وهو العقيدة الإسلامية، ونظام الأخلاق ونظام العبادات[2].

ثانياً: الازدواجية في التطبيق والمعايير:

لما كانت المواثيق الدولية والمعاهدات قد وضعها بشر؛ فإنها ستحمل صفات البشر من عدم الكمال، وعدم الإحاطة، بالإضافة إلى الاتجاهات الفكرية والاجتماعية، والانتماءات الدولية، للأشخاص القائمين على وضع هذه المواثيق؛ فلن تخلو من وجود القصور في نصوص هذه المواثيق، وعدم صدق النية في تطبيقها، وما نشاهده الآن لا يجعلنا نهتم بالقصور في النصوص، قدر الاهتمام بحالة عدم صدق النية في التطبيق؛ لأنه حتى هذه النصوص القاصرة، لم تطبق، أو لم يراد لها أن تُطبق، أما إذا فُرِضَ أن هناك من يريد تطبيقها، فإن قصوراً آخر سيقف عقبة في سبيل ذلك، وهو عدم وجود القوة اللازمة والمساعدة على التطبيق، والدليل على عدم صدق النية في التطبيق؛ أن جميع الدول المنتهكة لهذه الحقوق هي من الدول الموقعة على احترامها وحمايتها، وهي دول شملتها المنظمة الدولية في عضويتها[3]، وليس عنا ببعيد انتهاك حقوق الإنسان في فرنسا، وفي غيرها من البلدان العربية والغربية، التي تمنع الحجاب في المؤسسات الحكومية، وفي الجامعات والمدارس، على الرغم من أنه حق شرعي للمسلمات، أضف إلى ذلك الاعتداء على حق التدين بالإسلام -ذلك الدين الحق- وانتهاكٌ لحرمة كتاب الله العزيز، وحرقه في الولايات المتحدة الأمريكية، على مرأى ومسمع من الحكومة الأمريكية، التي تزعم أنها الراعي الأول لحقوق الإنسان في العالم، ولو كانت الولايات المتحدة معنية بحفظ حقوق الإنسان، ورعايتها وحمايتها؛ لمنعت ذلك وعاقبت عليه، ولكن حقيقة التحيز لحقوق الإنسان الغربي، تظهر للعيان، ولو كان فيها تعد على حقوق الآخرين.

---

(1) الموسوعة العربية العالمية، ص32.

(2) التعايش السلمي في الإسلام، ص28.

(3) انظر حقوق الإنسان وواجباته في القرآن، حسن أحمد عابدين، ص30.

وليس أسخف من أن تُصْدِر الأمم المتحدة القرار تلو الآخر؛ ويُضْرَب به عرض الحائط ولا ينفذ منه شيء، ولا يمكن أن تكون هناك أوضاعاً مقلوبة أكثر من أن يُبطِل رأي الفـــرد مـــا يُجْمِعُ عليه الآخرون، ولا يستطيع المجموع أن يتخذ قراراً لرفـــع ظلـــم أو لنـــصرة حـــق، إذا اعترض على ذلك فرد واحد، أو دولة صاحبة قوة، كما تفعل ذلـــك الولايـــات المتحـــدة بحـــق الفيتو[1]، أليس هو حق لفرض الظلم، وإجازة الاعتداء على الحقوق دون رادع؟ أليس هـــذا هـــو منطق الحق للقوة، الذي ساد شريعة الغاب؟ فالعامل المتحكم الآن في تطبيق حقوق الإنسان، هو عامل الإلزام، أو القوة اللازمة للتطبيق –وهي غير موجودة– بعكس النصوص المتعلقة بحقـــوق الإنسان في الإسلام، فهي جامعة مانعة، جاءت من عند الله الحكيم الخبير، يـــسبق العمـــل بهـــا، الإيمانُ بموحيها سبحانه وتعالى، ومبلغها رسول الله ﷺ، إيمانٌ يجعل الحارس على تطبيق هـــذه النصوص حارساً يَقِظاً، موجوداً داخل كل إنسان، وهو الخوف من الله سبحانه، فحقوق الإنـــسان في الإسلام هي أوامر من الله تعالى، واجبة التنفيذ على الكبير والصغير، وعلى الأمير والحقير، ليس فيها مجال للمجاملة أو للمخادعة، وهي نصوص وأحكام تشريعية، وليست مجرد توصـــيات حضارية[2].

ثالثاً: التأثر بتحيز الدول القوية:

لما كان مفهوم القانون الدوليّ لحقوق الإنسان يستند إلى الشرعية الدولية، فهو موضع قبول من المجتمع الدولي، فهناك تعارضٌ بين الشرعية الدولية لحقوق الإنسان، وبين التطبيق الغربي لهذه الشرعية ولتلك الحقوق، وهو أمر يمثِّل تحدِّياً للشعوب؛ للدخولِ في مواجهةٍ غير متكافئة مع القـــوة الكبرى، الساعية إلى الهيمنة على مقدرات العالم، تحت دعاوى العَوْلمة، التي في ظلِّها تُنْتَهك حقـــوق الإنسان، وهذا يجعلنا لا نسلم بعالمية حقوق الإنسان، وفق التفسير الغربي لها[3].

يجب أن يتعامل المجتمع الدولي مع حقوق الإنسان، تعاملاً منـــصفاً دون تمييـــز، مـــع احترام خصوصيات المجتمعات الأخرى، التي نزلت بها الشرائع الـــسماوية، وتُقِرُّهـــا المواثيـــق الدولية.

لقد أخذ العديد من المفكرين يعارضون التوجّه الغربي، الهادف إلـــى فـــرض التفـــسير والتطبيق الغربيين، للإعلان العالمي لحقوق الإنسان على العالم؛ لأن أسس حقوق الإنسان التـــي

---

(1) أي سلطة الاعتراض على قرارات مجلس الأمن، ورفض كل ما يتعارض مع مبدأ الأقوياء الظالمين، انظر الموسوعة العربية العالمية، 646/17.

(2) انظر حقوق الإنسان وواجباته في القرآن، حسن أحمد عابدين، ص31.

(3) حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية:
http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Taalim/taalim.php

تعتمد ازدواجية المعايير، وتفرضهما على الأمم والشعوب، كسياسة متبعة، تتسم بروح الهيمنة[1].

رابعاً: نقص الضمانات:

إن من قصور المواثيق الدولية في حماية حقوق الإنسان، أن معظمها لا تتضمن نصوصاً تمنع الانتحار، ولا تعتبره جريمة يعاقب عليها القانون، ويرى بعضهم أن لا جدوى من إيراد مثل هذه القوانين؛ لمعالجة هذه الجريمة، إذ العقوبة إنما تشرع في مواجهة المجرم وهو على قيد الحياة، وهذا منتحرٌ قد أصبح جثةً هامدة، فكيف تُحاكَمُ الجثث؟ ومن هنا كان العنصر الاعتقادي في الإسلام، أنجح في معالجة الجرائم واستئصالها، إذ رتب نوعين من الجزاء، فإن أفلت من الجزاء الدنيوي، فالأخروي له بالمرصاد[2].

ليس للإعلان العالمي لحقوق الإنسان قوة إلزامية، وإن كان من المسَلَّم به لدى الدول أنه كدستور ينبغي أن تتقيد به كل دولة، وليس أدل على ذلك؛ من معاملة اليهود للفلسطينيين المناهضين لها بوحشية، لم يشهد العالم لها نظيراً، في حين أنهم يجاهدون؛ دفاعاً عن حقوقهم وبلادهم؛ لأنهم هم أصحابها الشرعيون، فأصبح المغتصب القادم من أقاصي البلاد ذو حق! والمعتدى عليه، صاحب الأرض الشرعي المجاهد في سبيل دينه وبلاده مخرِّبٌ! إنه منطق عجيب! إنه منطق العنصرية، ولو كانت الدولة في فلسطين إسلامية؛ لكان اليهود رعايا يُحكَمون بعدل الإسلام، ويعاملون على قدم المساواة، ذلك هو تشريع الله، وشتان بينه وبين عنصريتهم[3].

لقد انحرفت حماية حقوق الإنسان عن مقصدها، واتجهت اتجاهاً مخالفاً للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ولن يكون لحقوق الإنسان أثرٌ طيبٌ، إلا بتكريس هذه الحقوق من الاختيار إلى الإلزام؛ لتحقيق هذه الحماية، إذ لا يمكن تصوّر الحماية، إلاَّ باتخاذ إجراءات محدّدة على المستوى القانوني، فحقوق الإنسان عند الغرب تفتقد عنصر الإلزام؛ مما جعلها جوفاء بلا معنى، وصورية بلا مضمون عملي، بينما لحقوق الإنسان في الإسلام عنصر الواجب؛ الذي يلغي معنى الأثرة فيها؛ ليجعلها ذات وظيفة اجتماعية، ترعى حق الغير من الأفراد والمجتمع[4].

---

(1) كيف نواجه الإرهاب: http://fcdrs.com/woresh/005.html .

(2) دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، 97/1.

(3) خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم،د.فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1982م، ص407.

(4) انظر دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، 83/1، بتصرف.

لقد كانت اتفاقيات حقوق الإنسان عند الغرب، قاصرة عن استيفاء الحقوق الشاملة والواضحة، التي جاء بها الإسلام للطفل والمرأة والرجل، وليس أدل على قصورها وفقدانها لعنصر الإلزام، من عدم ردع منتهكيها والأخذ على أيديهم[1].

خامساً: التناقض:

إن من تناقضات حقوق الإنسان عند الغرب، أنها ساوت بين الرجل والمرأة، في ميدان الفاحشة والجنس والرذيلة، وفرقت بينهما في ميدان الأجور مثلاً، وبعض القوانين الأوربية تعطي المرأة نصف أجر الرجل، وتمنعها من الاحتفاظ باسم عائلتها، بل تكتسب اسم عائلة زوجها، وأهملت النظر في الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة، وكلَّفت المرأة بأعمال لا تتناسب وطبيعتها، وحَرَمَتْها من الأعمال الرئيسية الضرورية لها، كرعاية بيت الزوجية وتربية الأولاد، فمزقت الأسرة تمزيقاً شل قدرتها على الوفاء بواجبها نحو المجتمع[2].

حقوق الإنسان عند الغرب لم تستند إلى قواعد راسخة، تحدد مفهوم الشعارات المعلنة؛ ففقدت البعد الإنساني لها، وارتبطت بالنظرة القومية أو الإقليمية، فما تطبقه هذه الدولة أو تلك من حقوق الإنسان، يطبَّق على أساس قومي أو وطني، وتسن القوانين على هذا الأساس، فيقع التضارب والتناقض في كثير من الحالات[3].

---

(1) حقوق الإنسان في الإسلام قيم إلهية وتنظيم بشري، ص26.

(2) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، ط1، 1997م، ص256.

(3) انظر المرجع نفسه، ص255.

الــخــاتــمــة

وتشتمل على أهم ما توصل إليه الباحث من النتائج والتوصيات.

أولا: نتائج البحث.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا العمل، وأسأله تبارك وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه سبحانه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

إن موضوع هذه الدراسة مترامي الأطراف، فلا يتسنى للباحث أن يلم به في بحث واحد، فلا غَرْوَ أن يكون القصور طابع هذا البحث، والإشفاق والتخوف والحذر مشاعر الباحث، قبل وأثناء وبعد إتمام البحث، وقد كنت وما زلت وسأظل معتمداً على فضل الله وعونه، ومتقرباً إليه سبحانه بإخلاص النية وسلامة الضمير وحب الخير والحق.

وبعد إتمام هذا البحث؛ يمكن إجمال ما توصل إليه الباحث من النتائج التي أتت متنوعة حسب موضوعات البحث ومطالبه، وهي كما يلي:

1- تهدف التيارات الوافدة بمبادئها الهدامة إلى تدمير الإنسان، وإلى هدم الأخلاق التي قررها الإسلام؛ وذلك بترويج المفاهيم المادية الزائفة بتصور الإنسان تصوراً حيوانياً يخضع لشهوتي البطن والفرج؛ لإيجاد أجيال تعسة فاسدة منحلة لا تستطيع حماية مقدَّرَاتها ومقدساتها.

2- أفكار التيارات الوافدة ليست مناسبةً لمجتمعاتنا الإسلامية؛ لأنها تتسم بسمة الاستعلاء والعنصرية الغربية القائمة على فكرة فاسدة، وهي فكرة الخطيئة الأصلية، التي تصور الإنسان مذنباً طوال حياته.

3- يظهر خطأ الفكر الغربي في إدعائه أن الإنسان سيد الكون، وأنه هو الموجود الوحيد فيه أولاً، وأنه حيوان تسيِّره غرائزه وشهواته ثانياً، والحقيقة التي لا مراء فيها أن الإنسان مخلوق مكرَّم؛ خلقه الله تعالى مستخلَفاً في الأرض، وَوَكَل إليه عمارتَها بميثاق الأمانة والمسؤولية.

4- إن بناء الفلسفة البرجماتية على أساس المنفعة والنتائج العملية؛ يحوِّل المجتمع لذئاب تتصف بالأثرة والمصالح المادية، ويكون سبباً في إشاعة الضلالات والمذاهب الفاسدة مادامت أنها نافعةٌ ومرضيةٌ لأفراد أو جماعات.

5- الشيوعية حركة مادية إلحادية؛ تهدف إلى سلخ الناس من سلطان الدين ومقدسات القيم والأخلاق، فالدين عندهم من صنع الإنسان ويخضع لأسباب اقتصادية؛ لتحقيق أهداف اجتماعية، والإنسان ليس إلا حيوان تسيره غرائزه وشهواته، لا ملكية له ولا أسرة، بل كل ما عنده ملك للدولة، وقد وُجِد في هذا الكون بفعل المادة.

6- الرأسمالية نظام مادي يبيح الملكية الفردية بشكل مطلق يطغى على حساب الجماعة، ويمتهن الإنسان ولا يعترف بقيم أو أخلاق أو حلال أو حرام، ولا تعترف بحقوق إنسانية للفقير والمسكين في المال، سوى ما تفرضه الدولة من ضرائب، وهي سبب في انتشار الظلم والربا وأكل أموال الناس بالباطل.

7- لقد ثبت بيقين قاطع فسادُ النظرية الدارونية في نظرتها للإنسان التي اقتصرت على أوجه الشبه الجسدية بين الإنسان والقرد، وأغفلت الجوانب الأخرى التي يتميز بها الإنسان كالجانب النفسي والعقلي، وقد عُلم بطريق الوحي المنزل كيفية خلق الإنسان ابتداءً وعدم تطوره عن مخلوق سابق له، وإننا لم نشاهد أي ارتقاء من أي نوع من الأحياء منذ آلاف السنين، كما أننا نعلم أن غرض هذه النظرية هو بيان حيوانية الإنسان وامتهانه، وإبعاده عن هدفه في الحياة؛ ليتسنى لليهود الذين ساعدوا على نشر هذه النظرية الاستيلاء على الشعوب ونهب مقدراتها وخيراتها.

8- يتفق الوجوديون على سبق وجود الإنسان على ماهيته، وهي فكرة فاسدة فلسفياً ومنطقياً؛ لأنها تنفي الغاية من خلق الله تعالى للإنسان، وأن الإنسان وجد أولاً ولا خالق ولا رب له، بل هو يخلق نفسه بفعله، ولو قدمت ماهية الإنسان على وجوده؛ لأصبح وجوده مُوجَّهاً نحو غاية معينة، ولأصبح تقدم ماهية الإنسان على وجوده بمثابة قوة موجِّهة لوجوده، وهذا ما يرفضه الوجوديون؛ حتى لا يكون لوجوده غاية وهدف في الحياة، وهي لم تَدْعُ إلى الإباحية بشكل صريح؛ بل أطلقت حرية الإنسان فأدى ذلك لنشر الإباحية ونبذ القيم والأخلاق، ولقد ترتب على تيار الوجودية ظهور مذهب العبثية، ذو مفاهيم القلق والاضطراب والحيرة والعبث واللامعنى، والدعوة إلى الضياع وعدم المبالاة بالحياة، الأمر الذي أدى إلى نشر الإباحية والرذيلة والتنكر للحياة الآخرة، الأمر المتناقض مع الإسلام تمام التناقض؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان لهدف وغاية معروفة.

9- تسعى الفلسفة الواقعية إلى التعامل مع الواقع دون اعتبار لمُثُل أو قيم، فالواقع هو معيار سلوك الإنسان، والإنسان حيوان تسيره غرائزه وأهواؤه كما التيارات الوافدة الأخرى؛

فبالتالي يباح كل شيء وتنتشر الرذيلة وتنحسر الفضيلة، فلا مكان لعقل الإنسان في هذا الكون ولا لإرادته.

10- يَخلُص الباحث إلى أن مذهب الإنسانية هو وجه آخر من وجوه العلمانية، المنتشرة بقوة في البلاد الغربية؛ الرامية لسلخ الناس من دينهم وعقائدهم وقيمهم ونشر الإلحاد بينهم؛ فتذهب الإنسانية إلى أن الإنسان إذا أجبر على اعتناق دين بعينه؛ قُضي على فرديته وشخصيته، وأصبح أسيراً لقوىً خارجةٍ عنه، فهي تُركِّز على جانبه الحيواني، وتغفل جانبه الروحي والديني.

11- إن حقوق الإنسان في الإسلام منحة من الله تعالى للإنسان، بمقتضى فطرته التي فطره الله عليها؛ ليكون خليفة في الأرض، وتقوم على تكريم الله تعالى له، وتختلف الحقوق باختلاف التكريم؛ لأن الإنسان مُكرَّم بمظاهر التكريم العامة، التي تعم المسلم وغيره، ولكن المسلم مكرم بأمور زائدة على الكافر، وترتبط حقوق الإنسان في الإسلام بالضرورات الخمس، التي جاءت الشرائع بحفظها وهي واجبات شرعية ثابتة لا تقبل الإلغاء ولا التبديل وتتمتع بضمانات لحمايتها من الانتهاك.

12- لما كانت حقوق الإنسان وواجباتُه عند الغرب تقوم على أساس نظرية الحقوق الطبيعية، ومبادئ العدالة والحرية الفردية، لم يعد للدِّين مجال يذكر في الظواهر المتعلقة بالتنظيم الاجتماعي والسياسي، فالحق عندهم هو أساس القانون وليس العكس، وهدفها تقرير القيم الغربية للحياة، والدعوة إلى العلمانية، كذلك فإن الحقوق في مذهب الديمقراطية منحازة لجانب الفرد وغير مضبوطة بضوابط الشرع، فلا تنظر إلى حقوق الله على عباده، ولا إلى الحقوق العامة بعدل، ولا لحقوق المجتمع على الأفراد.

13- إن حقوق الإنسان عند الغرب هي من وضع البشر؛ لذا فهي تحمل صفاتهم، من عدم الكمال وعدم الإحاطة، وهي قابلة للتعديل والتبديل والحذف والإضافة، ومتأثرة بأهواء القائمين على وضعها وبمصالحهم المتغيرة، وهذا غير موجودٍ في الإسلام، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ليس لديه قوةٌ إلزاميةٌ للدول القوية؛ لحجزها عن الظلم والقهر، فليس أدل على ذلك من معاملة الغاصبين المحتلين للشعوب المحتلة بقسوة بالغة وهدم وقتل وتدمير، وبالأخص معاملة اليهود المحتلين والأمريكان الغاصبين.

14- تركز الليبرالية على حقوق الإنسان، وتهتم بالفرد، والتطبيق العملي لها يتمثل في الديمقراطية، التي تسعى لإعطاء الفرد حقوقه، وهي دعوة عالمية لحقوق الإنسان، تتبنى

المنهج العلماني في الدفاع عن حريات التفكير والتعبير والاعتقاد، ولا مراعاة فيها للعقائد الثابتة الصحيحة، بل تساوي بينها وبين العقائد الباطلة الفاسدة، وتـدعو الليبراليـة إلـى المساواة السياسية وذلك بأن يكون للأعضاء الضعفاء في جماعة سياسية حقٌ مُـساوٍ لمـا يضمنه الأعضاء الأقوياء؛ تمكيناً للأقلية من الوصول للحكم ولو كانت أقلية فاسدة.

ثانيا: توصيات الباحث.

1- إفراد دراسات مستقلة تدرس منزلة الإنسان والغاية من وجوده، فـي غيـر المـذاهب والتيارات الفكرية التي تناولها الباحث في دراسته، وهي كثيرة ومتنوعة، يصعب الإلمام بها في بحث واحد، والله الموفق.

2- القيام بنقد المذاهب الفكرية نقداً عميقاً نزيهاً بنَّاءً في ضوء الإسلام، ببيان مالها وما عليها.

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع.

رابعاً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾	30	ج، 8، 11، 15، 116
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾	35-36	2
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ...﴾	96	133
﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى ...﴾	120	109
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾	152	26
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً ...﴾	165	101
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ ...﴾	171	23
﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ ...﴾	177	24، 117
﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...﴾	190-193	25
﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ...﴾	221	140
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ ...﴾	233	119
﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ...﴾	251	149
﴿وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾	275	57
سورة آل عمران		
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ ...﴾	14	52

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ...﴾	60	66
سورة الأنعام		
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾	57	123
﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾	62	123
﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ...﴾	98	5
﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ ...﴾	117-116	117
﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾	125	10
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	140	119
﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾	151	119
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾	165	9
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ ...﴾	11	12
﴿وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ ...﴾	69	11
﴿قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ...﴾	129	12
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾	172	109
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ...﴾	176	28
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ...﴾	179	14، 19، 86
﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	185	7

الآية	رقمها	الصفحة
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾	189	5
سورة الأنفال		
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾	22	23
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ ...﴾	36	156
سورة التوبة		
﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	28	10
﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾	31	148
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا ...﴾	34	52
﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	105	20
سورة يونس		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	14	10
سورة هــود		
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً... إلا الَّذِينَ صَبَرُوا...﴾	9-11	15
﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ...﴾	57	12
سورة يوسف		
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾	40	148
سورة الرعد		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...﴾	70	13، 14، 15، 133
﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾	81	149
سورة الكهف		
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ...﴾	28	29
﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾	51	2
﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا ...﴾	51	66
سورة مريم		
﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾	58	2
﴿﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾	59	10
سورة طه		
﴿فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾	16	28
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً...﴾	124	22، 96
سورة الأنبياء		
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴾	47	28
سورة المؤمنون		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ... فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾	5-7	26
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن ... أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	12-14	4
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	115	72، 95، 96

الصفحة	رقمها	الآية
37، 94	64	﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ ولَعِبٌ﴾
		سورة الروم
65	20	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ...﴾
27، 101	30	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ ...﴾
		سورة لقمان
84	25	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... لَا يَعْلَمُونَ﴾
149	30	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ...﴾
25	32	﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ...﴾
		سورة السجدة
3	6-9	﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ... وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾
3، 65	7	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾
65	8	﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾
		سورة الأحزاب
13، 21	72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ...﴾
		سورة فاطر
125	43	﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾
		سورة يس
6	77	﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
سورة ص		
﴿يا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾	26	11
﴿ولَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّه﴾	26	28
﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾	28	107
﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ﴾	71	65
سورة الزمر		
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾	2	25
﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	6	5
﴿وإذا ذُكِر اللهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قلوبُ الذين ...﴾	45	157
سورة فصلت		
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ ...﴾	11	21
﴿ولَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ولَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ ...﴾	34	26
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ...﴾	42	158
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ...﴾	53	95
سورة الشورى		
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾	10	148
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾	21	101، 148
﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ...﴾	42	122

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الزخرف		
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ﴾	60	9
سورة الدخان		
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾	38	72
سورة الجاثية		
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ...﴾	13	7
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ...﴾	24	95
سورة محمد		
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ...﴾	12	14، 85، 138
سورة الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ...﴾	6	120
﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾	11	121
﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾	12	121، 133
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	13	120
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾	15	24
سورة ق		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾	16	157

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كَلا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى﴾	6	14
سورة العاديات		
﴿إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُود﴾	6	14
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ﴾	2-1	15
﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	3	15

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: قائمة المــراجــع

أولاً: الكتب العربية

القرآن الكريم.

1- الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د.علي جريشة، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، سنة 1990م.

2- الأدب ومذاهبه، د. محمد مندور، دار النهضة، سنة 1979م.

3- إرادة الاعتقاد، وليم جيمس، ترجمة:د.محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية، سنة 1946م.

4- أزمات الشباب أسباب وحلول، محمد أحمد كنعان، دار البشائر، 1990م.

5- الإسلام حضارة الغد، د. يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، سنة1995م.

6- الإسلام في الواقع الأيديولوجي المعاصر، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، سنة 1982م.

7- الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقلة، مكتبة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة 1405هـ.

8- الإسلام والإنسان، د.حسن صعب، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، سنة 1980م.

9- الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، دار الفرقان، سنة 1975م.

10- الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال، دار الوفاء، الطبعة الثانية، سنة 1990م.

11- الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق، د.محمد عمارة، عالم المعرفة، 1985م،

12- الإسلام وحقوق الإنسان، د.محمد خضر، سنة 1977م.

13- الإسلام وحقوق الإنسان، د. القطب محمد القطب طبليه، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، سنة 1984م.

14- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة د.عبد الصبور شاهين، الطبعة الثالثة، سنة 1979م.

15- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، د. موريس بوكاي، ترجمة فوزي شعبان، دار الكتب العلمية.

16- أصل الإنسان وسر الوجود، باسمة كيال، دار الهلال-بيروت، سنة 1982م.

17- أصل الأنواع، تشارلس داروين، ترجمة: مجدي محمود المليجى، تقـديم: سـمير حنـا صادق، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004م

18- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، سنة 1995م.

19- أعلام الفلسفة الحديثة، د.علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة، سنة 1997م.

20- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، محمد الشربيني الخطيب، تحقيـق: مكتـب البحـوث والدراسات، دار الفكر، سنة 1415هـ.

21- الإنسان المتمرد، البيركامو، ترجمة: نهاد رضا، دار عويدات، الطبعـة الثالثـة، سـنة 1983م.

22- الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة العاشرة، سنة 1989م.

23- الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد، دار الإسلام، سنة 1973م.

24- الإنسان والخلافة في الأرض، محمد أمين جبر، دار الشروق، سنة 1999م.

25- الإنسان والكون في الإسلام، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة، سنة 1985م.

26- الإنسان وجوده وخلافته في الأرض، د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطـرودي، مكتبـة وهبة، الطبعة الأولى، 1990م.

27- إنسانية الإنسان في الإسلام، د. آمنه محمد نصير، دار الشروق، الطبعة الأولـى، سـنة 1989م.

28- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، الطبعة الخامسة.

29- تاريخ حقوق الإنسان في التصور الإسلامي، فرج محمود أبو ليلى، الطبعة الأولى، سنة 1994م.

30- تربية النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، أحمد محمد يحيى المقري، سنة 1978م.

31- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الفكر.

32- تعاليم الماركسية، إنجلز، ترجمة فواز طرابلسي، دار الطليعة، الطبعة الرابعـة، سـنة 1977م.

33- التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، إعداد: سور حمن هـدايات، إشراف: أ.د.محمد الرحمن مندور، دار السلام، سنة2001م.

34- التعايش السلمي في الإسلام، محمد سلطان ذوق الندوي، سنة 2006م.

35- التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: د. عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، سنة 1991م.

36- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبيـاري، دار الكتـاب العربي، الطبعة الأولى، سنة 1405هـ.

37- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بـن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، سنة 1999م.

38- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مـصطفى الـسيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبـد البـاقي، مؤسـسة قرطبة، الطبعة الأولى، سنة 2000م.

39- تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بـن عبـاس بـن غنيم، دار الوطن، سنة 1997م.

40- تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، الطبعة الأولى، سنة1981م.

41- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق:عبد السلام هـارون وآخرون، الدار المصرية، سنة 1964م.

42- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضـوان الداية، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة 1410هـ.

43- التيسير بشرح الجامع الصغير، الرياض، سنة 1408هـ.

44- الثابت والمتحول، أدونيس، دار العودة، الطبعة الثلثية، سنة 1979م.

45- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شـاكر، مؤسسة الرسالة، سنة2000م.

46- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مراجعة: محمد إبراهيم الحفناوي، خرَّج أحاديثه: محمود حامد عثمان، دار الحديث، 2002م.

47- الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، سنة 2003م.

48- حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية عشر، سنة 1997م.

49- حرمات لا حقوق، د.علي جريشة، دار الاعتصام، سنة 1986م.

50- الحريات الفكرية والأكاديمية، تقديم: د.إسماعيل سراج الدين، إعداد: د.جابر عصفور، د.محسن يوسف، منتدى الإصلاح العربي، مكتبة الإسكندرية، 2006م.

51- حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة 1992م.

52- الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، د. فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة 1977م.

53- حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، محمد فتحي عثمان، دار الشروق، سنة 1402هـ.

54- حقوق الإنسان في الإسلام قيم إلهية وتنظيم بشري، د.عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، سنة 2006م.

55- حقوق الإنسان في الإسلام، تصدير: د.إبراهيم مدكور، شرح: د.عدنان الخطيب، دار طلاس، الطبعة الأولى، سنة 1992م.

56- حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، 1419هـ.

57- حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والفكر الإسلامي، د. محمد أحمد مفتي، د. سامي صالح الوكيل، دار النهضة الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة 1992م.

58- حقوق الإنسان والسياسة الدولية، دافيد ب. فورسايث، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، الجمعية المصرية، سنة 1993م.

59- حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، أسامة الألفى، دار الوفاء.

60- حقوق الإنسان وواجباته في القرآن، حسن أحمد عابدين. (بدون معلومات الطبع).

61- الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، د.محمد رأفت عثمان، دار الضياء، الطبعة الرابعة، سنة1991م.

62- حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم، د.أبو اليزيد العجمي. (بدون معلومات الطبع).

63- حقيقة الشيوعية، أمين شاكر، سعيد العريان، علي أدهم، دار المعارف، الطبعة الثانية.

64- الحكومة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي، تعريب: أحمد إدريس، المختار الإسلامي، 1976م.

65- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، د. يوسف القرضاوي، سنة 1971م.

66- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة 1989م.

67- خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، مؤسسة الرسالة، د.فتحي الدريني، الطبعة الأولى، سنة 1982م.

68- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، سنة 2002م.

69- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، د. عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، سنة 1993م.

70- خلق الإنسان بين العلم والقرآن، د. حمد الرقعي، الدار الجماهيرية، الطبعة الأولى، سنة 1425هـ.

71- دائرة المعارف الحديثة، أحمد عطية الله، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1979م

72- دراسات في العقيدة الإسلامية، أ.د. أحمد محمد الجلي، سنة 2002م.

73- دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د. محمد زكي العشماوي، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة 1994م.

74- دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، د. فتحي الدريني، دار قتيبة، سنة 1988م.

75- الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، 1980م.

76- رسالة "لا يصح أن يقال الإنسان خليفة الله في أرضه فهي مقولة باطلة "، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار الثقة، سنة 1991.

77- سنن أبي داود بحاشيته عون المعبود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، دار الكتاب العربي.

78- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، سنة 1420هـ.

79- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة.

80- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، سنة 1392هـ.

81- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، سنة 1422هـ.

82- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل.

83- ضد دوهرنج، إنجلز، ترجمة محمد الجندي، خيري الضامن، دار التقدم، سنة 1984م.

84- العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة، د.عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1980م.

85- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة.

86- عن الديمقراطية الليبرالية قضايا ومشاكل، د.حازم الببلاوي، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة 1993م.

87- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة.

88- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي.

89- الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الرابعة.

90- فلسفات تربوية معاصرة، د. سعيد إسماعيل علي، عالم المعرفة، سنة 1995م.

91- الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ .م بوشنسكي، ترجمة د. عزت قرني، عالم المعرفة، سنة 1992م.

92- الفلسفة والإنسان، د. فيصل عباس، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة 1996م.

93- فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف، سنة 1982م.

94- في الرومانسية والواقعية، د. سيد حامد النساج، مكتبة غريب، سنة 1969م.

95- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، دار الشروق، 2003م.

96- القانون الدولي لحقوق الإنسان مقارناً بالشريعة الإسلامية، محمد الحسيني مصيلحي، دار النهضة العربية، سنة 1988م.

97- القانون الدولي لحقوق الإنسان، د.عروبة جبار الخزرجي، دار الثقافة، الطبعة الأولى، سنة 2010م.

98- قراءة نقدية في وجودية سارتر، د.علي حنفي محمود، المكتبة القومية الحديثة، سنة 1996م.

99- القرآن وقضايا الإنسان، د.عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف.

100- قصته الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة: د.فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، الطبعة السادسة، سنة 1988م.

101- كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة 1969م.

102- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة.

103- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري جار الله تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي عوض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، سنة 1998م.

104- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، سنة 1998م.

105- كواشف زيوف في المذاهب الفكريّة المعاصرة، عبد الرّحمن حسن حَبَنّكة الميداني، دار القلم، الطبعة الثانية، سنة 1991م.

106- الكيد الأحمر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، الطبعة الثالثة، سنة 1991م.

107- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص الدمشقي الحنبلي، تحقيق:عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة 1998م.

108- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، الطبعة الأولى.

109- ما الديمقراطية؟، آلان تورين، ترجمة: عبود كاسوحة، وزارة الثقافة-دمشق، سنة 2000م.

110- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، دار التقدم، سنة 1938م.

111- الماركسية بين النظرية والتطبيق، د. عبد المنعم النمر، دار الأندلس.

112- مآلات الخطاب المدني، إبراهيم السكران. (بدونمعلومات الطبع)

113- المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقاء، مطبعة طرابين، الطبعة العاشرة، سنة 1968م.

114- مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، د. محمد رشوان، دار الثقافة، الطبعة الثانية، سنة 1984م.

115- المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، اتحاد الكتاب العرب، سنة 1999م.

116- المذاهب الفكرية المعاصرة، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، سنة 2006م.

117- المذاهب الفلسفية المعاصرة، سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، سنة 1973م.

118- المذاهب الوجودية، ريجيس جوليفيه، ترجمة: فؤاد كامل، دار الآداب، الطبعة الأولى، سنة 1988م.

119- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، سنة 2001م.

120- مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، محمد جواد مغنية، دار الجواد.

121- مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، د. توفيق الطويــل، مكتبــة النهــضة،الطبعة الأولى، سنة 1953م.

122- المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، د. عدنان علي رضــا النحــوي، دار النحوي، الطبعة الأولى، سنة 1997م.

123- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيــق: حــسين سليم، دار المأمون للتراث- دمشق، سنة 1984م.

124- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هــلال بــن أســد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة 2001م.

125- معالم الثقافة الإسلامية، د.عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، سنة 1982م.

126- معجم أعلام المورد، تأليف: منير البعلبكي، إعــداد: د.رمــزي البعلبكــي، دار العلــم للملايين، الطبعة الأولى، 1992م.

127- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، عبد السلام هارون. (بــدون معلومــات الطبع).

128- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية. (بدون معلومات الطبع).

129- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، سنة 1928م.

130- المعجم الفلسفي، د. عبد المنعم حنفي، الدار الشرقية، الطبعة الأولى، سنة 1990م.

131- المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، دار الثقافة الجديدة، ط3، 1979م

132- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية، سنة 1988م.

133- معجم المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيــق: شــهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، الطبعة الثالثة، سنة 1998م.

134- معركة التقاليد، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة السادسة عشر، 1992م.

135- مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، سنة 2000م.

136- المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، يوسف الصديق.

137- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيــق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.

138- مفهوم الحرية، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، سنة 1993م.

139- مقال في الإنسان، د. عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، الطبعة الثانية، سنة 1993م.

140- مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، د.عبد الوهاب جعفر، دار المعرفة، سنة 1988م.

141- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة 1979م.

142- مقدمة في الفلسفة العامة، د. يحيى هويدي، دار الثقافة، الطبعة التاسعة، 1989م

143- مقومات الإنسانية في القرآن الكريم، د.أحمد ابراهيم مهنا، سنة 2000م.

144- المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، إعداد: د. يحيى بن محمد حسن زمزمي، 1424هـ.

145- الموافقات في أصول الأحكام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، دار الفكر.

146- موت الإنسان، د.عبد الرازق الدواي، دار الطليعة، الطبعة الأولى، سنة 1992م.

147- المورد قاموس انجليزي-عربي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة والثلاثون، سنة 2003م.

148- موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، تقديم: الرئيس شارل حلو، إعداد: أ. روني إيلي ألفا، مراجعة: د.جورج نخل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة 1992م.

149- موسوعة السياسية، د.عبد الوهاب الكيالي، دار الهدى.

150- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة 1999م.

151- الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، دار الشعب، سنة 1965م.

152- الموسوعة الفلسفية الشاملة، د. محمد عبد الرحمن مرحبا، دار عويدات، سنة 2000م.

153- الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، سنة 9880م.

154- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الطبعة الرابعة، سنة 1420هـ.

155- موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، أ.د مروان إبراهيم القيسي، سنة 2005م.

156- موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، خديجة النبراوي، دار السلام، الطبعة الثانية، سنة 2008م.

157- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، سنة 2001م.

158- موسوعة مشاهير العالم، ج. ج. باكسون، دار الصداقة العربية، الطبعة الأولى، سنة 2002م.

159- موسوعة مشاهير العالم، د. نبيل موسى، دار الصداقة العربية، الطبعة الأولى، سنة 2002م.

160- موسوعة مشاهير العالم، موريس فرادوارد، دار الصداقة العربية، الطبعة الأولى، سنة 2002م.

161- موقف الإسلام من الاشتراكية أو نظرية التملك في الإسلام، مناع القطان، دار الثقافة.

162- موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، أحمد العوايشة، دار مكة، الطبعة الأولى، 1982م.

163- موقف الدين من العلم، علي فؤاد باشكيل، ترجمة: أورخان محمد علي، دار الوثائق، سنة 1985م.

164- نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب، دار الشروق، سنة1975م.

165- نشوء وانهيار الإمبراطورية الشيوعية، ميشال هيلر، ترجمة: د.نظير جاهل، د.حسن الضيقة، شركة المطبوعات، الطبعة الثانية، سنة 1992م.

166- النظام السياسي الإسلامي، د.منير حميد البياتي، دار البشير، الطبعة الثانية، سنة 1994م.

167- النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، د. محمد أحمد مفتي، د.سامي صالح الوكيل، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى، سنة 1410هـ.

168- نقض أوهام المادية الجدلية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، سنة 1985م.

169- هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام.

170- الواقعية في الأدب الفرنسي، د. ليلى عنان، دار المعارف.

171- الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، د. الرشيد بو شعير، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996م.

172- وثائق حقوق الإنسان في الثقافة الإسلامية، د.غانم جواد، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2000م.

173- وثائق حقوق الإنسان في الثقافة الإسلامية، د.غانم جواد، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سنة 2000م.

174- الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، د.محمد إبراهيم الفيومي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة 1984م.

175- الوجودية، جون ماكورى، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، سنة 1982م.

ثانياً: الرسائل العلمية

176- بعض مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين (رسالة ماجستير)، إعداد: أشرف بن عبد الحميد بن محمد بارقعان، إشراف: د. محمد عمر محمد محسن، 1423هـ.

177- أسباب سقوط الشيوعية، (رسالة ماجستير)، إعداد: أحمد بن عبد الله بن جمعان بن سرور الغامدي، إشراف: د. سليمان بن عبد الله السلومي، 1417هـ.

ثالثاً: الدوريات

178- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أساليب الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم، د. أبو المجد سيد نوفل.

179- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خلق الإنسان في الكتاب والسنة، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل.

180- مجلة رسالة الإمام، الوجودية في الميزان، د. مصطفى غلوش، العدد الرابع، سنة 1989م.

181- مجلة الكاتب الفلسطيني، أزمة الإنسان المعاصر ومسرح العبث، صالح سميا، عـــدد20، سنة 1990م.

182- مجلة الآداب، العبثية أو تجريد الحياة، د.أحمد فلاق عــروات، العــدد الثــاني، ســنة 1995م.

183- مجلة كنعان، ما هي الأنسنية؟، د.حازم خيري، العدد1242، السنة السابعة، 2007م.

184- مجلة البيان، الإنسانية، أ.د. محمد يحيى، عدد166، السنة السادسة عشر، 1422هـ.

185- مجلة كلية الدعوة الإسلامية، حقوق الإنسان في الإســلام، محمــد فــتح الله الزيــادي، عدد22، سنة 2005م.

186- مجلة الرسالة، مسرح العبث ومسرحية في انتظار جودو، صلاح محاجنة، العدد الرابع، سنة 1995م.

187- مجلة المستقبل العربي، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، برهان غليون، عدد125، السنة الثالثة عشر، سنة 1990م.

188- مجلة دعوة الحق، من حديث القرآن عن الإنسان، د.علي العمــاري، عــدد87، ســنة 1989م.

189- مجلة دعوة الحق، المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان، د. محمد صادق عفيفي، عدد62، السنة السادسة، 1987م.

190- مجلة دعوة الحق، الحريات والحقوق في الإسلام، محمد رجاء حنفــي عبــد المتجلــي، عدد69، السنة السادسة، سنة 1987م.

191- مجلة المستقبل العربي، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، برهان غليون، عدد 135، السنة الثالثة عشر، سنة 1990م.

192- مجلة البيان، حقوق الإنسان في المنظور الغربي، علاء الدين صبحي، عدد165، الــسنة السادسة عشرة، جمادى الأولى، 2001م.

رابعاً: مراجع الشبكة العنكبوتية

193- الفلسفة البرجماتية: http://sh.rewayat2.com/public/Web/6020/021.htm

194- الإنسية: http://www.islamicfeqh.com/almenhaj/Almen26/min26003.htm

195- حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية:

http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Taalim/taalim.php

196- كيف نواجه الإرهاب: http://fcdrs.com/woresh/005.html

197- التيار الليبرالي العربي وحقوق الإنسان:

http://www.nhrc-qa.org/ar/files/downloads/NADWA-11052008-Nahid_Izzuddin.doc

198- تعريف الليبرالية: http://www.zmzm.net/vb/showthread.php?t=49396

199- التيار الليبرالي العربي وحقوق الإنسان:

http://www.nhrc-qa.org/ar/files/downloads/NADWA-11052008-Nahid_Izzuddin.doc

200- الحوار المتمدن: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=86327#

201- الطبقة النسطيه: http://www.iraqalyoum.net/archf/1148/iraq/pag9.html

202- الديمقراطية وحقوق الإنسان:

http://www.phrmg.org/arabic/monitor2005/democracy.htm

203- حقوق الإنسان في الإسلام:

http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/5.htm.

204- مجلة مجمع الفقه الإسلامي:

http://sh.rewayat2.com/fkh_3am/Web/2971/076.htm.

205- حقوق الإنسان في الإسلام:

http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/4.HTM.

206- حقوق الإنسان في الإسلام:

http://otman70.jeeran.com/archive/2009/2/813483.html.

207- حقوق الإنسان في الإسلام:

http://www.alminbar.net/malafilmy/7kookensan/2.htm.

رابعاً: فهرس الموضوعات.